www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قصص إسلامية للأطفال

قصص إسلامية للأطفال

١٠/١

تأليف

محمد منير الجنباز

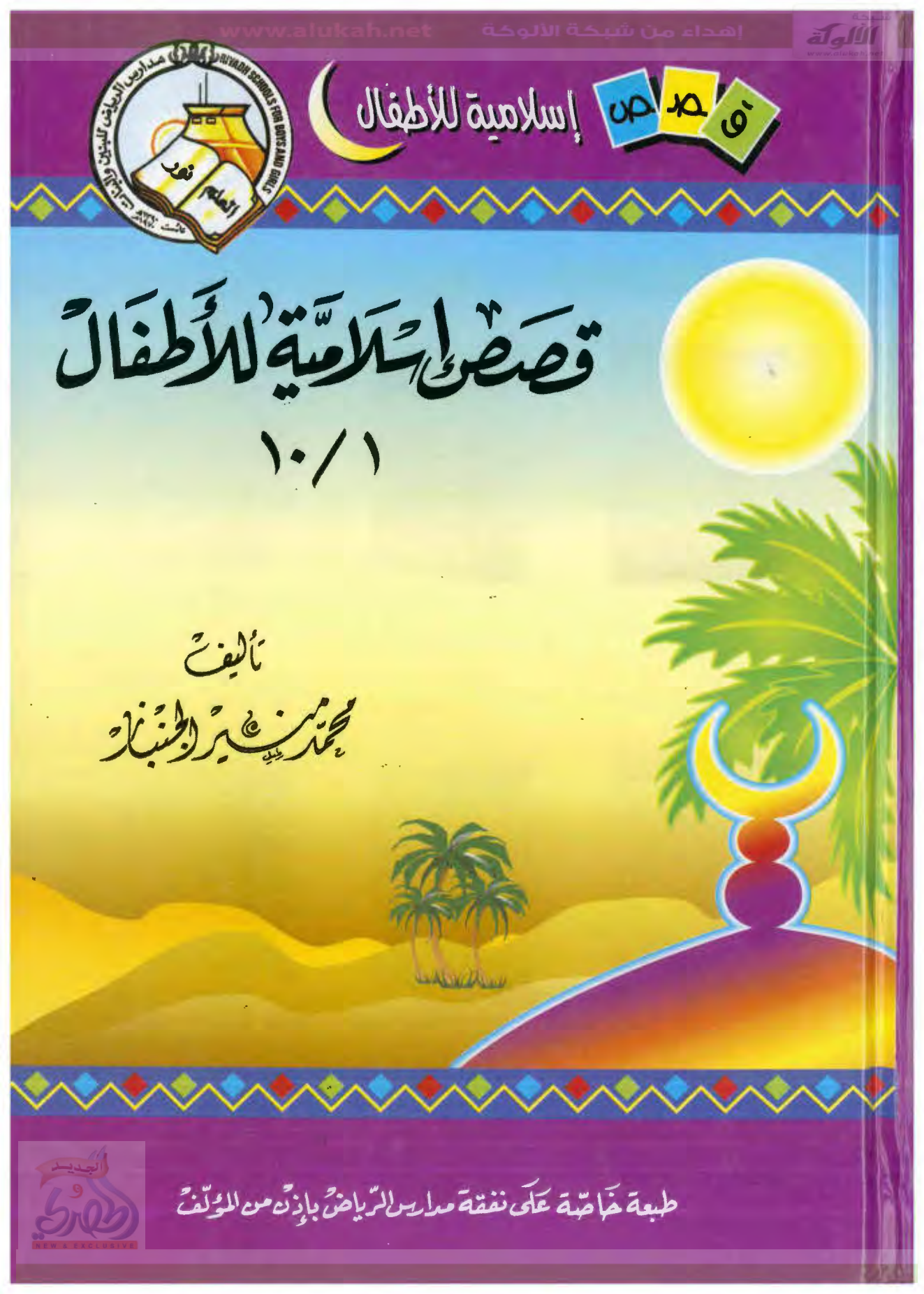

طبعة خاصة على نفقة مدارس الرياض بإذن من المؤلف

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

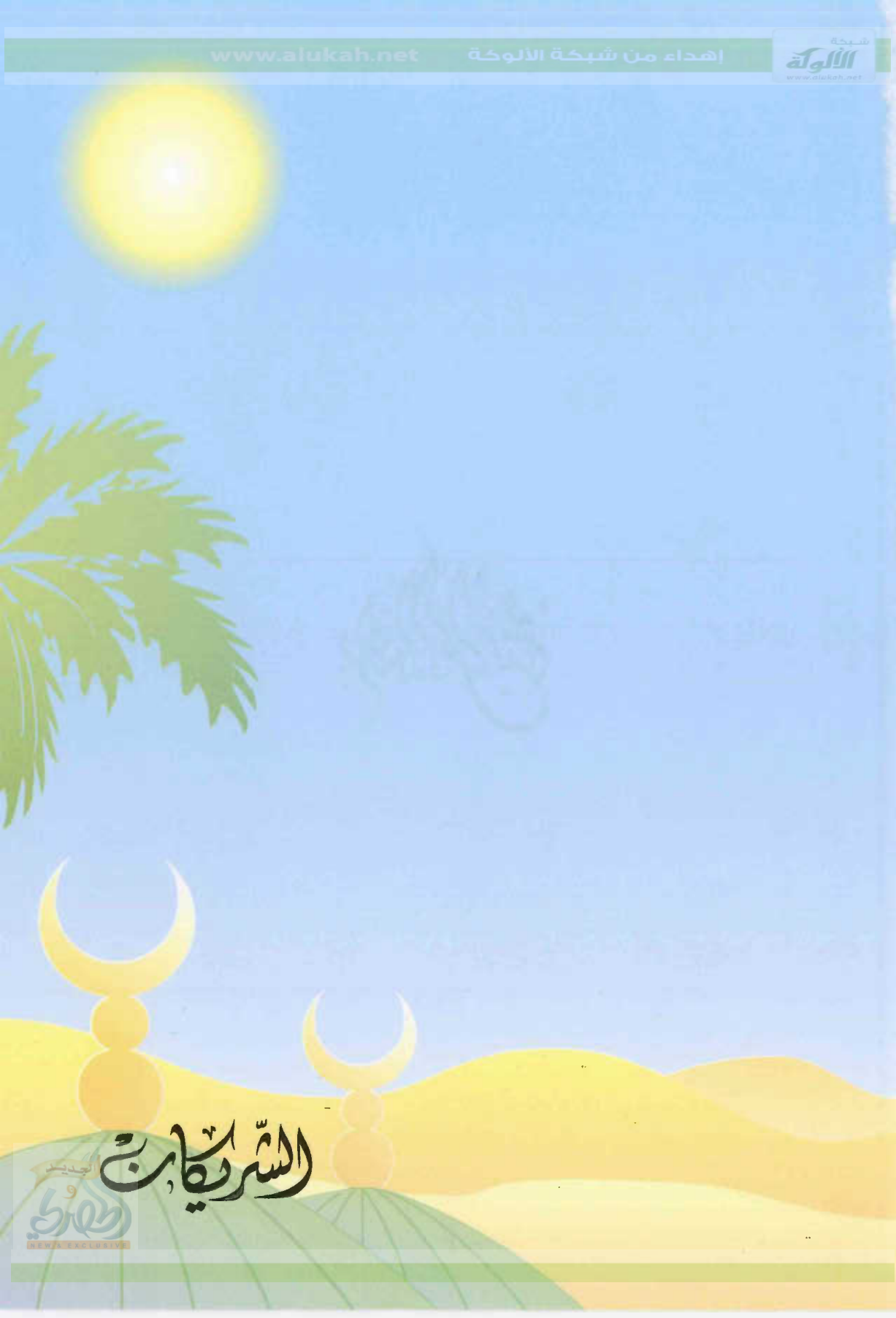

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قصص إسلامية للأطفال

الشريكان

تأليف
محمد منير الجنباز

مكتبة التوبة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ⓒ مكتبة النوبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الجنباز، محمد منير
الشريكان.ـ الرياض
٣٢ص، ١٧×٢٤سم.ـ (سلسلة قصص إسلامية للأطفال)
ردمك: ٨ - ٥٤ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠
١ - القصص الإسلامية ٢ - قصص الأطفال أ - العنوان
ب - السلسلة
ديوي ٨١٣،٠٨٨ ٢٠/٣٨٢٥

رقم الإيداع: ٢٠/٣٨٢٥
ردمك: ٨ - ٥٤ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

جَمِيعُ حُقُوقِ الطَّبعِ مَحفُوظَة

طبعة جديدة منقحة
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

مكتبة النوبة
الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير
هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

في رحابِ المسجد الكبير:

مَعَ إطْلاَلَةِ كُلِّ فَجْرٍ كانَ يَلْتَقي في المَسْجِدِ الكَبيرِ بَعْدَ صَلاَةِ الفَجْرِ، نَفَرٌ مِنَ المُصَلِّينَ، يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَيَتَدَارسُوْنَ تَفْسِيرَ آيَاتِهِ، يَقُوْدُهُمْ شَيْخٌ وَقُوْرٌ مُتَّزِنٌ، في طَلْعَةٍ بَهِيَّةٍ وَلحْيَةٍ قَدْ مَالَ أَكْثَرُهَا لِلْبَيَاضِ، وَقَد انْتَحَى بِهِمْ رُكْناً هَادِئاً مِنْ أَرْكَانِ المَسْجِدِ، وَاتَّخَذَ مِنْ أَحَدِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَعْمِدَتِهِ مَسْنَداً لِظَهْرِهِ لِكَيْ تَسْتَقِيْمَ جِلْسَتُهُ، وَأَضْحَى ذَلِكَ العَمُوْدُ مَعَ وِسَادَةِ القَشِّ الخَضْرَاءِ المُسْنَدَةِ إِلى العَمُود، مَحَطَّ أَنْظَارِ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ وَطَلَبَةِ العِلْم، لِذَلِكَ مَا إِنْ يَنْتَهِي النَّاسُ مِنَ الصَّلاةِ والتَّسَابِيْح التي تَعْقُبُهَا، حَتَّى يُهْرَعُونَ إِلى ذَلِكَ العَمُوْدِ، وَيَتَحلَّقُونَ حَوْلَهُ على شكلِ نِصْفِ قَوْسٍ، ثُمَّ يَنْتَظِرُونَ قُدُوْمَ الشَّيْخِ الَّذي يَنْهَضُ مِنْ مِحْرَابِهِ، وَيَتَّجهُ إِلى عَمُوْدِهِ وَهُوَ يَمْشِي الهُوَيْنَا، ثُمَّ يَتَنَاوَلُ مُصْحَفَهُ، وَيَنْظُرُ إِلى أَكْبَرِهِم سِنّاً وَيَهُزُّ رَأْسَهُ، وَهَذِهِ عَلاَمَتُهُ لِبَدْءِ التِّلاَوَةِ، ثُمَّ يَلِيْهِ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الـجَالِسُ عَلَى يَمِيْنِ القَارِىءِ الأَوَّلِ، وَهَكَذَا الأَيْمَنُ فَالأَيْمَنُ حَتَّى يَقْرَأَ الجَمِيعُ، وَقَدْ خَصَّصَ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ خَمْسَ آياتٍ للتِّلاوَةِ إلى أَنْ يَنْتَهِيَ الجَمِيْعُ مِنَ التِّلاوَةِ، وَكَانَ الشَّيْخُ يُتَابِعُ القِرَاءَةَ بانْتِبَاهٍ، وَيُصَحِّحُ - لِمَنْ يَقْرَأُ - النُّطْقَ وَمَخَارِجَ الحُرُوفِ وَالشَّكْلَ، لِيَسْتَقِيْمَ لِسَانُهُمْ، وَإِنَّ الجالِسَ مَعَ هَؤُلاءِ لَيَلْحَظُ تَفَاوُتَ المُسْتَوَيَاتِ فِيما بَيْنَهُمْ، فَالّذينَ تَتَلْمَذُوا عَلَى هذا الشَّيْخِ مِنْ قَبْلُ، يَقْرَؤُوْنَ بِطَلاَقَةِ لِسَانٍ وَتَجْوِيْدٍ سَلِيمٍ، أَمَّا المُنْتَسِبُونَ الجُدُدُ، فَتَرَاهُمْ غَالِباً مَا يَتَلَعْثَمُونَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَيُخْطِئُونَ النُّطْقَ السَّلِيْمَ، لَكِنْ حِلْمُ الشَّيخِ وَأَنَاتُهُ وَتَشْجِيْعُهُ لَهُمْ، يَجْعَلُ مِنْهُمْ فِيمَا بَعْدُ قُرَّاءَ عَلَى دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الإِتْقَانِ، ثُمَّ يَبْدَأُ الشَّيْخُ بِتَفْسِيْرِ الآيَاتِ الَّتي تُلِيَتْ، تَفْسِيْراً مُيَسَّراً سَهْلاً، وَمَا إِنْ تَبْدُوْ أَوَّلُ خُيُوطِ الشَّمْسِ الذَّهَبِيَّةِ حَتَّى يَكُوْنَ الشَّيْخُ قَد انْتَهَى، ثُمَّ يُعْطي إِشَارَةَ الانْصِرَافِ وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «وَفِي هَذَا القَدْرِ كِفَايَةٌ» ثُمَّ يَسْتَوِي وَاقِفاً وَيَنْهَضُ الجَمِيْعُ وَيَتَنَاثَرُوْنَ في المَسْجِدِ بَاحِثِيْنَ عَنْ أَحْذِيَتِهِمْ، فَيَلْتَقِطُ كُلُّ وَاحِدٍ منْهُم حِذَاءَهُ، وَيَخْرُجُونَ مِنَ المَسْجِدِ طَلَباً لِلرِّزْقِ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والكَسْبِ، وَلِسَانُهُمْ جَمِيعاً يَلْهَجُ بِالاسْتِغْفَارِ والدُّعَاءِ إِلى الله الرَّازِقِ الكَرِيمِ.

التَّعَارُفُ:

وَكَانَ مِنْ بَيْنِ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ المُوَاظِبِيْنَ عَلَى مَجْلِسِ التِّلاَوَةِ، الفَتَى الشَّابُّ أَحْمَدُ، الَّذي انْضَمَّ إِلى هَذِهِ الدُّرُوسِ الدِّيْنِيّةِ الطَّيِّبَةِ، وَدَاوَمَ عَلَيْهَا بِإِقْبَالٍ وَشَوْقٍ، وَكَانَ يَنْتَظِرُ الفَجْرَ بِفَارِغِ الصَّبْرِ، لِيَحْضُرَ ذَلِكَ الدَّرْسَ، وَكَانَ غَالِباً مَا يَجْلِسُ قُرْبَ العَمِّ مَحْمودٍ الّذي وَطَّدَ صِلاَتِهِ مَعَهُ، فَأَنِسَ كُلٌّ مِنْهُمَا بِالآخَرِ رَغْمَ فَارِقِ السِّنِّ، وَهُوَ أَيْضاً حَدِيْثُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عَهْدٍ بِالزَّوَاجِ، مُنْذُ شَهْرَيْنِ فَقَطْ، أَمَّا العَمُّ مَحْمُوْدٌ، فَقَدْ تَجَاوَزَ سِنَّ الأَرْبَعِيْنَ، وَلَهُ أَرْبَعَةُ أَوْلادٍ مَا بَيْنَ ذُكُورٍ وإِنَاثٍ.

كَانَتْ تَجْرِيْ بَيْنَ أَحْمَدَ وَمَحْمُوْدٍ أَحَادِيْثُ وُدِّيَةٌ كَثِيْرَةٌ عِنْدَ خُرُوجِهِمَا مِنْ بَابِ المَسْجِدِ، فَيَقِفَانِ بِضْعَ دَقَائِقَ لِيَسْتَمِعَ كُلٌّ مِنْهُمَا لِحَدِيْثِ الآخَرِ بِأَدَبٍ وَإِنْصَاتٍ، ثُمَّ يَفْتَرِقَانِ ويذهَبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلى عَمَلِهِ، وَكَانَ يَشْعُرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِحُبِّهِ وَتَقْدِيْرِهِ للآخَرِ، وَهَذَا الحُبُّ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَجْلِ المَالِ أَو مَتَاعِ الدُّنْيا، وإِنَّما كانَ الجَامِعَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لِقَلْبَيْهِما مَعاً رَابِطُ الأُخُوَّةِ في الإسْلامِ، لِذلِكَ جَاءَت مَحَبَّتُهُمَا مُطَابِقَةً لِما رُوِيَ في الحَدِيْث الشَّرِيفِ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّه** - وَمِنْ هَؤُلاءِ الأَصْنَافِ السَّبْعَةِ كما قال رَسُولُ الله ﷺ: **وَرَجُلانِ تَحابَّا في الله فَاجْتَمَعَا عَلَى ذلِكَ وافْتَرَقَا**» وَكَانَ أَحْمَدُ وَالعَمُّ مَحْمُودٌ مِنْ هَذَا الصِّنْفِ، تَحابَّا في الله وَاجْتَمَعَا عَلَى هَذِهِ المَحَبَّةِ، ثُمَّ تَفَرَّقَا إلى عَمَلَيْهِمَا، دُوْنَ أَنْ يَكُوْنَ في قَلْبِ أَيِّ واحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى الآخَرِ غِلٌّ أَو حَسَدٌ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَفي ذَاتِ يَوْمٍ وَقَفَا كَعَادَتِهِمَا بَعْد خُرُوْجِهِمَا مِنَ المَسْجِدِ يَتَحَدَّثَانِ، وَطَالَ الحَدِيْثُ بَيْنَهُمَا، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الحَدِيْثَ في هِذِهِ المَرَّةِ سَيَكُونُ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ، وَأَنَّهُ حَدِيْثٌ مُهِمٌّ يَخْتَلِفُ عَنْ الأَحَادِيْثِ التي دَارَتْ بَيْنَهُمَا مِنْ قَبْلُ، لَقَدْ تَكَلَّمَا هَذِهِ المَرَّةِ عَنْ نَوْع العَمَلِ الَّذي يُمَارِسُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، لِكَيْ يَكْسِبَ وَيَعِيْشَ في هَذِهِ الدُّنْيَا، وَبَعْدَ أَنْ أَخبَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَدِيْقَهُ عَنْ نَوْعِ عَمَلِهِ، تَبَيَّن أَنَّهُمَا يَعْمَلاَنِ في عَمَلٍ مُتَشَابِهٍ، إِنَّهُمَا يَعْمَلانِ بِالزِّرَاعَةِ، عِنْدَ بَعْضِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مَالِكي المَزَارِعِ، فَكِلاَهُمَا فَقِيْرٌ لاَ يَمْلِكُ الأَرْضَ أَوْ ثَمَنَ البُذُورِ، لِذَلِكَ اضْطُرَّا لِلعَمَلِ عِنْدَ مَالِكِي المَزَارِع، وَشَكَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلآخَرِ قِلَّةَ الأَجْرِ مُقَابِلَ الجُهْدِ المَبْذُولِ، ثُمَّ قَالَ العَمُّ مَحْمُوْدٌ: وَلَكِنْ مَا لَنَا حِيْلَةٌ في هَذَا، سَنَبْقَى أُجَرَاءَ، وسَيَبْقَى أَجْرُنَا ضَعِيْفاً لاَ يَبْلُغُ حَدَّ الكَفَافِ.

لَكِنَّ أَحْمَدَ الشَّابَّ الطَّمُوحَ، قَالَ لِلْعَمِّ مَحْمُودٍ: لا يَا أَخي إِنَّ الله قَدْ وَهَبَ لَنَا عَقْلاً لِلتَّفْكِيْرِ، وَالعَاجِزُ مَن اسْتَسْلَمَ لِلْفَقْرِ، وَعَاشَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دُوْنَ طُمُوْحٍ، عَلَيْنَا أَنْ نُفَكِّرَ في تَغْيِيْرِ وَاقِعِنَا الحَزِيْنِ، فَقَالَ العَمُّ مَحْمُوْدٌ، مُقَاطِعاً: وَلَكِنْ كَيْفَ..؟ مَهْمَا فَكَّرْنَا فَإِنَّنَا لَنْ نَكُوْنَ سِوَى أَجِيْرَيْنِ يَعْمَلاَنِ بِأَجْرٍ زَهِيْدٍ، وَلَكِنْ الحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ. فَأَجَابَهُ أَحْمَدُ: نَحْنُ نَحْمَدُ اللهَ عَلَى السَّرَّاءَ والضَّرَّاءَ، وَلَكِنْ عَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ وَأَنْ نَجْتَهِدَ في عَمَلِنَا، ثُمَّ قالَ: لَقَدْ جَاءَتْنِي خَاطِرَةٌ الآنَ لَعَلَّ فِيْهَا الفَائِدَةَ إِنْ شَاءَ اللهُ.

قَالَ العَمُّ مَحْمُودٌ: قُلْ وَأَسْرِعْ لِنَرَى مَا عِنْدَكَ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قَالَ أَحْمَدُ: لِمَاذا لاَ نشْتَرِكُ سَوِيّاً في عَمَلِ زِرَاعِيٍّ، لَعَلَّنَا نَجْنِي مِنْهُ رِبْحاً؟ قَالَ العَمُّ مَحْمُودٌ: وَكَيْفَ يَكُوْنُ ذَلِكَ؟

أَجَابَ أَحْمَدُ: أَصْغِ إِلَيَّ، نَسْتَأْجِرُ أَرْضاً زِرَاعِيَّةً وَنَدْفَعُ جُزْءاً مِنْ أَجْرِهَا مُقَدَّماً، ثُمَّ نَبْتَاعُ بِذَاراً مِنْ دُكَّانِ صَدِيْقِنَا سَعِيْدٍ، وَنَدْفَعُ لَهُ جزْءاً مِنْ ثَمَنِهِ، وَسَيُؤَجِّلُ بَقِيَّةَ الثَّمَنِ إِلى مَوْسِمِ الحَصَادِ، فَهُوَ رَجُلٌ طَيِّبٌ، وأَظُنُّهُ لاَ يَتَأَخَّرُ عَنْ مُسَاعَدَتِنَا.

أَعْجَبَتِ الفِكْرَةُ العَمَّ مَحْمُوْداً، وَشَدَّ بِحَرَارَةٍ عَلَى يَدِ أَحْمَدَ، وَقَالَ: إِنَّها سَاعَةٌ مُبَارَكَةٌ هَذِهِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الّتي وَقَفْنَاهَا الآن، لَقَدْ حَرَّكْتَ فِيْنَا حُبَّ العَمَلِ مَعاً، وَأَرْجُو مِنَ اللهِ لَنَا التَّوْفِيْقَ، وَابْتَسَمَ أَحْمَدُ وَقَالَ: نَنْطَلِقُ إِذاً عَلَى بَرَكَةِ الله.

البَدْءُ بالعَمَلِ:

وَفِي أَوَائِلِ شَهْرِ الحِرَاثَةِ اسْتَأْجَرَا أَرْضاً قَرِيْبَةً مِنَ المَدِيْنَةِ، وَكَانَتْ أَرْضاً بَعْلاً - أَيْ لا تُرْوَى بِمَاءِ النَّهْرِ أَوِ الجَدْوَلِ وَإِنَّمَا تُرْوَى بِمَاءِ المَطَر - بِأَجْرٍ قَلِيْلٍ لأَنَّ الأَرْضَ الّتي تُرْوَى بِمَاءِ النَّهْرِ تُؤَجَّرُ عَادَةً بِأَجْرٍ مُرْتَفِعٍ، وَتَفَحَّصَا الأَرْضَ بِدِقَّةٍ لِيَتَعَرَّفَا عَلَى صَلاَحِيَّتِهَا لأَيِّ نَوْعٍ مِنَ المَزْرُوعَاتِ، وَبَعْدَ دِرَاسَةٍ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مُتَأَنِّيَةٍ قَرَّرَا أَنَّهَا تُنَاسِبُ زِرَاعَةَ القَمْحِ، فَأَعَدَّا العُدَّةَ لِذَلِكَ، وَتَوَاعَدَا عَلَى زَمَانِ البَدْءِ بِالعَمَلِ. وَعِنْدَمَا حَانَ وَقْتُ العَمَلِ، عَمِلا بِهِمَّةٍ وَنَشَاطٍ، فَهَيَّأَا الأَرْضَ، وَبَدَأَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمَا يُنَفِّذُ العَمَلَ المُلْقَى عَلَى عَاتِقِهِ عَلَى خَيْرِ وَجْه، لَقَدْ فَلَحَا الأَرْضَ وَبَذَرَا الحَبَّ، وَلَم يَتَّكِلْ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ أَوْ يَتَقَاعَسْ عَنْ أَدَاءِ العَمَلِ، بَلْ كَانَ قَوْلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِنَفْسِهِ: سَأَعْمَلُ أَكْثَرَ مِنْ صَدِيْقِي حَتّى أُرِيْحَهُ، لِذَلِكَ فَقَدْ تَنَافَسَا في تَقْدِيمِ الخَيْرِ، فَأَنْجَزَا عَمَلَهُمَا بِسُرْعَةٍ وَإِتْقَانٍ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السَّمَاءُ تَجُوْدُ بِالمَطَر:

وَجَادَتِ السَّمَاءُ بِالمَطَرِ السَّخِيِّ المِدْرَارِ، وَارْتَوَتِ الأَرْضُ بِالمَاءِ العَذْب، وَشَرِبَتِ البُذُوْرُ وَنَبَتَتْ بِإِذْنِ رَبِّها، وَبَدَتْ فَوْقَ الأَرْضِ بِنَبْتِهَا الأَخْضَرِ اللاَّمِعِ، وَبَشَّرَتْ مُنْذُ البِدَايَةِ بِالخَيْرِ، وَظَلَّ الزَّرْعُ في تَحَسُّنٍ، والشَّرِيْكَانِ، مَحْمُوْدٌ وَأَحْمَدُ يَخْرُجَانِ كُلَّ يَوْمٍ لِتَفَقُّدِ الأَرْضِ وَإِصْلاَحِ شَأْنِهَا وَتَعْشِيْبِهَا - أَيْ قَلْعِ الحَشَائِشِ الضَّارَّةِ مِنْهَا - يَدْفَعُهُمَا لِذَلِكَ حُبُّ العَمَلِ، والوَفَاءُ لِبَعْضِهِمَا، كَي تَنْجَحَ هَذِهِ الشَّرِكَةُ وَتُعْطِيَ أُكُلَهَا. واسْتَمَرَّا عَلَى هَذِهِ العِنايَةِ حَتَّى فَصْلِ الرَّبِيْعِ، وَبَدَا النَّبْتُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فِيْهِ زَاهِياً، قَوِيَّ السَّاقِ، بَهِيَّ الأَوْرَاقِ، حَتَّى غَدَتْ هَذِهِ القِطْعَةُ مِنَ الأَرْضِ بَهْجَةً وَفِتْنَةً لِلنَّاظِرِيْنَ، تَخْتَلِفُ عَنِ الحُقُوْلِ المُجَاوِرَةِ بِطُولِ الزَّرْعِ وَنَضَارَتِهِ وَاخْضِرَارِهِ. وَمَا إِنْ بَدَأَتْ حَرَارَةُ الشَّمْسِ تَشْتَدُّ فِي أَوَاخِرِ فَصْلِ الرَّبِيْعِ وَأَوَائِلِ فَصْلِ الصَّيْفِ، حَتَّى غَدَا الزَّرْعُ المُتَمَاوِجُ طَوِيْلاً تَعْلُوهُ السَّنَابِلُ الخُضْرُ المَمْلُوءَةُ بِالحَبِّ، وَكَانَ يَبْدُو كَالبَحْرِ عِنْدَمَا يُحَرِّكُهُ النَّسِيْمُ، فَيَتَمَايَلُ ذَاتَ اليَمِيْنِ وذَاتَ الشِّمَالِ بِرِقَّةٍ وَدَلاَلٍ، فَيُخْرِجُ مِنْ تَمَاوُجِهِ أَصْوَاتاً رَقِيْقَةً تَبْعَثُ عَلَى البَهْجَةِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والانْشِرَاحِ، إِنَّهُ صَوْتُ سَنَابِلِ القَمْحِ الَّتي تُعَانِقُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَتُبَشِّرُ أَحْمَدَ وَمَحْمُوْداً بِمَوْسِمٍ جَيِّدٍ وَإِنْتَاجٍ وَفِيْرٍ. وَكَانَ هَذَا المَنْظَرُ الخَلاَّبُ يَظْهَرُ أَثَرُهُ عَلَى مُحَيّا أَحْمَدَ وَمَحْمُودٍ، فَيَبْتَسِمَانِ وَيَحْمَدَانِ اللهَ، وَيَطْلُبَانِ مِنْهُ مَزِيْداً مِنَ الإِنْعَامِ.

وَتَقَدَّمَتِ الأَيَّامُ حَتّى دَخَلَ شَهْرُ الحَصَادِ، وَغَدَتْ سَنَابِلُ القَمْحِ ذَهَبِيَّةً مُعَدَّةً لِلحَصَادِ.

وَفي صَبِيْحَةِ يَوْمٍ صَائِف، تَوَاعَدَ الشَّرِيْكَانِ عَلَى بَدْءِ الحَصَادِ، فَأَعَدَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْجَلَهُ وَاتَّجَهَا نَحْوَ الأَرْضِ، وَعِنْدَمَا وَصَلاَ إِلَيها، وَقَفَا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَمَامَهَا ثُمَّ أَلْقَيَا نَظْرَةً عَلَيْهَا، مِلْؤُهَا الحَمْدُ والشُّكْرُ لِلهِ خَالِقِ هَذا الزَّرْعِ الوَفِيْر، ثُمَّ نَظَرَ كُلٌّ مِنْهُمَا إلى الآخَرِ وابْتَسَمَا وَكَأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يَقُوْلُ لِصَاحِبِهِ: هَذَا هُوَ الخَيْرُ، وَهَذِهِ هِيَ بَرَكَةُ العَمَلِ المُشْتَرَكِ، ثُمَّ شَمَّرَا عَنْ سَاعِدَيْهِمَا، وَبَاشَرَا في الحَصَادِ بِهِمَّةٍ عَالِيَةٍ، وَبَسْمَةٍ عَرِيْضَةٍ مِلْؤُهَا الأَمَلُ وَالبِشْرُ في جَنْيِ مَحْصُولٍ وَافِرٍ.

وَلَمْ تَمْضِ عِدَّةُ أَيَّامٍ عَلَى بَدْءِ عَمَلِهِمَا في الحَصَادِ، حَتّى أَنْهَيَا حَصَادَ الأَرْضِ كُلِّهَا، ثُمَّ أَحْضَرَا أَدَوَاتِ الدِّرَاسَةِ وَتُسَمَّى «النَّوْرَجُ»، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَرَبَةٍ عَجَلاتُهامِنْ حَدِيْدٍ مُسَنَّنٍ يَجُرُّها حِمارٌ أَوْ حِصَانٌ، وَيَدُوْرُ بِهَا عَلَى السَّنَابِلِ فَتَنْفَصِلُ الحُبُوْبُ عَنْ سَنَابِلِهَا، وَبَعْدَ الانْتِهَاءِ مِنْ دِرَاسَةِ الحَبِّ، بَدَأَا في التَّذْرِيَةِ، وَهِيَ نَثْر هَذَا الحَصِيْدِ المَدْرُوْسِ في الهَوَاءِ بِوَاسِطَةِ المِذْرَاةِ، فَيَنْفَصِلُ الحَبُّ عَنِ التِّبْنِ، الّذي يَتَطَايَرُ بَعِيْداً عَنِ الحُبُوْبِ لِخِفَّتِهِ، فَتُجْمَعُ الحُبُوْبُ وَيُعْطَى التِّبنُ عَلَفاً لِلحَيَوَانَاتِ.

أَدَاءُ حَقِّ اللهِ:

وَاجْتَمَعَ لِمَحْمُوْدٍ وَأَحْمَدَ مَحْصُولٌ وَافِرٌ مِنَ القَمْحِ، وَجَمَعُوْهُ، فَأَضْحَى كَوْمَةً كَبِيْرَةً انْتَصَبَتْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَسْطَ البَيْدَرِ كَأَنَّهَا تَلٌّ شَامِخٌ، لَقَدْ بَارَكَ اللهُ لَهُمَا زَرْعَهُمَا أَضْعَافَ مَا زَرَعَا، ثُمَّ بَادَرَا إِلى كَيْلِ القَمْحِ لِمَعْرِفَةِ مِقْدَارِهِ وَإِخْرَاجِ زَكَاتِهِ وَتَوْزِيْعِهَا عَلَى الفُقَرَاءِ عَمَلاً بِقَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾، وَحَقُّ الفُقَرَاءِ فِيْهِ مِقْدَارُ العُشْرِ، لأَنَّ زَكَاةَ مَحْصُوْلِ الأَرْضِ البَعْلِيَّةِ هي العُشْرُ، لأَنَّهَا سُقِيَتْ بِمَاءِ المَطَرِ الّذي أَنْزَلَهُ اللهُ دُوْنَ جَهْدٍ أَو تَعَبٍ مِنَ الإِنْسَانِ، فَعَمِلَ مَحْمُوْدٌ وَأَحْمَدُ طِيْلَةَ النَّهَارِ عَلَى فَصْلِ حَقِّ الفُقَرَاءِ مِنَ القَمْحِ، عَنْ حَقِّهِمَا، فَكَانَا يَعُدَّانِ تِسْعَةَ مَكَايِيْلَ لَهُمَا وَمِكْيَالاً وَاحِداً لِلْفُقَرَاءِ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَبَعْدَ أَن اجْتَمَعَتْ حِصَّةُ الفُقَرَاءِ، حَمَلاَها عَلَى حِمَارٍ ووَزَّعَاهَا عَلَى الفُقَرَاءِ، وَأَمْضَيَا يَوْماً كَامِلاً في حَمْلِ حِصَّةِ الفُقَرَاءِ وَتَوْزِيْعِهَا، لأَنَّهَا كَانَتْ كَثِيْرَةً، ثُمَّ عَادَا في اليَوْمِ الثَّانِي لِكَيْ يَقْتَسِمَا مَا تَبَقَّى بَيْنَهُمَا، فَقَسَّمَا البَاقي بَيْنَهُمَا بِالتَّسَاوِي.

وَأَصْبَحَتِ الكَوْمَةُ الكَبِيْرَةُ كَوْمَتَيْنِ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَوْمَةٌ، وَاسْتَعَدَّ كُلٌّ مِنْهُمَا لِحَمْلِ حِصَّتِهِ إِلى البَيْتِ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمَا إِلاَّ حِمَارٌ واحِدٌ، فَقَالَ أَحْمَدُ لِصَدِيْقِهِ: تَأْخُذُ أَنْتَ حِمْلاً، وَأَنْتَظِرُ أَنَا عَلَى البَيْدَرِ أَحْرُسُ القَمْحَ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَعِنْدَمَا تَعُوْدُ تَجْلِسُ مَكَانِي، ثُمَّ آخُذُ بِدَوْرِي حِمْلاً إِلى بَيْتِي، سُرَّ مَحْمُوْدٌ لِهَذَا الاقْتِرَاحِ وَحَمَلَ مِقْدَارَ كِيْسٍ مِنَ القَمْحِ وَاتَّجَهَ إِلى بَيْتِهِ، وَبَقِي أَحْمَدُ وَحِيْداً عَلَى البَيْدَرِ يَحْرُسُ القَمْحَ، وَيَنْتَظِرُ عَوْدَةَ مَحْمُودٍ.

المَحَبَّةُ تَنْقَلِبُ إِلى عَمَلٍ صَادِقٍ:

جَلَسَ أَحْمَدُ يُفَكِّرُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلى كَوْمَتَي القَمْحِ، فَكَبُرَتْ كَوْمَتُهُ في عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لِنَفْسِهِ: إِنَّ شَرِيْكِي مَحْمُوداً غَائِبٌ الآن، وَهُوَ ذُوْ عِيَالٍ وَقَدْ كَانَ في أَثْنَاءِ العَمَلِ نَشِيْطاً، وَنَحْنُ تَقَاسَمْنَا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المَحْصُوْلَ مُنَاصَفَةً، وَأَنَا يَكْفِينِي مِنَ القَمْحِ أَقَلُّ مِمَّا يَكْفِيْهِ، لأَنِّي لاَ أَعُوْلُ إلاّ زَوْجَتِي، لِذَلِكَ عَلَيَّ أَنْ أُعْطِيَهُ حِصَّةً أَكْثَرَ مِنْ هَذَا القَمْحِ، فَنَهَضَ إِلى كَوْمَتِهِ وَغَرَفَ مِنْهَا عَدَداً مِنَ المَكَايِيْلِ وَأَضَافَهُمْ إِلى كَوْمَةِ صَدِيْقِهِ مَحْمُوْدٍ، ثُمَّ عَادَ وَجَلَسَ في مَكَانِهِ.

رَجَعَ مَحْمُوْدٌ مِنْ بَيْتِهِ وَجَاءَ دَوْرُ أَحْمَدَ، فَقَامَ وَحَمَلَ مِقْدَارَ كِيْسٍ مِنَ القَمْحِ وَانْطَلَقَ إلى بَيْتِهِ، وَلَمّا خَلاَ مَحْمُوْدٌ بِنَفْسِهِ وَأَصْبَحَ وَحِيْداً عَلَى البَيْدَرِ، قَالَ: لَقَدْ كَانَ أَحْمَدُ شَابّاً قَوِيّاً

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَنَشِيْطاً، وَبَذَلَ جَهْداً أَكْثَرَ مِمَّا بَذَلْتُ، وَهُوَ شَابٌّ في مُقْتَبَلِ العُمُرِ، تَلْزَمُهُ نَفَقَاتٌ كَثِيْرَةٌ لِيَبْنِيَ بَيْتاً، وَقَدْ تَقَاسَمْنَا المَحْصُوْلَ مُنَاصَفَةً، وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أُعْطِيَهُ مِقْداراً يَزِيْدُ عَنْ حِصّتِي، فَنَهَضَ إِلى كَوْمَتِهِ وَغَرَفَ مِنْهَا عَدَداً مِنَ المَكَايِيْلِ، وَأَضَافَهُمْ إِلى كَوْمَةِ أَحْمَدَ، ثُمَّ عَادَ وَجَلَسَ في مَكَانِهِ، وَرَجَعَ أَحْمَدُ مِنْ بَيْتِهِ، وَجَاءَ دَوْرُ مَحْمُوْدٍ فَحَمَلَ مِقْدَارَ كِيْسٍ مِنَ القَمْحِ وَانْطَلَقَ إِلى بَيْتِهِ، وَفَعَلَ أَحْمَدُ في غِيَابِ مَحْمُوْدٍ مَا فَعَلَهُ في المَرَّةِ الأُوْلَى، حَيْثُ أَضَافَ إِلى حَصَّةِ مَحْمُوْدٍ عِدَّةَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مَكَايِيْل، ثُمَّ عَادَ مَحْمُوْدٌ مِنْ بَيْتِهِ، وَجَاء دَوْرُ أَحْمَدَ، وفي أَثْنَاءِ غِيَابِ أَحْمَدَ، أَضَافَ مَحْمُوْدٌ إِلى حِصَّةِ أَحْمَدَ عِدَّةَ مَكَايِيْلَ، وَفي كُلِّ مَرَّةٍ يَغِيْبُ فِيْهَا أَحَدُهُمَا كَانَ الآخَرُ يُضِيْفُ مِنْ حِصَّتِهِ عِدَّةَ مَكَايِيْلَ إلى حصَّةِ زَمِيْلِهِ، وَبَقِيَا عَلَى هَذِهِ الحَالَةِ والقَمْحُ يَزْدَادُ، كَأَنَّهُمَا لَمْ يَحْمِلاَ مِنْهُ شَيْئاً إِلى بَيْتَيْهِمَا، لَقَدْ بَارَكَ اللهُ لَهُمَا فِيْهِ، لِمَ لاَ وَقَدْ حَفِظَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَالَ الآخَرِ في غِيَابِهِ، وَفَضَّلَ كُلٌّ مِنْهُمَا صَدِيْقَهُ عَلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ عَادَ أَحْمَدُ لِيَقُوْلَ لِمَحْمُوْدٍ: يَا أَخِي لَقَدِ امْتَلأَتْ دَارِي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قَمْحاً وَلَمْ يَعُدْ عِنْدِي مَكانٌ أَضَعُ فِيْه بَقِيَّةَ حِصَّتِي، وَقَالَ مَحْمُوْدٌ: وَأَنَا كَذَلِكَ، ثُمَّ نَظَرا إلى القَمْحِ المُتَبَقِّي عَلَى البَيْدَرِ فَقَالَ أَحْمَدُ: سُبْحَانَ اللهِ، انْظرْ، إِنَّ القَمْحَ مَا زَالَ عَلَى حَالِهِ وَكَأَنَّنَا لَمْ نَنْقُلْ مِنْهُ شَيْئاً! فَقَالَ مَحْمُوْدٌ: عَجِيْبٌ..! حَقّاً إِنَّهُ مَا زَالَ كَثِيْراً، يَا لَلْخَيْرِ، لَقَدْ هَبَطَتْ عَلَيْنَا رَحْمَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَسَكَتَ الصَّدِيْقَانِ بُرْهَةً، ثُمَّ تَبَسَّمَا مَعاً، لَقَدْ تَذَكَّرَا قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ وَعَرَفَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمَا أَنَّ صَاحِبَهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كَانَ يَزِيْدُ لَهُ القَمْحَ في غِيَابِهِ، فَبَارَكَ اللهُ لَهُمَا هَذا العَمَلَ، فَأَقْبَلاَ إِلى بَعْضِهِمَا وَتَعَانَقَا، وَدُمُوعُ الفَرَحِ والرِّضا بَادِيَةٌ في عَيْنَيْهِمَا.

هَكَذَا فَلْيَكُن الشُّرَكَاءُ فِي تَعَامُلِهِمْ، إِنَّهَا تِجَارَةٌ رَابِحَةٌ، وَصَدَاقَةٌ أَخَوِيَّةٌ تَدُوْمُ، لأَنَّهَا قَائِمَةٌ عَلَى المَحَبَّةِ والإِخْلاَصِ لله، إِنَّهَا تُذَكِّرُنَا بِحَدِيْثِ رَسُوْلِ الله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا في الله، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وتَفَرَّقَا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنصبٍ وَجَمَالٍ، فقال: إِنِّي أَخَافُ الله، ورجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَر الله خَالِياً فَفَاضَتْ عَينَاهُ» مُتَّفَق عَلَيْهِ.

❁ ❁ ❁

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قصص إسلامية للأطفال

الشهيد

تأليف
محمد منير الجنباز

مكتبة
التوبة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ⓒ مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجنباز، محمد منير

الشهيد.- الرياض

٣٦ص، ١٧×٢٤سم.- (سلسلة قصص إسلامية للأطفال)

ردمك: ٣ - ٤٨ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

١ - القصص الإسلامية ٢ - قصص الأطفال أ - العنوان

ب - السلسلة

ديوي ٨١٣،٠٨٨ ٢٠/٣٨١٩

رقم الإيداع: ٢٠/٣٨١٩

ردمك: ٣ - ٤٨ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

جميع حقوق الطبع محفوظة

طبعة جديدة منقحة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

التوبة

الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير

هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

طُفُوْلَةُ عَبْدِالله:

عَبْدُاللهِ طِفْلٌ ذَكِيٌّ وَنَشِيْطٌ، وُلِدَ في بِلادِ اليَمَنِ السَّعِيدِ، وَتَرَعْرَعَ في رُبُوْعِهَا الجَمِيْلَةِ، تِلْكَ البِلادُ الّتي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْها بِالْخُضْرَةِ وَالبَسَاتِيْنِ المُزْهِرَةِ الغَنَّاءِ، فَتَمَيَّزتْ بِذَلِكَ عَنْ بَاقي أَقْطَارِ الجَزيرةِ العَرَبِيّةِ، الّتي غَطَّتْهَا الصّحَارَى الوَاسِعَةُ الكَبِيرَةُ، وَلَمْ تَعْرِفِ الخُضْرَةَ وَالنُّضَرَةَ إِلاّ فِي بَعْضِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فُصُوْلِ السَّنَةِ. أَمَّا اليَمَنُ فَكانَتْ تَنْعَمُ بِالخُضْرَةِ كُلَّ أَيّامِ السَّنَةِ، خُصُوْصاً بَعْدَ أَنْ بَنَى فِيْها اليَمَنِيُّونَ سَدَّ مَأْرِبَ الكَبِيْرَ الّذي كانَ يَحْجُزُ المِيَاهَ وَرَاءَهُ بَعْدَ هُطُولِ الأَمْطَارِ المَوْسِمِيَّةِ، وَفي أَيّام الجَفَافِ، تُفْتَحُ نَوَافِذُ السّدِ، فَتَجْرِي المِيَاهُ لِتَسْقِيَ البَسَاتِيْنَ وَالجِنَانَ عَنْ يَمينٍ وَشِمَالٍ، وَقَدْ نَعِمَ سُكَّانُ اليَمَنِ بِأَطْيَبِ الفَوَاكِهِ وَأَشْهَى الثِّمارِ، فَكَانُوا لاَ يَشْتَكُوْنَ نَقْصاً مِنْ زِرَاعَةٍ أَوْ مِيَاهٍ، لَقَدْ وَهَبَهُمُ اللهُ كُلَّ وَسَائِلِ العَيْشِ الرَّغِيْدِ، وَقَد ذَكَرَ اللهُ تَعَالى نِعَمَهُ عَلَى أَهْلِ اليَمَنِ في القُرْآنِ الكَرِيْمِ، فَقَالَ:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾.

وَعَاشَ عَبْدُاللهِ يَشْهَدُ تِلْكَ الحَيَاةَ الجَمِيْلَةَ فِي رِعَايَةِ أَبَوَيْنِ عَطُوْفَيْنِ كَرِيْمَيْنِ، وَهُوَ مُدَلَّلٌ وَمُنَعَّمٌ يَرْفُلُ بِالخَيْرَاتِ وَالمَحَبَّةِ وَكَبِيْرِ العِنَايَةِ.

وَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ، زَارَ بَيْتَ عَبْدِاللهِ رَجُلٌ كَبِيْرٌ يَظْهَرُ عَلَيْهِ سَيْمَا الوَقَارِ وَالتَّقْوَى، وَمَكَثَ فِي ضِيَافَةِ أَبِي عَبْدِاللهِ عِدَّةَ أَيَّامٍ، عَرَفَ مِنْ خِلَالِ هذِهِ الزِّيَارَةِ، الطِفْلَ عَبْدَاللهِ، وَرَأى فِي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عَيْنَيْهِ الذَّكَاءَ وَالنُّبُوغَ، وفي أَفْعَالِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ مَا يُؤَكِّدُ ذَلِك.

إِنَّهُ وَلَدٌ ذَكِيٌّ ونَشِيطٌ، يَتَصَرَّفُ في البَيْتِ تَصَرُّفَ النَّابِهِيْنَ الكِبَارِ، وَهُنَا أَشَارَ الرَّجُلُ الكَبِيْرُ عَلَى وَالِدِ عَبْدِاللهِ، أَنْ يَنْتَقِيَ لَهُ عَمَلاً مُنَاسِباً لِذَكَائِهِ وَنُبُوغِهِ، وَأَنْ لاَ يُعَلِّمَهُ حِرْفَتَهُ الشَّاقَّةَ، فَقَدْ كَانَ وَالِدُ عَبْدِاللهِ يَعْمَلُ حَدَّاداً لِصُنْعِ أَجْوَدِ السُّيُوفِ اليَمَنِيَّةِ وَأَحْسَنِهَا.

وَحَارَ أَبُو عَبْدِاللهِ في انْتِقَاءِ عَمَلٍ جَيِّدٍ لابْنِهِ لِكَيْ يَرَى فيهِ نُبُوْغَهُ وَذَكَاءَهُ، وَفَكَّرَ أَخِيْراً في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَخْذِهِ لِسَاحِرِ المَلِكِ، لِيَتَعَلَّمَ السِّحْرَ، إِذْ كَانَ النَّاسُ في ذَلِكَ الوَقْتِ يَصْنَعُونَ بِالسِّحرِ الأَعَاجِيْبَ. وَالسِّحْرُ لاَ يُتْقِنُهُ إِلاّ الأَذْكِيَاءُ، وَهُوَ يَدُرُّ عَلَى السَّاحِرِ المَالَ الكَثِيْرَ، لأَنَّهُ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ الحِيَلَ وَالعَجَائِبَ الخَارِقَةَ، فَيُغْدِقُونَ عَلَيْهِ المَالَ.

عَبْدُاللهِ في قَصْرِ المَلِكِ:

وَانْطَلَقَ وَالِدُ عَبْدِاللهِ إلى قَصْرِ المَلِكِ، وَمَعَهُ وَلَدُهُ عَبْدُاللهِ، وَتَوَسَّطَ لَهُ لِكَيْ يُعَلِّمَهُ السِّحْرَ على يَدِ سَاحِرِ المَلِكِ، فَدَخَل حَتَّى كَلَّمَ مُسْتَشَارَ المَلِكِ، وَأَقْنَعَهُ بِضَرُوْرَةِ تَعْلِيمِ السِّحْرِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لِعَبْدِاللهِ، وَخَلاَ المُسْتَشَارُ بِالمَلِكِ، وَكَلَّمَهُ بِشَأنِ عَبْدِاللهِ، وَقَالَ لَهُ: يَا مَوْلاَيَ إِنَّ سَاحِرَكَ قَدْ كَبِرَ وَرُبّما مَاتَ فَجْأَةً، فَأَنْتَ بِحَاجَةٍ إِلى مَنْ يَخْلُفُهُ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ بِوَلَدٍ ذَكِيٍّ، أَرَاهُ خَيْرَ مَنْ يَخْلُفُهُ في هَذا العَمَلِ، وَإِذَا تَرَبّى هَذَا الوَلَدُ عَلَى يَدَيْكَ فَسَيُصْبِحُ خَادِمَكَ الأَمِيْنَ، فَتَلَمَّسَ المَلِكُ شَارِبَيْهِ الطَّوِيْلَيْنِ، ثُمَّ هَزَّ رَأْسَهُ مُوَافِقاً عَلَى رَأْيِ مُسْتَشَارِهِ بِقَبُولِ عَبْدِاللهِ. وَدَاوَمَ عَبْدُاللهِ عَلَى قَصْرِ المَلِكِ لِلتَّعَلُّمِ، وَلَكِنَّهُ رَأَى عَجَباً، رَأَى مَا لَمْ يَكُنْ يَسْمَعُ بِهِ مِنْ قَبْلُ، مِنْ أَبِيْهِ أَوْ أُمِّهِ، إِنَّه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رَأَى الخَدَمَ وَكِبَارَ المُوَظَّفِيْنَ يَسْجُدُونَ لِلْمَلِكِ وَيُعَظِّمُوْنَهُ، فَالمَلِكُ كَانَ يَدَّعِي الأُلُوهِيَّةَ، وَيَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ كُلَّمَا مَرُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِذَا أَرَادَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ زِيَارَتَهُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَرْكَعَ لَهُ مِنَ البَابِ وَهُوَ مُطَأْطِئٌ رَأْسَهُ، فَإِذَا مَا وَصَلَ أَمَامَهُ خَرَّ سَاجِداً لَهُ، وَالّذي يَأْبَى ذَلِك يَكُوْنُ مَصِيْرَهُ القَتْلُ أَوِ السّجْنُ. وَكَانَ المَلِكُ يَخْدَعُ النَّاسَ بِأَنَّهُ قَادِرٌ وَعَظِيمٌ، وَأَنَّه مِنْ سُلاَلَةِ الآلِهَةِ، وَذَلِكَ بِوَاسِطَةِ اسْتِعَانَتِهِ بِالسّاحِرِ الَّذي يَسْحَرُ أَعْيُنَ النّاسِ، وَيَخْدَعُهَا لِكَيْ تَرَى بَعْضَ الخَوَارِقِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والحِيَلِ الّتي يَدَّعِي المَلِكُ أنَّها مِنْ صُنْعِهِ وَقُدْرَتِهِ، ليَقُوْلَ النَّاسُ: إنَّ المَلِكَ فَوْقَ البَشَرِ، وَهُوَ يَصْنَعُ مَا لَمْ يَصْنَعْهُ البَشَرُ، إِنَّهُ قَادِرٌ عَظِيمٌ يَسْتَحِقُّ العِبَادَةَ..!

وَكَانَ أَهْلُ اليَمَنِ مَا بَيْنَ مُصَدِّقٍ لِحِيَلِ المَلِكِ وَمُنْكِرٍ لَهَا، فَصِغَارُ العُقُوْلِ آمَنُوا بِالمَلِكِ، وَقَدَّمُوا لَهُ العِبَادَةَ وَالطَّاعَةَ كما يُحِبُّ وَيَرْغَبُ، وَأَهْلُ العِلمِ أنْكرُوا عَلَى المَلِكِ هَذَا الادّعَاءَ، وَدَعُوا بَيْنَ النَّاسِ إِلَى تَكْذِيبِه، لَكِنَّهُمُ اعْتَصَمُوا في الكُهُوفِ وَالجِبَالِ البَعِيْدَةِ خَوْفاً مِنْ نِقْمَةِ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المَلِكِ وَجَبَرُوتِهِ، وَهُنَاكَ وَجَدُوا في خَلَواتِهِمْ مَكَاناً صَالِحاً للعِبَادَةِ، يَعْبُدونَ اللهَ الواحِدَ بَعِيْداً عَنْ سُلْطَةِ المَلِكِ وَجَواسِيْسِهِ.

عَبْدُالله يَتَلَقَّى دُرُوساً في السِّحْر:

وَحَضَرَ عَبْدُ اللهِ إِلى قَصْرِ المَلِكِ، وَأَخَذَ السَّاحِرُ يُعْطِيْهِ دُرُوساً في السّحرِ، فَكانَ يَأْتي في الصّباحِ البَاكِرِ، وَلاَ يَعُوْدُ إلى بَيْتِهِ إلاّ قَبْلَ الغُرُوْبِ، وَفي أَحَدِ الأَيَّامِ مَلَّ عَبْدُالله مِنْ هذا الدَّوامِ الطَّويلِ، وَمِنَ الدُّروسِ الّتي لَمْ تَكُنْ تُوَافِقُ رَغْبَةً وَانْشِرَاحاً في صَدْرِهِ، لِذَلِكَ ضَاقَتْ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بِهِ سَاحَاتُ القَصْرِ وَصَالاَتُهُ رَغْمَ اتّسَاعِهَا وَرَحَابَتِهَا، وَقَرَّرَ أَنْ يَخْرُجَ لِلبَرِّ بَعِيْداً عَنِ العُمْرَانِ، عَلَّ صَدْرَهُ يَنْشَرِحُ فَيَزُوْلُ عَنْهُ الكَدَرُ، إِنَّهُ يَنْظُرُ إلى الجِبَالِ المُحيطَةِ بِبَلْدَتِهِ، فَيَظُنُّها جَاثِمَةً فَوْقَ صَدْرِهِ، وَانْطَلَقَ نَحْو المُروجِ والتِّلاَلِ، يَرْكُضُ وَيَقْفِزُ كَأَنَّهُ غَزَالٌ شَارِدٌ قَدْ فُكَّ قَيْدُهُ، وَتَاقَتْ نَفْسُهُ لِلانْطِلاَقِ لاَ يُبَالِي كَمْ رَكَضَ، وَكَمْ قَطَعَ مِنْ مَسَافَاتٍ، المُهِمُّ عِنْدَهُ أَنْ يَرْكُضَ وَيَقْفِزَ، يَصْعَدُ التِّلاَلَ وَيَهْبِطُ الأَوْدِيَةَ، حَتّى قَادَتْهُ قَدَمَاهُ إِلى كَهْفٍ كَبِيْرٍ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بِخُطاً حَذِرَةٍ إلى أَنْ وَصَلَ إلى أَوَّلِ فَتْحَتِهِ، فَمَدَّ رَأْسَهُ قَلِيْلاً ثُمَّ أَرْهَفَ حِسَّهُ وَكَتَمَ نَفَسَهُ، فَسَمِعَ دَمْدَمَةً عَمِيقَةً تَخْرُجُ مِنْ أَعْمَاقِ الكَهْفِ، فَاقْتَرَبَ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ وَالدَّمْدَمَةُ تُسْمَعُ أَكثَرَ، حَتّى وَصَلَ بَعْدَ ذَلِكَ قَرِيْباً مِنْ مَصْدَرِ الصَّوتِ، فَنَظَرَ فإِذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ هَرِمٌ جَالِسٌ عَلَى رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدٍ، وَقَدِ اسْتَطَالَ شَعْرُهُ الأَشْعَثُ حَتّى كَادَ أَنْ يَغْمُرَ عَيْنَيْهِ وَفَمَهُ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ خَائِفاً يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ سِرَّ هذا الرَّجُلِ وَطَرِيقَةَ عَيْشِهِ، وَهَلْ هُوَ مِثْلُ بَقِيَّةِ النّاسِ أَمْ مِنْ جِنْسٍ آخَرَ يُشْبِهُ البَشَرَ..؟ وَسَلَّمَ بِصَوْتٍ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مُرْتَعِدٍ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ السَّلاَمَ بِبَشَاشَةٍ وَلُطْفٍ.

قَالَ عَبْدُاللهِ: أَلاَ يُوْجَدُ لَكَ مَسكَنٌ في المدِينَةِ تَسْكُنُهُ بَدَلَ هَذا الكَهْفِ؟ قالَ الشَّيخ: أَرَدْتُ العُزْلَةَ لِوَحْدِي هُنَا بَعِيداً عَنِ النَّاسِ. قالَ عَبْدُاللهِ: وَمَنْ يُضَايِقُكَ مِنَ النَّاسِ؟ فَسَكَتَ الشَّيخُ ولَمْ يُجِبْ، فَأَلَحَّ عَبْدُاللهِ عَلَيْهِ بِالسُّؤالِ، إِنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَعرِفَ سِرَّ هَذَا الشَّيخ.

قَالَ الشَّيْخُ: لاَ أُخْبِرُكَ بِحَقِيْقَةِ أَمْرِي حَتَّى تَعِدَنِي بِكِتْمَانِ مَا أُخْبِرُكَ بِهِ.

قَالَ عَبْدُاللهِ: أَعِدُكَ بِذَلِك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قَالَ الشَّيْخُ: يا بُنَيّ إِنَّ مَلِكَ البِلاَدِ طَاغِيَةٌ جَبّارٌ يَدَّعِي الأُلُوهِيَّةَ، وَيَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَمَا هُو إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا خَلَقَنَا اللهُ وَإِيَّاهُ، فَالعِبَادَةُ لاَ تَكُونُ إِلاّ لِلخَالِقِ مِنَ المَخْلُوقِينَ، لِذَلِك أَنْكَرْتُ دَعْوى المَلِكِ، وَهَجَرْتُ مَسْكَنِي وَأَتَيْتُ إِلى هذا المَكَانِ المُنْقَطِعِ أَتَعَبَّدُ خَالِقِي بَعِيْداً عَنْ رَقَابَةِ المَلِكِ.

وَتَهَلَّلَ وَجْهُ عَبْدِالله مِمَّا سَمِعَ مِنْ هَذا الشَّيخِ الوَقُورِ، إِنَّ كَلاَمَهُ جَمِيْلٌ يَدْخُلُ في القَلْبِ، وَنَبَراتُ الشَّيخِ صَادِقةٌ، يَدُلُّ عَلى ذَلك

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أَنَّه ضَحَّى بِكُلِّ شَيءٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْبُدَ اللهَ الّذي أَحَبَّهُ وَوَقَرَ في قَلْبِهِ، لَقَد تَرَكَ مَسْكَنَهُ وَفِرَاشَهُ وَأَطَايِبَ الطَّعَامِ في البَلْدَةِ، وَهُوَ اليومَ يَعِيشُ هُنَا مُنْقَطِعاً عَنِ النَّاسِ، يَعِيْشُ عِيْشَةً تُشْبِهُ عِيْشَةَ وُحُوشِ الفَلاَةِ، يَقْتَاتُ مِنَ العُشْبِ وَالشَّجَرِ، إِنَّهُ هَجَرَ نَعِيْمَ الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَبْقَى لَهُ دِيْنُهُ وإِيْمَانُهُ، مَرّتْ هَذِهِ الخَوَاطِرُ في ذِهْنِ عَبْدِاللهِ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلاّ أَنْ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ أَمَامَ الشّيخِ، وَقَالَ لَهُ: عَلِّمْنِي مِمَّا تَعْلَمُ، فَقَدْ واللهِ أَحْبَبْتُكَ أَيُّها الشّيْخُ الوَقُورُ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قَالَ الشَّيْخُ: الحَمْدُ للهِ الّذِي هَدَاكَ يَا بُنَيَّ، سَأُعَلِّمُكَ إِنْ شَاءَ اللهُ مَا أَعْلَمُ، وَلَكِنْ بِشَرْطٍ وَاحِدٍ.

قَالَ عَبْدُالله: اشْتَرِطْ مَا تُرِيدُ فَأَنَا سَامِعٌ وَمُطِيعٌ.

قَالَ الشَّيْخُ: إِيّاكَ أَنْ تُخْبِرَ أَحَداً بِأَمْرِي، وَلْيَكُنْ ما تَعْلَمُهُ عَنِّي سِرّاً لاَ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، ثُمَّ عَلَيْكَ أَنْ تَتَرَدَّدَ عَلَيَّ بَيْنَ حِيْنٍ وَآخَر حَتّى أُعَلِّمَكَ، فَالْعِلمُ يَحْتَاجُ إلى الصَّبْرِ وَالمُدَاوَمَةِ.

قَالَ عَبْدُاللهِ: اتَّفَقْنَا، وَانْصَرَفَ مُوَدِّعاً الشَّيْخَ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَادَ عَبْدُاللهِ مُسْرِعاً إلى سَاحِرِ المَلِكِ، لَقَدْ تَأَخَّرَ كَثِيراً هَذا اليَومِ، ولَمّا وَصَلَ إلى السَّاحِرِ قَالَ لَهُ السَّاحِرُ: مَا أَخَّرَكَ عَنَّا هَذا اليَومِ؟ فَالغِيَابُ يُضِرُّ بِكَ وَيُؤَخّرُكَ عَنْ تَعَلُّمِ السّحرِ، وَأَخَذَ دُرُوسَهُ مِنَ السَّاحِرِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلى أَهْلِهِ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يَخْرُجُ كُلَّ يومٍ إلى الشَّيْخِ في الصَّباحِ البَاكِرِ، يَتَلَقَّى مِنْهُ عُلُومَ الدّينِ حَتّى وَعَى حَقَائِقَ الإِيمانِ والتَّوْحِيْدِ، فَوَقَرَتْ في صَدْرِهِ، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ واحِدٌ أَحَدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ، خَلَقَ النَّاسَ والمَخْلُوقَاتِ جَمِيْعاً، وَهُوَ القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَمَا المَلِكُ وَالجُنُودُ إِلاّ مَخْلُوقَاتٌ كَغَيْرِهِمْ مِنَ البَشَرِ، لِذَلِكَ بَدَأَ يَكْرَهُ السّاحِرَ والمَلِكَ لِكَذِبِهِمَا، وَخِدَاعِهِمَا للنَّاسِ.

وَفي ذَاتِ يَوْمٍ، بَيْنَما كَانَ عَبْدُاللهِ عَائِداً مِنْ كَهْفِ الشَّيْخِ قَاصِداً قَصْرَ السَّاحِرِ، إِذَا بِهِ يَرَى جَمْهَرَةً مِنَ النّاسِ تَسُدُّ الطَّرِيْقَ، وَقَدْ بَدَا عَلَيْهِمُ الخَوْفُ وَالقَلَقُ والاضْطِرَابُ، فَاقْتَرَبَ وَسَأَلَ عَنْ سَبَبِ هَذا الحَشْدِ مِنَ النَّاسِ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ هُنَاكَ أَفْعىً كَبِيْرَةً تَقِفُ في عَرْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ فَغَرَتْ فَاهَا لِتَلْتَهِمَ مَنْ يَقْتَرِبُ مِنْهَا، وَالنَّاسُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كُلُّهُمْ خَائِفُونَ، لاَ يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلى الاقْتِرَابِ مِنْها، وَقَدْ تَعَطَّلَتْ مَصَالِحُ النَّاسِ، وَقَطَعَتِ المُرُوْرَ بَيْنَ شَطْرَيِ المَدِينَةِ.

قَالَ عَبْدُاللهِ: أَرُوْنِي الأَفْعَى، وَابْتَعَدَ النَّاسُ وَنَظَرَ عَبْدُاللهِ، فَإِذَا دَابَّةٌ مُخِيْفَةٌ قَدِ انْتَصَبَ رَأْسُهَا، وَمَدَّتْ لِسَانَهَا المُتَشَعِّبَ الطَّوِيْلَ، وَجَحَظَتْ بِعَيْنَيْهَا الوَاسِعَتَيْنِ المُحْمَرَّتَيْنِ كَأَنَّهُمَا جَمْرَتَانِ مِنْ نَارٍ، وَبَيْنَ حِيْنٍ وَآخَرَ تُخْرِجُ مِنْ فَمِهَا فَحِيْحاً مُخِيْفاً، تُطَيِّرُ مِنْ شِدَّتِهِ التُّرَابَ وَالرِّمَالَ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قَالَ عَبْدُاللهِ: يَا لَلْهَوْلِ! مَاذَا أَفْعَلُ لأُنقِذَ النَّاسَ؟ وَلَمَعَتْ في رَأْسِهِ فِكْرَةٌ رَائِعَةٌ، وَقَالَ في نَفْسِهِ: الآنَ أُجَرِّبُ وَأَعْرِفُ مَنِ الصَّادِقُ مَنْهُما. الشَّيخُ أَمِ السَّاحِرُ؟ ثُمَّ حَمَل حَجَراً وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ الشَّيْخُ أَفْضَلَ لي مِنَ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ بِقُدْرَتِكَ هذِهِ الأَفْعَى، وَرَمَاهَا بِالحَجَرِ فَقَتَلَهَا، وَفَرِحَ النَّاسُ بِمَا فَعَلَ عَبْدُاللهِ فَشَكَرُوْهُ، وَهَنَّؤُوْهُ عَلَى شَجَاعَتِهِ وَقُوَّتِهِ، وَعَبَروا الطَّرِيْقَ فَرِحِيْنَ، فَانْتَشَرَ خَبَرُهُ وَمَا فَعَلَ، وَأَصْبَحَ قِصَّةً تُذَاعُ بَيْنَ النَّاسِ في كُلِّ مَكَانٍ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ عَبْدُاللهِ إِلى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قَصْرِ المَلِكِ، كَانَ الخَبَرُ قد سَبَقَهُ إلى المَلِكِ، فَسُرَّ المَلِكُ وَفَرِحَ بِمَا صَنَعَهُ عَبْدُاللهِ، وَقَالَ: لَقَدْ تَعَلَّمَ عَبْدُاللهِ السّحرَ وَأَتْقَنَهُ، لِذَلِكَ اسْتَقْبَلَ المَلِكُ عَبْدَاللهِ بِالْبِشْرِ وَالسَّعَادَةِ، وَقَالَ لَهُ: حَقّاً إِنَّكَ وَلَدٌ ذَكِيٌّ، لَقَدْ أَتْقَنْتَ تَعَلُّمَ السِّحْرِ وَتَفَوَّقْتَ بِهِ.

قَالَ عَبْدُاللهِ: كَلاّ أَيُّها المَلِكُ لَمْ أَتَعَلَّم السِّحْرَ، إِنَّما قَتَلْتُ الأَفْعَى بِإِرَادَة اللهِ رَبّي لَمّا دَعَوْتُهُ وتَضَرَّعْتُ إِلَيْهِ.

قَالَ المَلِكُ: وَهَلْ لَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قَالَ عَبْدالله: نَعَم، رَبّيَ الله، وَأَنْتَ بَشَرٌ مثْلُنَا لاَ فَرْقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، فَكَيْفَ تَكُونُ رَبّاً وَأَنْتَ مَخْلُوقٌ ضَعِيْفٌ.

غَضِبَ المَلِكُ مِنْ كَلاَمِ عَبْدِالله، وَنَادَى حَرَسَهُ فَأَمْسَكُوْهُ وَقَيَّدُوْهُ، وَقَالَ لَهُ: مِنْ أَيْنَ تَعَلَّمْتَ هَذَا الكلاَمَ؟ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ تَفْكِيْرِكَ، أَخْبِرْنِي مَنْ عَلَّمَكَ هذا الكلام؟ إِنَّهُ مِنْ أَعْدَائي، أَلَيْسَ كَذلِكَ؟ لَنْ تُتْرَكَ حَتَّى تُخْبِرَنِي أَوْ أُعَذِّبَكَ عَذَاباً شَدِيْداً، ثُمَّ أَعْطَى الأَمْرَ لِلحُرَّاسِ أَنْ يَجْلِدُوْهُ، وَمَا إِنْ سَمِعَ الحُرَّاسُ أَوَامِرَ المَلِكِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حَتّى انْهَالُوا عَلَيْهِ ضَرْباً بِالسّياطِ الغَلِيْظَةِ، وَلَمْ يَحْتَمِلْ جِسْمُ عَبْدِاللهِ لَسْعَ السّياطِ، إِنَّ جِسْمَهُ مَا زَالَ غَضّاً لَمْ تَكْتَمِلْ فِيهِ قُوَّةُ الشَّبَابِ، وَكَذلِكَ فَإِنَّ تَرْبِيَتَهُ عَلَى الرَّفَاهِيَةِ لَهَا تَأْثِيْرٌ أَيْضاً في عَدَمِ تَحَمُّلِهِ التَّعْذِيْبَ، لِذَلِكَ بَاحَ بِالسّرِ وَدَلَّ المَلِكَ عَلَى مَكَانِ الشَّيْخِ، وَانْطَلَقَ الجُنُوْدُ إِلى الكَهْفِ وَهُمْ مُدَجَّجُونَ بِالسّلاَحِ، فَلَمَّا وَصَلُوا الكَهْفَ دَخَلُوْهُ وَهُمْ يُشْرِعُوْنَ الحِرَابَ، حَتَّى احْتَاطُوا الشَّيْخَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَنَظَرَ الشّيخُ وَعَلِمَ أَنَّ عَبْدَاللهِ قَدْ وَشَى بِهِ، فَهَزَّ رَأْسَهُ وَاسْتَسْلَمَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لِقَضَاءِ الله، ثُمَّ سَارَ مَعَهُمْ مُكَبَّلاً بِالأَغْلاَلِ، حَتّى طَرَحُوْهُ أَرْضاً بَيْنَ يَدَيِ المَلِكِ، وَنَظَرَ المَلِكُ إلى الشَّيْخِ فَعَرَفَهُ، إِنَّهُ مِنَ المُعَارِضِيْنَ لِدَعْوَاهُ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ سَاخِراً: هَذَا أَنْتَ أَيُّها الجَاحِدُ لِنِعْمَتِيْ! لَقَدْ أَفْسَدْتَ بِخُرُوجِكَ عَنْ طَاعَتِي أَخْلاَقَ الجِيْلِ الصَّاعِدِ مِنَ الشَّبَابِ، وَلَوْ تَرَكْتُكَ تَفْعَلُ مَا تُرِيْدُ فَسَتُفْسِدُ عَلَيَّ النَّاسَ، هَيَّا أَيُّها الجُنُودُ أَدِّبُوْهُ بِالسِّياطِ حَتَّى يُقِرَّ بِأُلُوهِيَّتِي، وَانْهَالَ الجُنُوْدُ عَلَى الشّيخِ المِسْكِيْنِ ضَرْباً بِالسِّياطِ، وَالشّيخُ صَامِتٌ إِلاّ مِنْ تَمْتَمَاتٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يُوَحِّدُ الله رَبَّ العَالَمِيْن، ثُمَّ أَوْقَفَ المَلِكُ عَنْهُ ضَرْبَ السِّيَاطِ، وَقَال لَهُ: أَمَا زِلْتَ عَلَى رَأْيِكَ؟ هَزَّ الشّيخُ رَأْسَهُ أَنْ نَعَمْ، فَغَضِبَ المَلِكُ وَرَكَلَ الشّيْخَ بِرِجْلِهِ ثُمَّ قَال لِلحَرَسِ: هَاتُوا المِنْشَارَ وَانْشُرُوْهُ نِصْفَيْنِ، فَأَنَا لاَ أُرِيْدُ أَنْ أَرَىٰ رَأْسَهُ المُعَانِدَ سَلِيْماً. وَأَحْضَرَ الجُنُوْدُ المِنْشَارَ وَرَبَطُوا الشّيْخَ مِنْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وَشَدُّوا كُلَّ طَرَفٍ إلى عَمُودٍ ثُمَّ نَشَرُوْهُ نِصْفَيْنِ.

تَأَلَّمَ عَبْدُاللهِ لِهذَا المَنْظَر، وَثَارَ عَلَى المَلِكِ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ طَاغِيَةٌ جَبّارٌ، أَنْتَ عَدُوُّ الشَّعبِ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَأَمْسَكَهُ الجُنُودُ وَضَرَبُوهُ ثُمَّ طَرَحُوْهُ أَمَامَ المَلِكِ.

قَالَ المَلِكُ: لَقَدْ رَأَيْتَ ما فَعَلْنَا بِهذَا الشَّيْخِ، وَإِنْ لَمْ تَرْجِعْ عَنْ أَفْكَارِكَ المُخَالِفَةِ لَنَا فَسَأَصْنَعُ بِكَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُ بِهِ، لَكِنَّ عَبْدَاللهِ ظَلَّ بَاقِياً عَلَى مَبْدَئِهِ، فَاغْتَاظَ مِنْهُ المَلِكُ وَقَالَ لِجُنْدِهِ: اذْهَبُوا بِهِ وَأَلْقُوهُ مُكَبَّلاً فِي البَحْرِ.

وَانْطَلَقُوا بِهِ نَحْوَ البَحْرِ، وَأَرْكَبُوهُ زَوْرَقاً وَتَوَسَّطُوا بِهِ البَحْرَ، وَلَمَّا حَمَلُوهُ وَهَمُّوا بِإِلْقَائِهِ، دَعَا رَبَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِيْنَ، فَانْقَلَبَتِ السَّفِينَةُ وَغَرِقَ مَنْ فِيها، وَنَجَا عَبْدُاللهِ بِمُفْرَدِهِ، فَرَجَعَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِلى الـمَـلِكِ وَقَالَ لَهُ: عَلَيْكَ أَنْ تَرْجِع عَنْ ظُلْمِكَ وَأَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ تَعَالى رَبّاً لَكَ، لَقَدْ أَغْرَقَ الله جُنُودَكَ وَأَنْقَذَني مِنَ الغَرَقِ، فَغَضِبَ المَلِكُ الجَبَّارُ ثَانِيَةً وَأَمَرَ بِحَمْلِهِ إِلى أَحَدِ الجِبَالِ المُرْتَفِعَةِ لِإِلْقَائِهِ مِنْ فَوْقِهَا، وَحَمَلَهُ الجُنُوْدُ، وَانْطَلَقُوا بِهِ نَحو الجَبَلِ، وَلَمّا وَصَلُوا إِلى قِمَّتِهِ وَهَمُّوا بِإِلقَائِهِ، دَعَا رَبَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ مِنَ القَوْمِ الكَافِرِيْنَ، فَاهْتَزَّ الجَبَلُ وَسَقَطَ الجُنُودُ مِنْ فَوْقِهِ إِلاّ عَبْدَاللهِ فَإِنَّهُ نَجَا، ثُمَّ عَادَ إِلى المَلِكِ يَأْمُرُهُ بِتَرْكِ الكُفْرِ وَالتَّوْبَةِ مِمَّا فَعَلَ والعَوْدَةِ إِلى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الإيمَانِ باللهِ الواحِدِ الأَحَدِ، لَكِنَّ المَلِكَ أَصَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وطُغْيَانِهِ.

كَيْفَ أَقْتُلُهُ؟:

وَحَارَ المَلِكُ وَجُنَّ جُنُوْنُهُ وَهُوَ يَقُوْلُ: أَيُّ شَيْطَانٍ هَذَا الغُلاَمُ! كَيْفَ أَقْتُلُهُ؟ قَالَ لَهُ عَبْدُ الله: هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى طَرِيْقَة تَقْتُلُنِي بِهَا؟

أَجَابَ المَلِكُ بِلَهْفَةٍ: وَمَا هِيَ؟

قَالَ عَبْدُاللهِ: تَصْلِبُنِي عَلَى عَمُوْدٍ، ثُمَّ تَحْمِلُ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِي، وَتَرمِيْني بِهِ أَمَامَ النّاس وَأَنْتَ تَقُوْلُ: بَاسْمِ اللهِ رَبِّ هَذَا الغُلامِ، عِنْدَ ذَلِكَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تَقْتُلُنِي. فَرِحَ المَلِكُ لأَنَّهُ عَرَفَ السِّرَّ، فَجَمَعَ النَّاسَ عَلَى عَجَلٍ، وَجَمَعَ حَوْلَهُ الأَتْبَاعَ وَالأَعْوَانَ، وَقَالَ لَهُمْ: سَتَرَوْنَ قُوّتي اليومَ، وَسَتَرَوْنَ ضَآلَةَ هَذا الغُلامِ أَمَامَ سُطْوَتِي وَجَبَرُوتِي.

وَاحْتَشَدَ آلافُ النَّاسِ لِيَرَوْا المَشْهَدَ العُجَابَ، لَقَدْ رُبِطَ عَبْدُاللهِ، وَشُدَّ وِثَاقُهُ تَمَاماً إلى عَمُوْدٍ طَويلٍ ضَخْمٍ في سَاحَةٍ وَاسِعَةٍ، وَأَحَاطَ بِهِ عَدَدٌ كَبِيْرٌ مِنْ جُنُودِ المَلِكِ المُدَجّجِيْنَ بِالسِّلاَحِ، وَنَصَبَ المَلِكُ تُجَاهَهُ مِنَصَّتَهُ المَلَكِيّةَ الفَخْمَةَ، وَهِيَ تَزْهُو بِالزِّيْنَاتِ وَالأَعْلاَمِ، وَرَفَعَ نَفْسَهُ عَلَى كُرْسِيٍّ فَخْمٍ عَظِيْمٍ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَارْتَدَى لِبَاسَ الحَرْبِ وَالمَيْدَانِ وَعَلَّقَ عَلَى رَقَبَتِهِ القَلائِدَ الذَّهَبِيَّةَ، وَرَفَعَ فَوْقَ رَأْسِهِ التَّاجَ المُرَصَّعَ بِأَغْلَى الجَوَاهِرِ.

ثُمَّ حَانَتْ سَاعَةُ الصِّفْرِ عِنْدَمَا تَرَجَّلَ المَلِكُ مِنْ فَوْقِ مِنَصَّتِهِ، وَمَشَى وَئِيْدَاً رَافِعَ الرَّأْسِ تِجَاهَ عَبْدِاللهِ، فَأَفْسَحَ لَهُ الجُنُوْدُ الطَّرِيْقَ، وَاقْتَرَبَ مِنْ عَبْدِاللهِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ تَارَةً، وَإِلَى الجُمُوْعِ المُحْتَشِدَةِ تَارَةً أُخْرَى، بِكُلِّ صَلَفٍ وَكِبْرِيَاءٍ، وَأَخَذَ مِن كِنَانَةِ عَبْدِاللهِ سَهْماً وَوَضَعَهُ في قَوْسِهِ، ثُمَّ ابْتَعَدَ لِلوَرَاءِ قَلِيْلاً وَصَوَّبَ السَّهْمَ إلى صَدْغِ عَبْدِاللهِ، وَشَدَّ الوَتَرَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثُمَّ أَرْخَاهُ، وَتَرَدَّدَ لَحْظَةً، إِنَّهُ يَخْشى أَنْ يَكُونَ عَبْدُاللهِ قَدْ خَدَعَهُ فَيَفْشَلَ أَمَامَ شعْبِهِ، لكِنَّهُ تَذَكَّرَ فِعْلَ عَبْدِاللهِ وَخَطَرَهُ ضِدّ مُلْكِهِ، فَشَدَّ الوَتَرَ بِقُوَّةٍ وَصَاحَ في النّاس قَائِلاً: انْظُروا إلى مَصِيْرِ مَنْ يُخَالِفُ أَوَامِرِي وَيَعْصِيني، انْظُروا إلى هَذا الغُلامِ المُتَمَرِّدِ عَلَى أَمْرِ مَلِكِهِ، وَزَادَ مِنْ قُوّةِ صَوْتِهِ وَهُوَ يَقُوْلُ: «بِسْمِ الله رَبِّ هَذَا الغُلامِ». وَأَطْلَقَ السَّهْمَ فَجَاءَ السَّهْمُ في صَدْغِ عَبْدِاللهِ، وَانْبَجَسَ مِنْهُ الدَّمُ الذَكِيُّ، فَتَبسَّمَ عَبْدُاللهِ ثُمَّ فَاضَتْ رُوْحُهُ إِلى بَارِئِهَا، لِتَلْتَقِيَ في جِنَانِ اللهِ مَعَ الصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الثَّوْرَةُ:

وَمَا إِنْ سَمِعَ النَّاسُ مَا قَالَهُ المَلِكُ الّذي كَانَ يَدَّعي الأُلُوهِيَّةَ، حَتّى تَبَيّنُوا الحَقِيْقَةَ، إِنّ المَلِكَ لَيْسَ هُوَ الرَّبُّ كَمَا يَدّعِي، لَقَدْ قَالَ بِلِسَانِهِ: بِسْمِ الله رَبِّ هَذَا الغُلامِ، وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ، ثُمَّ صَاحُوا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: آمَنَّا بِرَبِّ هذا الغُلَام، وَكَفَرْنَا بِالمَلِكِ وَدَعْوَاهُ الكَاذِبَةِ، ثُمَّ هَاجُوا واضْطَرَبُوا وَهَجَمُوا عَلَى مِنَصَّةِ المَلِكِ لِيَقْتُلُوهُ، فَدَافَعَ عَنْهُ جُنُودُهُ وَحُرَّاسُهُ، وَصَدُّوا النَّاسَ الّذينَ لاَ يَحْمِلُوْنَ مَعَهُمْ أَيَّ سِلاحٍ، وَأَمَرَ المَلِكُ جُنُودَهُ بِإِلْقَاءِ القَبْضِ عَلَيْهِمْ جَمِيْعاً، لَقَدْ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ظَنَّ المَلِكُ أَنَّهُ سَيَتَخَلَّصُ مِنْ عَبْدِاللهِ بِسُهُوْلَةٍ عِنْدَمَا يَقْتُلُهُ بِهذَا الشَّكْلِ، لَكِنَّهُ أَخْطَأَ الطَّرِيْقَ، وَبَرْهَنَ عَلَى جَهْلِهِ، إِنَّهُ لاَ يَصْلُحُ أَنْ يَكُوْنَ حَاكِماً فَكَيْفَ بِهِ يَدَّعِي الأُلُوهِيَّةَ؟ أَلا سُحْقاً لِهذا المَلِكِ الضّال، لَقَدْ ثَارَ عَلَيْهِ آلافُ النَّاسِ، وَانْقَلَبَتْ عَلَيْهِ كُلُّ شُعُوبِ اليَمَنِ تُطَالِبُ بِقَتْلِهِ أَوْ عَزْلِهِ، وَهَكَذَا اسْتَطَاعَ الشَّهِيْدُ عَبْدُالله، أَنْ يُحَرِّكَ الشَّعْبَ الخَائِفَ ضِدَّ المَلِكِ الطَّاغِيَةِ الجَبَّارِ، بَعْدَ أَنْ ضَحَّى بِنَفْسِهِ رَحِمَهُ الله.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قصص إسلامية للأطفال

المحفظة الضائعة

تأليف
محمد منير الجنباز

مكتبة التوبة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ⓒ مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجنباز، محمد منير

المحفظة الضائعة.- الرياض

٣٨ص، ١٧×٢٤سم.- (سلسلة قصص إسلامية للأطفال)

ردمك: ٩ - ٤٥ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

١ - القصص الإسلامية ٢ - قصص الأطفال أ - العنوان

ب - السلسلة

ديوي ٨١٣،٠٨٨ ٢٠/٣٨١٦

رقم الإيداع: ٢٠/٣٨١٦

ردمك: ٩ - ٤٥ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

جميع حقوق الطبع محفوظة

طبعة جديدة منقحة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

التوبة

الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير

هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

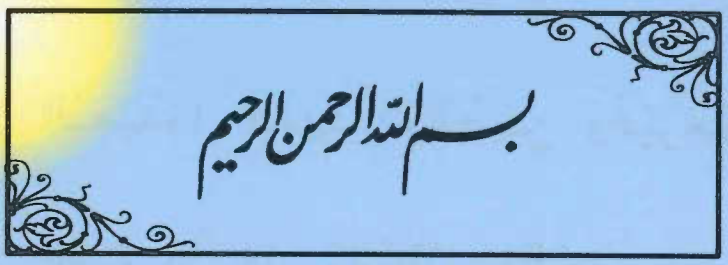

مُصْطَفَى تَاجِرٌ كَبِيْرٌ وَغَنِيٌّ، اشْتُهِرَ بَيْنَ النَّاسِ بِالصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ، لِذَلِكَ قَصَدَهُ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ، وَتَعَامَلُوا مَعَهُ لِثِقَتِهِمْ بِهِ، وَاطْمِئْنَانِهِمْ عَلَى جَوْدَةِ بِضَاعَتِهِ، فَأَحَبُّوْهُ كَثِيْراً، وَكَثُرَتْ زَبَائِنُ مُصْطَفَى، وَازْدَادَتْ ثَرْوَتُهُ نَتِيْجَةً لِذَلِكَ، وَعَظُمَتْ حَتَّى امْتَلَكَ سَفِيْنَةً كَبِيْرَةً خَاصَّةً بِهِ، تَمْخُرُ عُبَابَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البَحْرِ، لِتَنْقُلَ لَهُ أَفْخَرَ البَضَائِعِ وَأَغْلاَهَا مِنْ بِلادِ الشَّرقِ البَعِيْدَةِ؛ كَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الجَزَائِرِ الغَنِيَّةِ بالتَّوَابِلِ وَالعُطُوْرِ وَالحَرِيْرِ.

وَعِنْدَمَا جَاءَ مَوْسِمُ الحَجِّ وَأَذَّنَ مُؤَذِّنُ الحَجِّ، يَدْعُو النَّاسَ الرَّاغِبِيْنَ في أَدَاءِ فَرِيْضَةِ الحج، لِلاسْتِعْدَادِ لِذَلِكَ، سَمِعَهُ مُصْطَفَى وَتَاقَتْ نَفْسُهُ لِلسَّفَرِ وَقَالَ: لَقَدْ فُرِضَ عَلَيَّ الحَجُّ لأَنَّنِي مُسْتَطِيْعٌ، وَعَلَيَّ أَنْ أُلَبِّيَ نِدَاءَ الله، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

www.alukah.net

الذَّهَابُ إِلى الحج:

أَعَدَّ مُصْطَفَى عُدَّتَهُ، وَجَهَّزَ رَاحِلَتَهُ، وَانْطَلَقَ مُتَوَكِّلاً عَلَى اللهِ مَعَ قَافِلَةِ الحَجِّ، وَسَارَتِ القَافِلَةُ مُتَوَجِّهَةً إِلى مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ، وَفِي الطَّرِيْقِ تَوَقَّفَتِ القَافِلَةُ في أَمَاكِنَ كَثِيْرَةٍ، لِلاسْتِرَاحَةِ وَقَضَاءِ الحَاجَةِ، وَبَاتَ المُسافِرُونَ لَيَالِيَ كَثِيْرَةً عَلَى الطَّرِيْقِ، ثُمَّ وَصَلُوا إِلى المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ، وَوَصَلَ مَعَهُمْ مُصْطَفَى، وَبَعْدَ اسْتِرَاحَةٍ قَصِيْرَةٍ في المَدِيْنَةِ، أَرَادَ مُصْطَفَى أَنْ يَشْتَرِيَ بَعْضَ الحَاجَاتِ اللاّزِمَةِ لَهُ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلى جَيْبِهِ لِيُخْرِجَ مِنْهُ المَحْفَظَةَ فَلَمْ يَجِدْهَا، وَتَفَقَّدَهَا بَيْنَ أَغْرَاضِهِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَمَتاعِهِ لَعَلَّهَا تَكُوْنُ بَيْنَهَا، فَلَمْ يَعْثُرْ عَلَيْهَا أَيْضاً، وَهُنَا أَيْقَنَ أَنَّ مِحْفَظَتَهُ قَدْ ضَاعَتْ، وَضَاعَ مَالُهُ المُخَبَّأُ فِيْهَا، لَقَدْ وَضَعَ فِيْهَا ثَلاثَةَ آلافِ دِيْنَارٍ، وَهُوَ مَبْلَغٌ كَبِيْرٌ يَكْفِيْهِ لأَدَاءِ فَرِيْضَةِ الحَجّ، وَيَزِيْدُ مِنْهُ مِقْدَارٌ كَبِيْرٌ كَانَ يَنْوِي مُصْطَفَى أَنْ يَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَى فُقَرَاءِ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ، لَكِنْ مَا العَمَلُ؟ لَقَدْ فَقَدَ كُلَّ مَالِهِ.

فَكَّرَ مُصْطَفَى قَلِيْلاً بِمَا حَصَلَ لَهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَحْزَنْ، وَلَمْ يَيْأَسْ مِنْ إِتْمَامِ حَجِّهِ، وَقَالَ: هَذا قَضَاءُ اللهِ، إِنَّهُ غَنِيٌّ فِي بِلادِهِ، وَيَمْلِكُ آلافَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدَّنَانِيْرِ، فَلا مَانِعَ عِنْدَهُ أَنْ يَقْتَرِضَ المَالَ مِنْ أَصْحَابِهِ الّذينَ مَعَهُ في القَافِلَةِ، فَيُكْمِلُ حَجَّهُ، ثُمَّ يَرُدُّ لَهُمُ المَالَ عِنْدَ عَوْدَتِهِ إِلى بَلَدِهِ، وَطَلَبَ مُصْطَفَى مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يُقْرِضُوْهُ مَبْلَغاً مِنَ المَالِ، فَسَارَعَ الجَمِيْعُ إلى تَلْبِيَةِ طَلَبِهِ لِمَكَانَتِهِ عِنْدَهُمْ، وَجَمَعُوا لَهُ مَا أَرَادَ مِنَ المَالِ، فَأَكْمَلَ مُصْطَفَى طَرِيْقَهُ، فَحَجَّ وَتَصَدَّقَ عَلَى الفُقَرَاءِ كَمَا كَانَ يَنْوِي، وَعَادَ إِلى بَلَدِهِ فَرِحاً مَسْرُوْراً بِمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ تَأْدِيَةِ فَرِيْضَةِ الحَجِّ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ إلى بَلَدِهِ، أَعَادَ المَالَ الّذي اقْتَرَضَهُ مِنْ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أَصْحَابِهِ، وَشَكَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

الكَوَارِثُ تَتَوَالَى عَلَى مُصْطَفَى:

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ، وَكَانَ مُصْطَفى ما يَزَالُ تَاجِراً كَبِيْراً لَهُ سُمْعَتُهُ الحَسَنَةُ، تَغْمُرُهُ نِعَمُ اللهِ الكَثِيْرَةُ مِنَ المَالِ وَالصِّحَّةِ وَالأَوْلاَدِ، وَكَانَ دَائِمَ الحَمْدِ والشُّكْرِ للهِ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ، كَمَا أَنَّهُ مَا كَانَ يَنْسَى أَبَداً أَنْ يُعَلِّمَ أَوْلاَدَهُ التَّمَسُّكَ بِالدِّيْنِ وَالأَخْلاَقِ الحَمِيْدَةِ، وَشُكْرَ اللهِ واسْتِغْفَارَهُ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، وَكَانَ عِنْدَهُ وَلَدَانِ شَابَّانِ وَطِفْلَةٌ رَضِيْعَةٌ، يَعِيْشُونَ تَحْتَ رِعَايَتِهِ، وَهُمْ في

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

غَايَةِ الأَدَبِ وَالاِحْتِرامِ لِوَالِدَيْهِمْ.

وَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ، وَبَيْنَمَا كَانَ مُصْطَفَى جَالِساً عَلَى مَائِدَةِ الطَّعَامِ وَقْتَ الغَدَاءِ مَعَ زَوْجَتِهِ وَأَوْلاَدِهِ، قُرِعَ بَابُ الدَّارِ، فَخَرَجَ أَحَدُ أَوْلاَدِ مُصْطَفَى لِفَتْحِ البَابِ، فَإِذا الخَادِمُ حَسَنٌ يَطْلُبُ مُقَابَلَةَ سَيِّدِهِ مُصْطَفَى لأمرٍ هَامٍّ، فَقَامَ إِلَيْهِ مُصْطَفَى، وَقَالَ لَهُ: مَا حَاجَتُكَ وَلأيِّ أَمْرٍ هَامٍّ تَطْلُبُ مُقَابَلَتِي؟ فَمَكَثَ الخَادِمُ صَامِتاً بُرْهَةً دُوْنَ جَوَابٍ، وَهُوَ مُرْتَجِفٌ، وَفِي وَجْهِهِ لَوْنُ صُفْرَةٍ تَدُلُّ عَلَى الخَوْفِ، أَوْ عَلَى كِتْمَانِ نَبَأٍ خَطِيْرٍ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فَقَالَ مُصْطَفَى ثَانِيَةً: انْطُقْ يَا هَذَا، مَا بِكَ خَائِفٌ؟ لَقَدْ جَعَلْتَنِي في حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِي.

قَالَ حَسَنٌ: إِنَّ السَّفِينَةَ الّتي تَمْتَلِكُهَا يَا سَيِّدِي غَرِقَتْ في البَحْرِ وَهِيَ عَائِدَةٌ مِنَ الهِنْدِ. مَعَ كُلِّ مَا فِيهَا مِنَ البَضَائِعِ، أَطْرَقَ مُصْطَفَى قَلِيلاً لِهذا الخَبَرِ المُؤْلِمِ، ثُمَّ ما زَادَ أَنْ قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلا قُوَّة إِلاَّ باللهِ، عُدْ رَاشِداً إِلى الدُّكَّانِ يَا حَسَن، هَذِهِ إِرَادَةُ اللهِ، وَلاَ مَرَدَّ لِقَضَائِهِ، وَدَخَلَ مُصْطَفَى إِلى بَيْتِهِ، ثُمَّ عَادَ إلى مَائِدَةِ الطَّعَامِ يُتَابِعُ طَعَامَهُ مَعَ أَهْلِهِ وَأَوْلادِهِ، إِنَّهُ لَمْ يَحْزَنْ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَلَمْ يَتَأَلَّمْ، بَلْ سَلَّمَ أَمْرَهُ إِلى اللهِ، على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَذِهِ السَّفِينَةَ الّتي غَرِقَتْ بِالبَضَائِعِ تُسَاوِي ثَلاثَةَ أَرْبَاعِ ثَرْوَتِهِ، وَعَادَ لِلْعَمَلِ في دُكّانِهِ بِهِمَّةٍ وَعَزْمٍ جَدِيْدٍ، مُحَاوِلاً أَنْ يَسْتَعِيْدَ ثَرْوَتَهُ الضَّائِعَةَ.

وَلَكِنْ بَعْدَ أَيَّامٍ مِنَ العَمَلِ أَتَاهُ نَبَأُ مَصْرَعِ وَلَدَيْهِ، لَقَدِ انْهَدَمَ جِدَارٌ قَدِيْمٌ فَوْقَهُمَا، فَمَاتَا تَحْتَ الأَنْقَاضِ، وَلَمْ تُفْلِحِ الجُهُوْدُ المَبْذُوْلَةُ مِنَ النّاسِ لإِخْرَاجِهِمَا عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ، فَحَزِنَ عَلَيْهِمَا وَذَرَفَ دُمُوْعَهُ لِفَقْدِهِمَا، لَكِنَّهُ عَادَ وَتَذَرَّعَ بِالصَّبْرِ وَالدُّعَاءِ لَهُمَا بِالمَغْفِرَةِ وَالرِّضْوانِ، وَمِمَّا خَفَّفَ مِنْ حُزْنِهِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَلَيْهِمَا، أَنَّهُما كَانَا صَالِحَيْنِ مُطِيْعَيْنِ لِوَالِدَيْهِمَا، ثُمَّ سَلَّم أَمْرَهُ إِلى اللهِ تَعَالَى، لأَنَّهُ هُوَ الّذي يُعْطِي وَيَمْنَعُ بِمَا شَاءَ وبِمَا أَرَادَ، وَعَاشَ مُصْطَفَى مَعَ زَوْجَتِهِ وَابْنَتِهِ الرَّضِيْعَةِ، وَتَأَخَّرَتْ حَالَتُهُ وَتِجَارَتُهُ، وَتَرَاجَعَتْ قُوَّتُهُ التِّجَارِيَّةُ في السُّوقِ، فَبَاعَ دَارَهُ الفَخْمَةَ وَاشْتَرَى دَاراً صَغِيْرَةً، وَخَوَى حَانُوْتُهُ مِنَ البَضَائِعِ المَرْغُوْبَةِ في السُّوقِ، فَتَفَرَّقَ عَنْهُ النَّاسُ وَالزَّبائِنُ، وَانْفَضَّ عَنهُ الخَدَمُ لِيَبْحَثُوا عَنْ سَيِّدٍ غَنِيٍّ يَعِيْشُونَ في كَنَفِهِ، وَظَلَّتْ حَالُ مُصْطَفَى في تَرَاجُعٍ عَلَى الدَّوَامِ حَتّى أَصْبَحَ فَقِيْراً لاَ يَمْلِكُ إِلاَّ قُوْتَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يَوْمِهِ، فَضَاقَتْ عَلَيْهِ بَلْدَتُهُ، وَقَرَّرَ الرَّحِيْلَ مِنْهَا وَمُغَادَرَتَهَا إلى بَلْدَةٍ أُخْرَى، لأَنَّهُ أَصْبَحَ يَخْجَلُ مِنْ نَظَرَاتِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَقَدْ أَصْبَحَ مَضْرِبَ المَثَلِ في تَبَدُّلِ حَالِهِ السَّرِيْعِ مِنَ الغِنَى إِلى الفَقْرِ، فَبَعْدَ الغِنَى وَالثِّيَابِ الفَاخِرَةِ الجَمِيْلَةِ الَّتي كَانَ يَرْتَدِيْهَا، أَصْبَحَ يَلْبَسُ ثِيَاباً رَثَّةً بَالِيَةً، وَبَعْدَ الخَدَمِ وَالتَّصَدُّقِ عَلَى الفُقَرَاءِ وَإِنْفَاقِ المَالِ، انفَضَّ عَنْهُ الخَدَمُ وَأَصْبَحَ فَقِيْراً لاَ يَمْلِكُ مَالاً يَتَصَدَّقُ بِهِ، لَقَدْ فَضَّل الرَّحِيْلَ مِنَ البَلْدَةِ، عَلَّ اللهَ تَعَالَى يُبَدِّلُ حَالَهُ، وَتَتَحَسَّنُ مَعِيْشَتُهُ، فَفِي الحَرَكَةِ بَرَكَةٌ، وَعَرَضَ الأَمْرَ عَلَى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زَوْجَتِهِ، فَوَافَقَتْهُ عَلَى فِكْرَتِهِ، وَشَدَّتْ مِنْ عَزِيْمَتِهِ، وَشَجَّعَتْهُ عَلَى الرَّحِيْلِ، لأَنَّهَا هي الأُخْرَى لَمْ تَعُدْ تُطِيْقُ نَظَرَاتِ الشَّمَاتَةِ مِنَ النِّسَاءِ، وَالكَلامَ عَلَيْهَا بَعْدَ الغِنَى وَوَصْفَهَا بِالمِسْكِينَةِ صَاحِبَةِ الحَظِّ العَاثِرِ، لَكِنَّهَا كَانَتْ تَصْبِرُ إِرْضَاءً لِزَوْجِهَا، وَلاَ تَطْلُبُ مِنْهُ مُغَادَرَةَ البَلْدَةِ، أَمَا وَقَدْ عَرَضَ عَلَيْهَا زَوْجُهَا الرَّحِيْلَ فَإِنَّهَا فُرْصَةٌ لِتَغْيِيْرِ البَلَدِ، وَالسَّعْيِ لِلرِّزْقِ، لِذَلِكَ سَهَّلَتْ لَهُ أُمُوْرَ الرَّحِيْلِ.

الرَّحِيْلُ:

جَهَّزَت الزَّوْجَةُ الصّابِرَةُ أَمْتِعَةَ السَّفَرِ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القَلِيْلَةَ، وَبَعْضَ الزَّادِ والشَّرَابِ، وَأَعْلَمَتْ زَوْجَهَا الّذي كَانَ يَنْظُرُ مِنْ شُبَّاكٍ صَغِيْرٍ، وَيُجِيْلُ بَصَرَهُ في بَلْدَتِهِ الّتي سَيَتْرُكُهَا، وَيَتَأَمَّلُ بِشُرُوْدٍ كَبِيْرٍ حَالَهُ السَّابِقَةَ، وَغِنَاهُ وَمَجْدَهُ، وَيَتَذَكَّرُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ بُؤسٍ وَفَقْرٍ، وَطَرَقَتْ سَمْعَهُ كَلِمَاتُ زَوْجَتِهِ الّتي تَقُوْلُ لَهُ: لَقَدِ انْتَهَيْتُ مِنْ حَزْمِ أَمْتِعَتِي فَهَيَّا لِلرَّحِيْلِ، فَالْتَفَتَ وَكَأَنَّهُ قَدْ أَفَاقَ مِنْ حُلُمٍ كَانَ يَغُطُّ فِيْهِ، وَقَالَ: هَيّا إِذَنْ، وَمَدَّ ذِرَاعَيْهِ إِلى ابْنَتِهِ الصَّغِيْرَةِ، وَحَمَلَهَا بِعَطْفٍ وَحَنَانٍ، وَفي عَيْنَيْهِ بِضعُ قَطَرَاتٍ مِنَ الدّمُوعِ حَاوَلَ أَنْ يَحْبِسَهَا كَيْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لاَ تَرَاهَا زَوْجَتُهُ وَابْنَتُهُ. وَحَمَلَتِ الزَّوْجَةُ مَتَاعَ السَّفَرِ وَانْطَلَقَا، لَقَدْ كَانَتْ زَوْجَةُ مُصْطَفَى مُطِيْعَةً وَصَابِرَةً، وَكَانَتْ فِيْما مَضَى غَنِيَّةً شَاكِرَةً، وَبَعْدَ فَقْرِهَا صَبَرَتْ وَرَضِيَتْ بِقَضَاءِ اللهِ، فَلَمْ تَتَكَبَّرْ عَلَى زَوْجِهَا، وَلَمْ تَتْرُكْهُ بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ فَقِيْراً، بَلْ ظَلَّتْ عَلَى وَفَائِهَا تُكَافِحُ مَعَهُ وَتُلاَزِمُهُ، هَا هِيَ الآنَ تَرْحَلُ مَعَهُ رَغْمَ أَنَّهَا حَامِلٌ فِي شَهْرِهَا الأَخِيْرِ، وَمَوْعِدُ وِلاَدَتِهَا أَصْبَحَ قَرِيْباً لاَ يَتَجَاوَزُ بِضْعَةَ أَيَّامٍ، وَتَقَدَّمَ رَكْبُ مُصْطَفَى في الطَّرِيْقِ، وَمَرَّ عَلَى عَدَدٍ مِنَ القُرَى الصَّغِيْرَةِ، فَكَانُوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يَسْتَرِيحُوْنَ وَيَشْتَرُوْنَ مَا يَلْزَمُهُمْ مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ، ثُمَّ يُغَادِرُوْنَهَا، حَتَّى شَارَفُوا - بَعْدَ رِحْلَةٍ قَاسِيَةٍ - عَلى المَدِيْنَةِ الكَبِيْرةِ الّتي قَصَدَهَا مُصْطَفَى، وَقَبْلَ دُخُوْلِ المَدِيْنَةِ بِمَسافَةٍ قَلِيْلَةٍ، شَكَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ أَلَمٍ في بَطْنِهَا، لَقَدْ حَانَ مَوْعِدُ وِلاَدَتِهَا، فَأجْلَسَهَا مُصْطَفَى مَعَ طِفْلَتِهِ في بَيْتٍ خَرِبٍ مَهْجُوْرٍ، وَجَدُوْهُ في أَطْرَافِ المَدِيْنَةِ، ثُمَّ أَسْرَعَ إِلى البَلْدَةِ لِيَشْتَرِيَ لَهَا مَا تَقْتَاتُ بِهِ، وَكَانَ الوَقْتُ بَعْدَ المَغْرِبِ بِقَلِيْلٍ، وَدَخَلَ البَلْدَةَ، وَرَاحَ يُفَتِّشُ عَنْ مَطْعَمٍ، فَلَمْ يَجِدْ مَطْعَماً، وَطَافَ في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشَّوَارِعِ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ قَلْبِهِ أَنْ يُهَيِّءَ اللهُ لَهُ مَطْعَماً لِيَشْتَرِيَ مِنْهُ الزَّادَ لِزَوْجَتِهِ، وَأَخِيْراً وَجَدَ مَطْعَماً في وَسَطِ البَلْدَةِ فَخَفَقَ لَهُ قَلْبُهُ فَرَحاً.

آخِرُ المَصَائِبِ:

واقْتَرَبَ مُصْطَفَى مِنْ صَاحِبِ المَطْعَمِ، وقَالَ لَهُ: أَعْطِنِي لَبَناً وَزَيْتاً، فَقَالَ لَهُ البَائِعُ: أَيْنَ وِعَاؤُكَ؟

قَالَ مُصْطَفَى: أَنَا رَجُلٌ غَرِيْبٌ وَلَيْسَ عِنْدِي وِعَاءٌ.

قَالَ البَائِعُ: إِذاً تُعْطِيَنِي رَهْناً لِكَي أَضْمَنَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثَمَنَ الوِعَاءِ، فَهَزَّ مُصْطَفَى رَأْسَهُ وَقَالَ لَهُ: كَمْ تُرِيْدُ؟

قَالَ البَائِعُ: خَمْسَةَ دَرَاهِمَ، فَسَكَتَ مُصْطَفَى وَلَمْ يَتَكَلَّمْ، قَالَ البَائِعُ: مَا بِكَ يَا رَجُل؟ لِمَ لاَ تُجِيْبُ؟

قَالَ مُصْطَفَى: لاَ أَمْلِكُ إِلاّ دِرْهَماً وَاحِداً، فَأَعْطِنِي بِهِ حَاجَتِي، وَإِنِّي أَعِدُكَ بِأَنْ أَرُدَّ لَكَ الوِعَاءَ.

أَدْرَكَ البَائِعُ الطَّيِّبُ فَقْرَ مُصْطَفَى وَحَاجَتَهُ، فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ، وَمَلأَ لَهُ الوِعَاءَ لَبَناً، وَصَبَّ فَوْقَهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زَيْتاً، ثُمَّ نَاوَلَهُ إِيّاهُ، وَقَالَ لَهُ: لاَ تَنْسَ أَنْ تُعِيْدَهُ إِلَيَّ فِي الصَّبَاحِ البَاكِرِ، فَشَكَرَهُ مُصْطَفَى وَوَعَدَهُ بِرَدِّ الوِعَاءِ دُوْنَما تَأْخِيْرٍ، وَأَمْسَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ الوِعَاءَ وَهُوَ فَرِحٌ مَسْرُوْرٌ، فَقَدْ نَسِيَ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ هُمُوْمَهُ، وَظَنَّ أَنَّهُ يَحْمِلُ هَدِيَّةً قَيِّمَةً إِلى زَوْجَتِهِ، حَيْثُ سَتَجِدُ الطَّعَامَ الشَّهِيَّ بَعْدَ أَلَمِ الوِلاَدَةِ، فَتَذَكَّرَ أَنَّهَا بَعِيْدَةٌ فِي بَيْتٍ خَرِبٍ مَهْجُوْرٍ، وَخَافَ التَّأْخِيْرَ، وَقَالَ: رُبَّمَا تَضَعُ مَوْلُوْدَهَا في غَيْبَتِي فَيُصِيْبُهَا مَكْرُوْهٌ، فَأَسْرَعَ الخُطَا في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ دُوْنَ أَنْ يَرَى مَكَانَ وَقْعِ قَدَمَيْهِ، إِنَّ الشَّوَارِعَ غَيْرُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مُنَارَةٍ تَمَاماً، وَالوَقْتُ أَصْبَحَ بَعْدَ العِشَاءِ، وَالشَّوَارِعُ أَقْفَرَتْ مِنَ النَّاسِ وَالمَارَّةِ، فَالكُلُّ أَوَى إلى بَيْتِهِ لِيَسْتَرِيْحَ مِنْ عَنَاءِ يَوْمٍ طَوِيْلٍ.

وَبَيْنَما كَانَ مُصْطَفَى يَسِيْرُ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ، زَلَّتْ قَدَمُهُ في حُفْرَةٍ صَغِيْرَةٍ في الطَّرِيْقِ، فَسَقَطَ فِيْهَا، وَهَوَى الإِنَاءُ مِنْ يَدِهِ وَتَحَطَّمَ، وَسَالَ كُلُّ مَا فِيْهِ مِنْ لَبَنٍ وَزَيْتٍ عَلى التُّرَابِ، وَانْكَبَّ مُصْطَفَى عَلَى الإِنَاءِ يَتَلَمَّسُهُ بِيَدَيْهِ المُرْتَعِشَتَيْنِ، فَإِذا هُوَ حُطَامٌ مُتَنَاثِرٌ، وَجَلَسَ المِسْكِيْنُ في الطَّرِيْقِ قُرْبَ الإِنَاءِ وَهُوَ في حَالَةٍ مِنَ الذُّهُوْلِ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَالأَسَى، وَاسْتَعْرَضَ حَالَهُ وَبُؤسَهُ وَشَقَاءَهُ، وَاسْتَعْرَضَ ما كَانَ عَلَيْهِ مِنَ العِزِّ وَالغِنَى، وَتَوَالَتْ في فِكْرِهِ الهُمُوْمُ وَالمَصَائِبُ، إِنَّهُ صَبَرَ كَثِيْراً، إِنَّهُ لَمْ يَعُدْ يَتَحَمَّلُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَنَاجَى رَبَّهُ بِقَلْبٍ كَسِيْرٍ، ثُمَّ أَفْرَغَ هَذِهِ الهُمُوْمَ في بُكَاءٍ شَدِيْدٍ، فَعَلاَ صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ بُكَاؤُهُ وَهُوَ لاَ يَدْرِي بِحَالِهِ، إِنَّهُ يَبْكِي لأَوَّلِ مَرَّةٍ في حَيَاتِهِ بَعْدَ مَرْحَلَةِ الطُّفُولَةِ، وَخَرَجَ البُكَاءُ يشُقُّ سُكُوْنَ اللَّيْلِ، فَسَمِعَهُ سُكَّانُ البُيُوْتِ المُجَاوِرَةِ، فَهَبَّ سَاكِنٌ مِنْ إِحْدَى هَذِهِ البُيُوْتِ وَفَتَحَ نَافِذَةَ بَيْتِهِ وَأَطَلَّ عَلَى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطَّرِيْقِ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ عَبْرَ الظَّلاَمِ مُوَجِّهاً بَصَرَهُ نَحْو مَصْدَرِ الصَّوْتِ، ثُمَّ صَاحَ: يَا هَذَا مَا يُبْكِيْكَ؟ فَالْتَفَتَ مُصْطَفَى إلى النَّافِذَةِ، وَقَالَ: لَقَدْ سَقَطَ مِنِّي إِنَاءُ اللَّبَنِ وَانْكَسَرَ، قَالَ الرَّجُلُ: يَا سُبْحَانَ الله، رَجُلٌ كَبِيْرٌ مِثْلُكَ يَبْكي لأَنَّهُ كَسَرَ إِنَاءَ لَبَنٍ، هَلْ أَنْتَ خَادِمٌ لِسَيِّدٍ شَحِيْحٍ؟

مَاذَا جَرَى لِلنَّاسِ في هَذِهِ الأَيَّامِ؟ يُقْلِقُوْنَ رَاحَةَ النِّيَامِ مِنْ أَجْلِ دَرَاهِمَ مَعْدُوْدَةٍ، ثُمَّ أَغْلَقَ النَّافِذَةَ بِعُنْفٍ.

قَالَ مُصْطَفَى: سَامَحَكَ الله، ثُمَّ عَادَ وَنَظَرَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِلى الإِنَاءِ المَكْسُوْرِ وَإِلى اللَّبَنِ والزَّيْتِ اللَّذَيْنِ خَالَطَا التُّرَابَ، فَتَذَكَّرَ حَالَ زَوْجَتِهِ الّتي سَتَلِدُ دُوْنَ أَنْ تَجِدَ طَعَاماً، وَاسْوَدَّتِ الدُّنْيَا مَرَّةً أُخْرَى في عَيْنَيْهِ، وَتَخَيَّلَ مُصِيْبَةً تَحُلُّ بِزَوْجَتِهِ وَهِيَ تَلِدُ، وَقَالَ: قَدْ تَكُوْنُ مَاتَتِ الآنَ، وَمَاتَتْ مَعَهَا ابْنَتِي الصَّغِيْرَةُ لِتَأَخُّرِ الطَّعَامِ، فَعَاوَدَهُ البُكَاءُ بِعُنْفٍ مَرَّةً أُخْرَى، إِنَّهُ لاَ يَمْلِكُ أَيَّ دِرْهَمٍ، مِنْ أَيْنَ سَيَشْتَرِي طَعَاماً؟ فَفَتَحَ الرَّجُل النَّافِذَةَ ثَانِيَةً، وَقَالَ لَهُ بِعُنْفٍ: باللهِ عَلَيْكَ إِلاّ سَكَتَّ أَيُّهَا الرَّجُلُ، لَقَدْ أَزْعَجْتَنَا دَعْنَا نَنَامُ وَارْحَلْ مِنْ هَذا المَكَانِ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إِنَّ النَّاسَ تُصَابُ بِأَكْبَرِ مِنْ هَذِهِ المُصِيْبَةِ، وَلاَ يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتٌ وَلا بُكَاءٌ.

قَالَ مُصْطَفَى: سَامَحَكَ الله، لَقَدْ فَقَدْتُ قَبْلَ عَشْرِ سِنِيْنَ مِحْفَظَةً فِيْهَا ثَلاَثَةُ آلاَفِ دِيْنَارٍ، فَوَاللهِ مَا دَمَعَتْ لِي عَيْنٌ عَلَيْهَا، وَلاَ حَزِنْتُ لِفَقْدِهَا، لأَنِّي كُنْتُ غَنِيّاً، والآنَ تَرَانِي أَبْكِي عَلَى دَرَاهِمَ مَعْدُوْدَةٍ لأني لا أَمْلِكُ غَيْرَهَا، قَالَ الرَّجُلُ - بِلُغَةِ المُسْتَفْهِمِ -: مَاذَا فَقَدْتَ؟ مِحْفَظَةٌ فِيْهَا ثَلاَثَةُ آلاَفِ دِيْنَارٍ! صِفْهَا لِي باللهِ عَلَيْكَ.

قَالَ مُصْطَفَى: أَوَتَسْخَرُ مِنِّي؟ اتْرُكْنِي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَشَأْنِي، وَمَا يَنْفَعُنِي أَنْ أَصِفَهَا لَكَ؟

قَالَ الرَّجُلُ: باللهِ عَلَيْكَ إِلاَّ وَصَفْتَهَا لِي، فَإِنِّي واللهِ مَا أُكَلِّمُكَ إِلاّ جَادّاً لاَ سَاخِراً، فَامْتَنَعَ مُصْطَفَى عَنِ الكَلامِ وَهُوَ يَقُوْلُ في قَلْبِهِ: لاَ حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاّ باللهِ، أَنَا في هَذه الحَالَةِ البَائِسَةِ والرَّجُلُ يَطْلُبُ مِنّي أَنْ أَصِفَ لَهُ مِحْفَظَةً فَقَدْتُهَا مُنْذُ عَشْرِ سِنِيْنَ، إِنَّهُ يُرِيْدُ أَنْ يَتَسَلَّى.

ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ إِلى الشَّارِعِ قَاصِداً مُصْطَفَى، وَأَمْسَكَ يَدَهُ، وقَالَ لَهُ: مَا صِفَةُ مِحْفَظَتِكَ المَفْقُودَةِ؟ قَالَ مُصْطفَى: سَأَصِفُها لَكَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كيْ تَتْرُكَني لِشَأني، إنَّها مِحفَظَةٌ سَوْدَاءُ مُخاطَةٌ بِخُيُوْطٍ حَمْرَاءَ، وَفِيْهَا ثَلاثُ طَبَقَاتٍ، وَضَعَتُ بِكُلِّ طَبَقَةٍ أَلْفَ دِيْنَارٍ، أَسَرَّكَ وَصْفُ المِحْفَظَةِ الآن؟ دَعْنِي وَشَأْنِي يَرْحَمُكَ اللهُ.

قَالَ الرَّجُلُ: لِمَنْ كُنْتَ تَحْمِلُ هَذَا الطَّعَامَ؟

قَالَ مُصْطَفَى: لِزَوْجَتِي، لَقَدْ تَرَكْتُهَا في طَرَفِ البَلْدَةِ في بَيْتٍ مَهْجُوْرٍ، وَهِيَ حَامِلٌ تَتَوَجَّعُ، وَرُبَّمَا تَكُوْنُ قَدْ وَلَدَتِ الآنَ وَلا أَنِيْسَ عِنْدَهَا.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قَالَ الرَّجُلُ: سَتَنْزِلُ ضَيْفاً عِنْدِي أَنْتَ وَزَوْجَتُكَ، هَيّا بِنَا لِنُحْضِرَهَا إلى بَيْتِي. سُرَّ مُصْطَفَى مِنْ كَرَمِ الرَّجُلِ المُفَاجِىءِ، وَذَهَبَ مَعَهُ عَلَى عَجَلٍ لِيُحْضِرَ زَوْجَتَهُ، فَأَتَيَا بِهَا وَبِابْنَتِهِ الصَّغِيْرَةِ، وَكَانَتْ زَوْجَةُ مُصْطَفَى لَمّا تَلِدْ بَعْدُ، وَأَنْزَلَ الرَّجُلُ ضُيُوفَهُ فِي بَيْتِهِ وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يَعْتَنُوا بِزَوْجَةِ مُصْطَفَى، وَفِي مُنْتَصَفِ اللَّيلِ وَلَدَتْ زَوْجَتُهُ غُلاَماً، فَجَاءَ الرَّجُلُ يُبَشِّرُهُ بِهِ، فَفَرِحَ مُصْطَفَى وَحَمِدَ الله.

الفَرَجُ:

وفي الصَّبَاحِ قَدَّمَ الرَّجُلُ لِمُصْطَفَى طَعَامَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفُطُوْرِ، وَتَجَاذَبَ مَعَهُ أَطْرَافَ الحَدِيْثِ في أَثْنَاءِ تَنَاوُلِهِمَا الطَّعَامَ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِمُصْطَفَى: ما صَنْعَتُكَ؟ قَالَ مُصْطَفَى: كُنْتُ تَاجِراً وَلي عِلْمٌ بِالتِّجَارَةِ، لَكِنِّي الآن فَقِيْرٌ كَمَا تَرَانِي، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أَتَّجِرُ بِهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَجِدَ عَمَلاً بَالمَدِيْنَةَ عِنْدَ أَحَدِ تُجَّارِهَا. قَالَ الرَّجُلُ: مَا رَأْيُكَ لَوْ تُشَارِكُنِي في تَجَارَةٍ صَغِيْرَةٍ؟ سَأُعْطِيْكَ الآنَ مِائَةَ دِيْنَارٍ لِتَشْتَغِلَ بِهَا، وسَنَقْسِمُ الرِّبْحَ بَيْنَنَا مُنَاصَفَةً، سُرَّ مُصْطَفَى لِهَذَا العَرْضِ السَّخِيِّ، وَأَخَذَ المِائَةَ دِيْنَارٍ ثُمَّ انْطَلَقَ إِلى السُّوْقِ، وهُنَاكَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اشْتَرَى بِضَاعَةً ثُمَّ انْتَقَلَ بِهَا وَبَاعَهَا، وَرَبِحَ فِيْهَا ثُمَّ اشْتَرَى أُخْرَى.. وَهَكَذَا كَانَ يَبِيْعُ وَيَرْبَحُ كُلَّ يَوْمٍ وَالرِّبْحُ يَتَوَالَى عَلَيْه وَيَزْدَادُ، وَعَادَ بَعْدَ بُضْعَةِ أَيَّامٍ إِلَى صَدِيْقِهِ وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ تَاجَرْتُ وَرَبِحَتْ تِجَارَتُنَا خَمْسِيْنَ دِيْنَاراً إليك نِصْفَهَا.

فَقَالَ الرَّجُلُ: أَضِفْ هَذَا الرِّبْحَ لِرَأْسِ المَالِ لِكَيْ يَزِيْدَ وَتَاجِرْ بِهِ، وَعَادَ مُصْطَفَى إِلَى السُّوقِ وَالعَمَلِ بِهِمَّةٍ وَنَشَاطٍ، وَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ خَوْفُ الفَقْرِ، وَلاَحَتْ أَمَامَهُ بَشَائِرُ الخَيْرِ، فَاللهُ هُوَ المُعْطِي وَهُوَ المَانِعُ، لَقَدْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنَ الفَقْرِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عِنْدَمَا اشْتَدَّ فَقْرُهُ وَسَاءَتْ حَالُهُ، لِذَلِكَ كَانَ يَعْمَلُ دُوْنَ كَلَلٍ وَلاَ مَلَلٍ وَلِسَانُهُ يَلْهَجُ بِالثَّنَاءِ وَالدُّعَاءِ لِهَذا الرَّجُلِ الّذي سَاعَدَهُ، وَعَادَ إِلى صَدِيْقِهِ بَعْدَ غِيَابِ عِدَّةِ أَسَابِيْعَ وَقَدَّمَ لَهُ نِصْفَ الأَرْبَاحِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا صَدِيْقِي مُصْطَفى؛ أُرِيْدُ أَنْ أَقُولَ لَكَ الآن شَيْئاً بَعْدَ أَنْ رَبِحَتْ تِجَارتُكَ، وَعَادَتِ الطُّمَأنِينَةُ إلى قَلْبِكَ.

قَالَ مُصْطَفى: وَمَاذَا تُرِيْدُ أَنْ تَقُولَ يَا أَخِي؟

قَالَ الرَّجُلُ: تَذْكُرُ أَنَّكَ أَضَعْتَ مِحْفَظَتَكَ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قَالَ مُصْطَفَى: نَعَم أَذْكُرُ ذَلِكَ وَلاَ أَنْسَاهُ.

قَالَ الرَّجُلُ: وَقَدْ سَأَلْتُكَ عَنْ وَصْفِهَا، فَوَصَفْتَهَا لِي.

قَالَ مُصْطَفَى: نَعَمْ، حَصَلَ ذَلِكَ لَيْلَةَ كُنْتُ أَبْكِي.

قَالَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَمُدُّ يَدَهُ إِلى صُنْدُوقٍ مُرَصَّعٍ بِالصَّدَفِ: أَهَذِهِ مِحْفَظَتُكَ؟

فَشَهَقَ مُصْطَفَى شَهْقَةً كَادَتْ تُوْدِي بِرُوْحِهِ عِنْدَمَا رَآهَا، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ مِنَ الفَرَحِ وَهَوْلِ المُفَاجَأَةِ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ إِفَاقَتِهِ مِنْ غَيْبُوبَةِ الفَرَحِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَقَالَ لِلرَّجُلِ: بِاللهِ خَبِّرنِي مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِهَا؟

قَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ وَجَدْتُهَا مُنْذُ عَشْرِ سِنِيْنَ وَأَنَا في طَرِيْقِي إِلى الحَجِّ، وَأَخْرَجْتُ وَقْتَهَا مُنَادِياً يَنْشُدُ صَاحِبَهَا فَلَمْ أَعْثُرْ عَلَيْهِ، فَاحْتَفَظْتُ بِهَا عِنْدِي وَأَنَا أَدْعُو الله كُلَّمَا ذَكَرْتُهَا أَنْ يَجْمَعَنِي بِصَاحِبِهَا، لأرُدَّهَا لَهُ، فَأَنَا لاَ أُحِبُّ أَكْلَ المَالِ الحَرَامِ، وَالحَمْدُ للهِ، لَقَدْ حَمَلَكَ اللهُ إِلَيَّ وَسَاقَكَ إِلى هَذِهِ البَلْدَةِ لِيَعُوْدَ لَكَ مَالُكَ، وَأَنْتَ في أَشَدَّ الحَاجَةِ إِلَيْهِ، إِنَّهُ مَالٌ حَلاَلٌ، فَخُذْ مِحْفَظَتَكَ وَالرِّبْحَ الّذي جَنَيْتَهُ مِنْ تِجَارَتِكَ، لأنِّي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَعْطَيْتُكَ المِائَةَ دِينَارٍ مِنْ مِحْفَظَتِكَ، وَأَصْلِحْ شَأْنَكَ.

فَشَكَرَ مُصْطَفَى صَنِيْعَ هَذا الرَّجُلِ المُؤمِنِ، وَدَعَا لَهُ بِالخَيْرِ وَالبَرَكَةِ، وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ بَعَثْتَ أَمَلَ الحَيَاةِ في نَفْسي، وَفِي نَفْسِ أَهْلِي وَأَوْلاَدِي بَعْدَ أَنْ أَشْرَفْنَا عَلى الهَلاَكِ، إِنَّ دُنْيَا المُسْلِمِيْنَ مَا زَالَتْ بِخَيْرٍ طَالَمَا فِيهَا أَمْثَالُكَ، إِنَّ للهِ في خَلْقِهِ شُؤُوْنٌ! وَاللهِ لَكَأَنَّ اللهَ قَدِ اسْتَوْدَعَكَ هَذا المَالَ لِتَرُدَّهُ إِلَيَّ وَقْتَ حَاجَتِي إِلَيْهِ، ثُمَّ تَلا قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾

أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ

هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ صدق الله العظيم.

❁ ❁ ❁

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

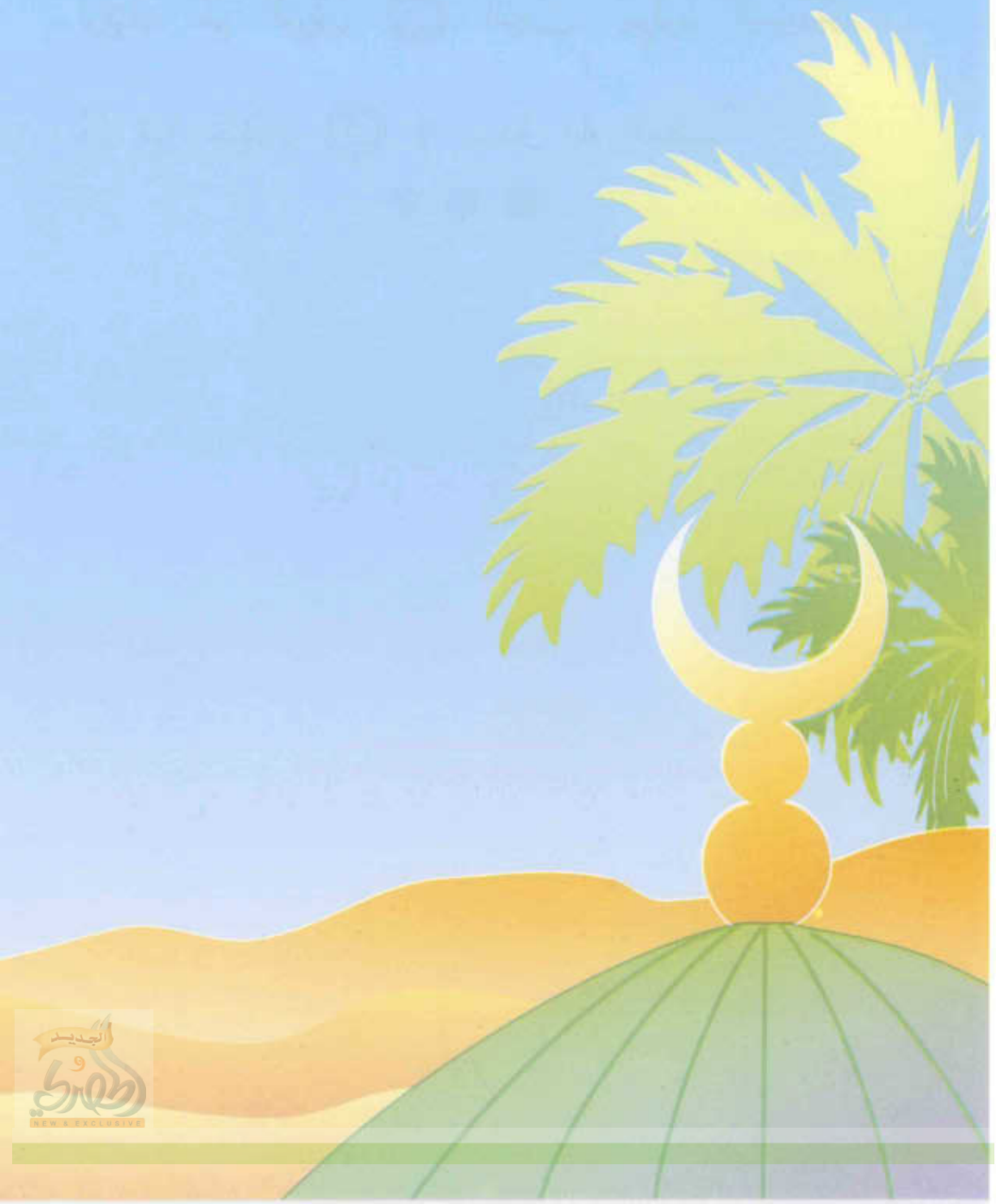

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قصص إسلامية للأطفال

السباح المجاهد

تأليف

محمد منير الجنباز

مكتبة التوبة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ⓒ مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجنباز، محمد منير

السباح المجاهد.- الرياض

٤٤ص، ١٧×٢٤سم.- (سلسلة قصص إسلامية للأطفال)

ردمك: × - ٥٣ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

١ - القصص الإسلامية ٢ - قصص الأطفال أ - العنوان

ب - السلسلة

ديوي ٨١٣،٠٨٨ ٢٠/٣٨٢٤

رقم الإيداع: ٢٠/٣٨٢٤

ردمك: × - ٥٣ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

جميع حقوق الطبع محفوظة

طبعة جديدة منقحة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

التوبة

الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير

هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

طفولة سالم:

سَالِمٌ وَلَدٌ صَغِيْرٌ محبوبٌ مِنْ وَالِدَيْهِ، رَغْمَ كَثْرَةِ حَرَكَتِهِ وَلَعِبِهِ، لِأَنَّهُ مُطِيعٌ لَهُمَا يُلَبِّي طَلَبَهُمَا بِسُرْعَةٍ وَإِتْقَانٍ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُ في بَعْضِ الأَحَيَانِ أَعْمَالٌ مُزْعِجَةٌ حِيْنَما يَتَراشَقُ بِالْكُرَةِ مَعَ زُمَلائِهِ، فَيُصِيبُ بَعْضَ المَارَّةِ في الطَّرِيْقِ، فَبَعْضُهُمْ يُسَامِحُهُ لِأَنَّهُ صَغِيْرٌ، وَبَعْضُهُم يَشْتَكي سَالِماً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لِوَالِدِهِ الَّذي يَزجُرُهُ، ويُؤَدِّبُهُ بالضَّرْبِ أَوِ الحِرْمَانِ مِنْ مَصْرُوفِهِ اليَوْمِيِّ حَتّى يَكُفَّ عَنِ اللَّعِب، وَتَارَةً يَأْخُذُهُ مَعَهُ لِلْمَتْجَرِ الّذِي يَعْمَلُ فيهِ، فَيُسْنِدُ إليهِ بَعْضَ الأَعْمَالِ التي تُناسِبُ سِنَّهُ، لَكِنَّ سَالِماً لا يُطِيْقُ المُدَاْوَمَةَ على العَمَلِ، فَسُرْعَانَ مَا يَأْتِيْهِ أَحَدُ زُمَلائِهِ فَيَقِفُ على بَابِ المَتْجَرِ وَيُنَادِيْهِ بِصَوْتٍ يَفْهَمُهُ سَالِمٌ، وَعِنْدَمَا يَسْمَعُ سَالِمٌ الصَّوْتَ، يَعْرِفُ أَنَّهُ مِنْ أَحَدِ زُمَلائِهِ الّذِيْنَ يَلْعَبُ مَعَهُمْ، فَيَتْرُكُ العَمَلَ وَيَنْطَلِقُ إلى زَمِيْلِهِ، ثُمَّ يَنْطَلِقَانِ إلى بَقِيَّةِ الزُّمَلاءِ فَيَجْتَمِعُوْنَ في الطُّرُقَاتِ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَالْحَارَاتِ، وَلاَ يَفْتَقِدُ وَالِدُ سَالِمٍ ابْنَهُ إلاّ بَعْدَ فَوَاتِ الأَوَانِ، عِنْدَ ذَلِكَ يَقُوْلُ فِي نَفْسِهِ: سَأُحَاسِبُهُ فِي البَيْتِ، وفي البَيْتِ يَجِدُ وَالِدُ سالِمٍ قَائِمَةً طَوِيْلَةً مِنَ الشَّكَاوَى ضِدَّ سَالِمٍ، فَهَذِهِ وَالِدَتُهُ تَقُولُ لَهُ: لَقَدْ كَسَرَ اليَوْمَ إبْرِيْقَ الفَخَّارِ، فَقَدْ تَعَثَّرَ بِهِ وَهُوَ يَجْرِي، وَتَقُوْلُ أُخْتُهُ الكُبْرى: لَقَدْ قَطَعَ لِي خُيُوْطَ الغَزْلِ عِدَّةَ مَرّاتٍ وَأَنَا أَغْزِلُ الصُّوْفَ، بِسَبَبِ لَعِبِهِ وَعَدَمِ انْتِبَاهِهِ، كَمَا تَقُوْلُ أُخْتُهُ الصُّغْرَى: إِنَّهُ أَخَذَ لُعْبَتِي الصَّغِيرةَ وَقَصَّ شَعْرَهَا، وَرَسَمَ عَلَى وَجْهِهَا لِحْيَةً وَشَارِباً،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فَيَضْحَكُ الوَالِدُ مِنْ حَرَكَاتِ سَالِمٍ وَأَفْكَارِهِ، ثُمَّ يَنْهَضُ لِمُعَاقَبَتِهِ وَاسْتِتَابَتِهِ، وَيَأْخُذُ عَلَيْهِ العَهْدَ أَلاَّ يَعُوْدَ لِلشَّغْبِ ثَانِيَةً، فَيَعِدُهُ سَالِمٌ، ثُمَّ تَمْضِي فَتْرَةُ هُدُوْءٍ لا تُجَاوِزُ بِضْعَ دَقَائِقَ، فَإِذَا بِسَالِمٍ يَنْسَى وَعْدَهُ، وَيَعُوْدُ لِلَّعِبِ وَالحرَكَةِ، وَتَعُوْدُ الشَّكَاوَى ضِدَّهُ مِنْ جَدِيْدٍ.

وَحَارَ وَالِدُهُ مَاذَا يَفْعَلُ بِهِ؟ إِنَّ سَالماً يَمْلِكُ طَاقَةً مَنَ الحَرَكَةِ والنَّشَاطِ، وَعَلَيَّ أَنْ أُوَجِّهَهَا إِلى عَمَلٍ مُفِيدٍ، فَعُمْرُهُ الّذِي لَمْ يُجَاوِزِ الثّامِنَةَ لا يُمَكِّنهُ مَنْ إِنْجَازِ أَعمالٍ مُهِمَّةٍ في المَتْجَرِ، ثُمَّ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَكَّرَ وَالِدُهُ مَلِيّاً حَتَّى قَرَّرَ أَخِيْراً أَنْ يُسَجِّلَهُ في المَدْرَسَةِ العَادِلِيَّةِ.

والعَادليّةُ، مَدْرَسَةٌ مِنْ عِدَّةِ فُصُولٍ تَضُمُّ خِيْرَةَ العُلَمَاءِ في المَدينةِ، وَمَنْ يَتَخَرَّجُ مِنْها يُعَدُّ مُتَفَوِّقاً وَيُصْبِحُ لَهُ مُسْتَقْبَلٌ عِلْمِيٌّ مُمْتَازٌ.

وَالْتَقَى والِدُ سَالِمٍ بِالشَّيخِ سَعِيْدٍ المُشْرِفِ عَلى المَدْرَسَةِ العَادِلِيَّةِ، وَكَلَّمَهُ بِشَأْنِ قَبُولِ سَالِمٍ فيها، وَأَعْطَاهُ فِكْرةً وَاْضِحَةً عَنْ سَالِمٍ، فَقَبِلَهُ الشَّيْخُ سَعِيْدٌ، وَطَلَبَ مِنْ وَالِدِهِ إِحْضَارَهُ إلى المَدْرَسَةِ صَبَاحَاً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سالم في المدرسة:

دَخَلَ سَالِمٌ المَدْرَسَةَ، فَوَجَدَهَا عَالَماً جَدِيْداً، فَمَشَى فِيْهَا وَهُو يَتَلَفَّتُ يَمِيْناً وشِمَالاً، وَبَدَتْ عَلَيْهِ الدَّهْشَةُ وَالاسْتِغْرَابُ، لَقَدْ شَهِدَ الأَسْوَاقَ وَالطُّرُقَاتِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشْهَدِ المَدْرَسَةَ إلاّ فِي هَذِهِ المَرَّةِ فَقَطْ، لَقَدْ لَفَتَ نَظَرَهُ مَنْظَرُ الطُّلاَّبِ وَهُمْ يَتَجَوَّلُوْنَ فِي سَاحَتِهَا بِأَدَبٍ وَهُدُوْءٍ، بَعْضُهُمْ صَغِيرٌ فِي مِثْلِ سِنِّهِ، وَآخَرُوْنَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنّاً، يَضَعُوْنَ عَلَى رُؤُوْسِهِمُ العَمَائِمَ وَيَحْمِلُوْنَ كُتُباً كَبِيْرَةً يَقْرَؤُوْنَ فِيْهَا، وبَعْضُهُمْ مُنْهَمِكٌ فِي نِقَاشٍ وَجِدَالٍ، وَانْتَحَى سَالِمٌ جَانِباً،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهُوَ يَنظُرُ وَيَتَأَمَّلُ الجَمِيْعَ، عَلَّهُ يَجِدُ أَحَداً يَعْرِفُهُ فَلَمْ يَجِدْ أَحَداً، ثُمَّ شَدَّت انْتِبَاهَهُ عِدَّةُ أَشْجَارٍ مِنَ الجَوْزِ وَالتِّيْنِ، كَانَتْ مُتَنَاثِرةً في سَاحَةِ المَدْرَسَةِ، تَحْمِلُ ثِمَاراً يَانِعَةً، فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إلى إحْدَى هَذِهِ الأَشْجَارِ وَوَقَفَ يَتَأَمَّلُ الطُلاَّبَ، إنَّهُمْ في مُنْتَهى الهُدُوْءِ والنِّظَامِ، هَكَذَا قَالَ سَالِمٌ، عَجِيْبٌ أَمْرُ هذِهِ المَدْرَسَةِ، لَيْسَ فِيهَا مَنْ يُحِبُّ اللَّعِبَ وَالْجَرْيَ، وَتَمَنَّى مِنْ قَرَارَةِ نَفْسِهِ لو يَرْكُضُ أَحَدُهُمْ أَوْ يَلْعَبُ لَفَعَلَ هُوَ مِثْلَهُ، لَكِنْ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا، وَكَانَ بَيْنَ حِيْنٍ وآخر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يَنْظُرُ إلى ثِمَارِ التِّينِ الشَّهِيّةِ فَوْقَ أَشْجَارِهَا، وَيَتَمَنَّى لَوْ يَصْعَدُ إلَيْهَا فَيَقْطِفُ مِنْهَا بِضْعَ حَبَّاتٍ، لَكِنَّهُ يَعُوْدُ فَيَكْبَحُ شَهْوَتَهُ وَيَقُوْلُ في نَفْسِهِ: لِمَاذَا لا يَصْعَدُ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلاءِ ليَقْطِفَ التِّينَ؟ أهُوَ مَمْنُوعٌ يا تُرَى؟ أم إنَّ هَؤُلاءِ الطُلاَّبَ عاجِزُونَ عَنْ صُعُوْدِهَا؟

لَمْ يَدُمْ تَسَاؤُلُهُ طَوِيْلاً، فَسُرْعَانَ مَا رَبَطَ ثَوْبَهُ عَلَى خَصْرِهِ، ثُمَّ قَفَزَ فَوْقَ إحْدَى أَشْجَارِ التِّينِ، فَرَقَاهَا وَقَطَفَ مِنْ ثِمَارِهَا، وَبَدَأَ يَأْكُلُ مِنْهَا وَيَرْمِي عَدَداً مِنْهَا إلى الطُّلاَّبِ، فَحَصَلَ في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المَدْرَسَةِ هَرْجٌ وَمَرْجٌ وَصُرَاخٌ، فَبَعْضُ الطُلاَّبِ الّذِينَ يَعْرِفُوْنَ نِظَامَ المَدْرَسَةِ خَافُوا على سَالِمٍ مِنْ عُقوبَةِ نَاظِرِ المَدْرَسَةِ، فَقَالوا لهُ: انْزِلْ يا هَذَا قَبْلَ أَنْ يَرَاكَ النَّاظِرُ، فَإِنَّ عِقَابَهُ شَدِيْدٌ، وَبَعْضُهُمْ ظَنَّ لِسَالِمٍ حُظْوَةً لَدَى النَّاظِرِ، فَأَقْبَلُوا عَلَى سَالِمٍ وقالواَ لَهُ: أرمِ لَنَا مِنَ التِّيْنِ، وَبَدَؤُوا يُشِيْرُونَ إلى النَّاضِجِ مِنْهَا فَيَقُوْلُونْ: اِرْمِ لَنَا هَذه، واقْطِفْ لنا تِلْك، وسَمِعَ النَّاظِرُ وَهُوَ في غُرْفَتِهِ ضَجِيْجَ الطُّلاَّبِ وَصُراخَهُمْ، فَخَرَجَ يَسْتَطْلِعُ الَخَبَرَ، فَإِذَا المَدْرَسَةُ عَلَى غَيْرِ عَادَتِها مِنَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفَوْضَى وَالصَّخَبِ، فَصَاحَ فِيْهِمْ بِصَوْتِهِ الجَهْوَرِيِّ، وَدَعَاهُمْ إلى التِزامِ الهُدُوْءِ، فَهَدَأَ الجَمِيعُ خَوْفاً مِنْهُ وَرَهْبَةً، وَظَلَّ سَالِمٌ عَلَى الشَّجَرَةِ يَرْقُبُ النَّاظِرَ الوَقُوْرَ، وَعُيُوْنُ الطُّلاّبِ مَشْدُوْدَةٌ نَحْوَهُ، فَالتَفَتَ إلى سَالِمٍ وَهُوَ على الشَّجَرَةِ فَنَادَاهُ، وَقَالَ: انْزِلْ أَيُّها الشَّقِيُّ، وَأَقْبِلْ إلى هُنَا، فَنَزَلَ سَالِمٌ وَمَثُلَ بَيْنَ يَدَيِ النَّاظِرِ، فَأَمْسَكَ بِهِ وَدَعَا الطُّلاَّبَ إلى الانْتِظَامِ في صُفُوْفٍ، ثُمَّ نَادَى عَرِيْفَ المَدْرَسَة وَطَلَبَ مِنْهُ إحْضَارَ الفَلَقِ، فَأَحْضَرَهُ على عَجَلٍ وَشَدَّ رِجْلَي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سَالِمٍ فِيْهِ، ثُمَّ انْهَالَ عَلَيهِ ضَرْباً حَتّى عَلاَ صُرَاخُ سَالِمٍ وَبُكَاؤُهُ، فَتَرَكَهُ، ثُمَّ قَالَ: هذا جَزَاءُ مَنْ يَصْعَدُ الأشجَارَ ويُخالِفُ نِظَامَ المَدْرَسَةِ، وَهَدَأَتِ المَدْرَسَةُ، ثُمَّ أَمَرَ الجَمِيْعَ بِالدُّخُوْلِ إلى فُصُوْلِهِمْ، وَبَقِيَ سَالِمٌ في سَاحَةِ المَدْرَسَةِ يَتَأَوَّهُ مِنَ الأَلَمِ، فَتَقَدَّمَ إلَيْهِ شَيْخُ الفَصْلِ، وَكَانَ رَجُلاً طَيِّباً فِيْهِ لِيْنٌ، فَلاَطَفَ سَالِماً بَطَيِّبِ الكَلاَمِ، وَقَالَ لهُ: لَوْ قُلْتَ لي يَا بُنَيَّ إنَّكَ تُحِبُّ التِّينَ لاشْتَرَيْتُهُ لَكَ مِنَ السُّوْقِ، ألاَ تَعْلَمُ أَنَّ النَّاظِرَ يُعَاقِبُ عَلَى ذَلِكَ أَشَدَّ العِقَابِ؟!

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رَدَّ سَالِمٌ: لَقَدْ أَفْطَرْتُ تِيْناً هَذَا الصَّبَاحِ في البَيْتِ، وَلَكِنَّنِي أَحْبَبْتُ أَنْ أَقْطِفَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ.

قَالَ الشَّيخُ: لاَ بَأْسَ لِنَبْدَأ الدرسَ فَفِي العِلْمِ فَوَائِدُ كَثِيْرَةٌ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَحْرِصَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ بَدَأَ الشَّيْخُ في تَعْلِيْمِ الطُلاّبِ، وَاْعتَنَى بِشَكْلٍ خَاصٍّ بِسَالِمٍ، فَأَحَبَّهُ سَالِمٌ وَمَالَ قَلْبُهُ إِلَيْهِ، وَبَدَأَ يَفْهَمُ عَنْهُ الدُّرُوْسَ. وَمَرَّتِ الأَيّامُ وَسَالِمٌ يَتَقَدَّمُ في مَدْرَسَتِهِ، لَقَدْ هَدَأَتْ حَرَكَتُهُ قَلِيْلاً وَاتَّزَنَتْ أَفْعَالُهُ، وَلَمْ يَعُدْ ذَلِكَ الوَلَدَ المُشَاكِسَ الخَطِرَ.

وفي أَحَدِ الأَيَّامِ، طَلَبَ الشَّيخُ مِنَ التَّلاَمِيْذِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَنْ يَكْتُبُوا بِخَطِّ الرُّقْعَةِ قَوْلَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ: «عَلِّمُوا أَوْلاَدَكُمُ السِّبَاحَةَ والرِّمَايَةَ وَرُكُوْبَ الخَيْلِ» فَقَامَ سَالِمٌ، وَقَالَ: مَا أَحْلَى قَوْلَ عُمَرا! لِمَ لا نُطَبِّقُهُ يَا شَيْخَنَا الفَاضِلَ؟ فَنَحْنُ أَبْنَاءُ مَدِيْنَةِ حَمَاةَ الّتي يَجْرِي فِيْهَا نَهْرُ العَاصِي، وَأَغْلَبُنَا لا يُجِيْدُ السِّبَاحَةَ، فَلِمَ لاَ نَتَعَلَّمُ السِّبَاحَةَ؟

قَالَ الشَّيخُ: كَلاَمُكَ حَقٌّ، وَلَكِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الأُمُوْرِ تَحْتَاجُ إِلَىٰ مُوَافَقَةِ أَوْلِيَائِكُمْ، فَنَهْرُ العَاصِيْ خَطِرٌ في بَعْضِ الأَحْيَانِ، ألاَ تَسْمَعُوْنَ بَيْنَ حِيْنٍ وَآخَرَ عن غَرَقِ أَحَدِ الأَوْلاَدِ فِيْهِ؟ وَهَذَا يُسَبِّبُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خَوْفاً لأَوْلِيَائِكُمْ، فَرَدَّ أَحمدُ قَائِلاً: نَعَمْ يَا شَيْخَنَا إِنَّ وَالِدَتي تَنْصَحُنِي دَائِماً بِأَلاَّ أَقْتَرِبَ مِنَ النَّهْرِ حَتَّى لاَ أَغْرَقَ مِثْلَ جَارِنَا حَاتِم، فَرَدَّ الشَّيْخُ: عَلَيْكُم أَلاَّ تَقْتَرِبُوا مِنَ النَّهْرِ، خُصُوْصاً إذا كُنْتُمْ لا تُجِيْدُوْنَ السِّبَاحَةَ، أَمَّا السَّبَّاحُ المَاهِرُ فَلا يُخِيْفُهُ النَّهْرُ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَأَنَا أُجِيْدُ السِّبَاحَةَ، وَمَنْ يَأْذَنْ لَهُ وَلِيُّهُ بِتَعَلُّمِ السِّبَاحَةِ، فَأَنَا مُسْتَعِدٌّ لِتَعْلِيْمِهِ.

فَرِحَ التَّلاَمِيْذُ مِنْ قَوْلِ الشَّيْخِ، وسَعوا لِلْحُصُوْلِ عَلَى إِذْنٍ مِنْ أَوْلِيَائِهِمْ بِذَلِكَ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دروس في السباحة:

وَفي اليَوْمِ التَّالِي أَحْضَرَ عَدَدٌ مِنَ الطُّلاَّبِ خِطَابَاتٍ مِنْ أَوْلِيَاءِ أُمُوْرِهِمْ، تَأْذَنُ لَهُمْ بِتَعَلُّمِ السِّبَاحَةِ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ في نَهْرِ العَاصِي، وَسَلَّمُوْهَا إلى نَاظِرِ المَدْرَسَةِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ يَزِيْدُ عَنِ العِشْرِيْنَ تِلْمِيذاً، فَاسْتَدْعَى نَاظِرُ المَدْرَسَةِ الشَّيْخَ «زَاكي» وَأَبْلَغَهُ مُوَافَقَةَ أَوْلِيَاءِ التَّلاَمِيْذِ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَهْتَمَّ بِالتَّلاَمِيذِ، وَأَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ سَبَّاحِيْنَ مَاهِرِيْنَ.

سُرَّ الشَّيْخُ زَاكي مِنْ هَذِهِ المهمَّةِ الّتي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أُوْكِلَتْ إِلَيْهِ، كَمَا سُرَّ مِنْ ثِقَةِ أَوْلِيَاءِ التَّلاَمِيْذِ بِهِ، وَوَعَدَ النَّاظِرَ بِأَنْ يَهْتَمَّ بالطُّلابِ، وَأَنْ يُعَلِّمَهُم السِّبَاحَةَ، ثُمَّ حَدَّدَ لِلتَّلاَمِيْذِ مَوْعِداً في الأُسْبُوعِ وَطَلَبَ مِنْهُمْ إِحْضَارَ سَرَاوِيْلاَتٍ طَويلةٍ لِلسِّبَاحَةِ.

وفي المَوْعِدِ الْمُحَدَّد اِنْطَلَقَ الجَمِيْعُ بِمَوْكِبٍ يُثِيْرُ الانْتِبَاهِ إلى نَهْرِ العَاصِي، وَاخْتَارَ الشَّيْخُ لَهُمْ بَابَ النَّهْرِ، لأَنَّهُ يَصْلُحُ لِتَعْلِيْمِ المُبْتَدِئِيْنَ، فَفِيْهِ مَسَاحَاتٌ شَاسِعَةٌ لا يَزِيْدُ عُمْقُها عَنِ المِتْرِ تَقْرِيْباً، وَأُخْرَى عَمِيْقَةٌ تَصْلُحُ لِلسَّبَّاحِيْنَ المَاهِرِيْنَ.

صَفَّ الشَّيْخُ التَّلاَمِيْذَ في مَكَانٍ مُشْرِفٍ عَلَى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النَّهرِ، وَبَدَأَ بِإعْطَاءِ الوَصَايَا المُهِمَّةِ، فَحَدَّدَ لَهُمُ الأَمَاكِنَ الآمِنَةَ، وَالأَمَاكِنَ الخَطِرَةَ العَمِيْقَةَ، الّتي فِيْهَا دَوَّامَاتٌ قَوِيَّةٌ تَلُفُّ الإِنْسَانَ وَتَهْوِي بِهِ نَحْوَ القَاعِ، وَأَوْصَاهُمْ أَيْضاً بِالابْتِعَادِ عَنِ النَّاعُوْرَةِ وَمدَاخِلِ الطَّوَاحِيْنِ، لأَنَّها تُشَكِّلُ شَلاّلاَتٍ قَوِيَّةً لا يُمْكِنُ مُقَاوَمَتُهَا، وَبَعْدَ شَرْحٍ مُسْتَفِيضٍ مِنَ التَّعْلِيْمَاتِ في الحَظْرِ والإِبَاحَةِ، بَدَأَ بِتَعْلِيْمِهِمُ السِّبَاحَةَ، وَتَدْرِيْبِهِمْ عَلَيْهَا الوَاحِدَ تِلْوَ الآخَرِ، وَأَمْضَى مَعَهُمْ عِدَّةَ سَاعَاتٍ ثُمَّ عَادُوا إلى المَدْرَسَةِ فَرِحِيْنَ مَسْرورِيْنَ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَتَوَالَتِ الأَيَّامُ، والسَّبَّاحُوْنَ الصِّغَارُ يَتَعَلَّمُوْنَ وَيَتَقَدَّمُوْنَ في إتْقَانِ هَذَا الفَنِّ حَتَّى بَرَعُوا فِيْهِ، وَأَصْبَحُوا يُقَلِّدُوْنَ السَّمَكَةَ وَيُحَاكُوْنَهَا سِبَاحَةً وَغَوْصاً، وَأَصْبَحُوا يَسْبَحُونَ في الأَمَاكِنِ العَمِيْقَةِ وَلا يَخْشَونَ غَرَقاً وَلاَ يَخَافُوْنَ مِنَ الشَّلاَّلاَتِ وَلاَ الدَّوَّامَاتِ، فَرِحَ الشَّيْخُ زَاكِي لِهَذِهِ النَّتِيْجَةِ المُمْتَازَةِ، وَفَرِحَ أَكْثَرَ بِسَالِمِ الَّذِي بَرَعَ بِشَكْلٍ مُنْقَطِعِ النَّظِيْرِ، فَقَدْ كَانَ يُرَاقِبُهُ وَهُوَ يَسْبَحُ فَيَجِدُهُ يَقُوْمُ بِحَرَكَاتٍ سَرِيْعَةٍ، وَعِنْدَمَا يَتْبَعُهُ أَحَدُ زُمَلاَئِهِ فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيْعُ الإِمْسَاكَ بِهِ، فَقَدْ كَانَ سَرِيْعاً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بَارِعاً لاَ يُجَارَى فِي السِّبَاحَةِ. وخَطَرَتْ لِلشَّيْخِ لِذَلِكَ خَاطِرةٌ: لِمَاذا لاَ يُقِيْمُ لِطُلاَّبِهِ سِبَاقاً في يَوْمٍ مَشْهُوْدٍ؟ لِذَلِكَ تَدَاوَلَ هَذَا الأَمْرَ مَعَ الطُّلاّبِ، وَلَمَّا وَجَدَ عِنْدَهُمُ الحَمَاسَ أَعْلَنَ عَنْ يَومٍ لِلسِّبَاقِ، وَدَعَى لَهُ المُدِيْرَ وَأَوْلِيَاءَ الطُّلاَّبِ لِيَشْهَدُوا هَذَا الحَدَثَ الفَرِيْدَ، وَكَانَ السِّبَاقُ مَعَ اتّجَاهِ مِيَاهِ النَّهْرِ مِنَ «البِشْرِيَّاتِ» إلى سَاحَةِ الجَامِعِ النُّورِيِّ، وَتَبْلُغُ عِدَّةَ أَمْيَالٍ.

انْطَلَقَ المُتَسَابِقُوْنَ بَعْدَ إعْطَاءِ إشَارَةِ الانْطِلاَقِ والشَّيْخُ بِجِوَارِهِمْ يُجَدِّفُ في قَارِبٍ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صَغِيْرٍ وَهُوَ يُتَابِعُهُمْ وَيُشَجِّعُهُمْ على مُتَابَعَةِ المَسِيْرِ، وَاجْتَهَدَ سَالِمٌ في السِّبَاقِ، وَبَدَأَ يَنْسَابُ في المَاءِ كَالحُوْتِ، فَتَارَةً يَغُطُسُ تَحْتَ المَاءِ وَتَارَةً يَسْبَحُ فَوْقَ سَطْحِ المَاءِ، وَهُوَ في المُقَدِّمَةِ دُوْنَ مُنَافِسٍ حَتَّى وَصَلَ إلى سَاحَةِ المَسْجِدِ النُّورِي، فَصَفَّقَ لَهُ الحَاضِرُونَ وَأَثْنَوا عَلَيْهِ خَيْراً، وَفَرِحَ وَالِدُهُ كَثِيْراً، وَرَأَى بِمَا لاَ يَدَعُ مَجَالاً لِلشَّكِّ أَنَّ ابْنَهُ سَالِماً أَصْبَحَ سَبَّاحاً مَاهِراً.

سالم يعمل مع أبيه:

وَاظَبَ سَالِمٌ على المَدْرَسَةِ حَتّى تَعَلَّمَ اللُّغَةَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العَرَبِيَّةَ وَعُلُومَ الدِّينِ، مِنْ فِقْهٍ وَتَفْسِيرٍ، وَأَصْبَحَ يَكْتُبُ بِخَطٍّ جَيِّدٍ، لِذَلِكَ دَعَاهُ والِدُهُ لِلْعَمَلِ مَعَهُ فِي المَتْجَرِ، وأَسْنَدَ إلَيْهِ أَعْمَالاً مُهِمَّةً فِيهِ، وَاشْتُهِرَ مَتْجَرُ وَالِدِ سَالِم بِالصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ والبَيْعِ بِأَسْعَارٍ مُعْتَدِلَةٍ، كَمَا كَانَ يُنْظِرُ المُعْسِرَ إِذَا تَأَخَّرَ فِي سَدَادِ الدَّيْنِ، وَتَحَوَّلَ مَتْجَرُهُ سَرِيعاً إلى مَتْجَرٍ يَبِيعُ بِالجُمْلَةِ، وَيُتَاجِرُ مَعَ مُخْتَلَفِ البُلْدَانِ البَعِيدَةِ، كَالشَّامِ وَمِصْرَ والعِرَاقِ وَالْهِنْدِ.

وَكَثُرَتِ الأَمْوَالُ عِنْدَ سَالِمٍ وَأَبِيهِ، فَكَانَ يُعْطِي مِنْهَا الفُقَرَاءَ، وَيَتَصَدَّقُ عَلَى المُحْتَاجِينَ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كَمَا كَانَ لاَ يَنْسَى أَنْ يَزُورَ مَدْرَسَتَهُ التي عَلَّمَتْهُ وَيُقَدِّمَ لها الهِبَاتِ وَالهَدَايَا لِتُوَزَّعَ عَلَى طُلاَّبِ العِلْمِ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ حِيْنٍ وآخَرَ إلى نَهْرِ العَاصِي في عُطْلَة الجُمُعَةِ، فَيَسْبَحُ وَيَغُوصُ ثُمَّ يَعُوْدُ إلى البَيْتِ.

السفر والجهاد:

قَرَّرَ وَالِدُ سَالِمٍ أَنْ يُرسِلَ سَالِماً إلى مِصْرَ لِيَتَّصِل مَعَ عَدَدٍ مِنْ تُجَّارِهَا المَشْهُورِيْنَ، وَيُقِيمَ مَعَهُم عَلاَقَاتٍ تِجَارِيَّةً وَثِيقَةً، وَانْطَلَقَ إلى مِصْرَ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ، فَزَارَ القَاهِرَةَ وَالإِسْكَنْدَرِيَّةَ وَحَمَلَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مِنْهَا بَضَائِعَ كَثِيْرةً، وانْطَلَقَتِ السَّفِيْنَةُ الكَبِيْرَةُ عَائِدَةً إلى بِلاَدِ الشَّامِ، وَذَلِكَ في سَنَةِ ٦١٤هـ، وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَتِ السَّفِيْنَةُ مِنْ مِيْنَاءِ دِمياطَ المصْرِيِّ، شاهَدَ رُبَّانُ السَّفينةِ الإفْرَنْجَ تُحاصِرُ المِيْنَاءَ، فَوَقَفَ حَائِراً لا يَدْرِي مَا يَفْعَلُ، فَالطَّرِيْقُ أَمامَهُ خَطِرَةٌ، وَقَدْ تُحِيْطُ بِهِ سُفُنُ الأَعْدَاءِ وَتَسْتَوْلي عَلَى سَفِيْنَتِهِ، لَذَلِكَ تَوَقَّفَ وَأَنْزَلَ الأَشْرِعَةَ وَجَمَعَ المُسافِرِينَ وَشَرَحَ لَهُمُ الحَالَةَ الرَّاهِنَةَ، فَأَشَارُوا عليه بِآرَاءَ عَدِيدَةٍ، بَعْضُهُمْ طَلَبَ مِنْه العَوْدَةَ إلى الإِسْكَنْدَرِيّةِ، وآخرونَ طَلَبُوا مِنْهُ المُضِيَّ في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطَّرِيْقِ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلامِ، وَالتَّوَغُّلَ في عُرْضِ البَحْرِ، لَكِنَّ سَالِماً أَتَى بَرَأْيٍ آخرَ فَقَالَ: علينا أنْ نُقَدِّمَ المُسَاعَدَةَ لإِخْوَانِنَا في دُمْيَاطَ فَلَعَلَّهُمْ بِحَاجَةٍ إلى مَا مَعَنَا مِنْ طَعَامٍ، فَقَالَ الحَاضِرُوْنَ: وَكَيْفَ لَنَا أَنْ نَصِلَ إليْهِمْ؟ قَالَ سَالِمٌ: اتْرُكُوا الأَمْرَ لي.

صراع مع الأمواج:

وفي المَسَاءِ خَلَعَ سَالِمٌ مَلابِسَهُ وَلَبِسَ قَمِيْصاً وَسِروالاً طويلاً وَشَدَّ حَوْلَ خَصْرِهِ خِنْجَراً حَادّاً، وودَّعَ رُبَّانَ السفينةِ، ثم قَذَفَ بنفسِهِ إلى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المَاءِ وَغَاصَ في الأَعْمَاقِ، وسَبَحَ باتّجاهِ الشّاطِىءِ، وكانَ البَحْرُ هائِجاً فَلَمْ يَأْبَهْ لِلأَمْوَاجِ، وَمَعَ هِيَاجَ البَحْرِ هَاجَتْ حِيتَانُهُ الشَّرِسَةُ، فَتَعَرَّضَ لِسَالِمٍ أَحَدُ حِيتانِ القِرشِ المُتَوَحِّشَةِ، فَصَارَعَهُ سالمٌ وَقَضَى عَليه، فَقَد اسْتَطَاعَ أنْ يُسَدِّدَ إليه عِدَّةَ طَعَنَاتٍ مِنْ خِنْجَرِهِ الْحَادِّ فَهَوىٰ إلى الأَعْمَاقِ وَهُوَ يَتَلَوَّى مِنَ الأَلَمِ، تَارِكاً وَرَاءَهُ خَطّاً مِنَ الدّمَاءِ.

تَابَعَ سَالمٌ طَرِيقَهُ حَتَّى وَصَلَ إلى مَصَبِّ نَهْرِ النِّيْلِ فِي الْبَحْرِ، حَيْثُ تُرَابِطُ بالْقُرْبِ مِنْهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سُفُنُ الأَعْدَاءِ، فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا غَوْصاً حَتَّى دَخَلَ فِي النَّهرِ، وَوصَلَ إلى بَابِ السَّلاسِلِ، فَغَاصَ مِنْ تَحْتِهَا أيْضاً ثُمَّ صَعِدَ إلى الأَعْلَىٰ فَإذَا بِأَسْوَارِ دُمْيَاطَ تَبْدُو لَهُ فَقَصَدَها واقْتَرَبَ مِنْ بَابِ السُّور، ونَادَى حَرَسَ الأَبْوَابِ فَفَتَحُوا لَهُ الْبَابَ وَقَبَضُوا عَلَيْهِ، وَقَادُوهُ إلى والي الْمَدِيْنَةِ، فَعَرَّفَهُ سَالمٌ بِنَفْسِهِ وبالمُؤَنِ التي مَعَهُ، فَفَرِحَ والي دُمْيَاطَ بِها، وكانَتِ المَدينَةُ بِأَشَدِّ الحاجَةِ لَها، فاتَّفقَ سَالمٌ مَعَ الْوَالِي عَلَى خُطَّةٍ لإِيصَالِ السَّفِينَةِ دُونَ رَقَابَةِ الأَعْدَاءِ، وهَكَذَا أَمْضى عِنْدَهُمْ لَيْلَةً لِلْرَّاحَةِ، وفي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بِدَايَةِ اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ، تَوَجَّهَ سَالِمٌ إلى السَّفِينَةِ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلامِ فَوَصَلَهَا قَبْلَ بُزُوغِ الْفَجْرِ، فَوَجَدَ أَصْحَابَهُ في قَلَقٍ عَلَيْهِ، وَهُمْ يُصَلُّونَ وَيَدْعُوْنَ رَبَّهم أنْ يَصِلَ إلَيْهِمْ سَالِمٌ مُعَافى، فَشَكَرَهُمْ سَالِمٌ على مَحَبَّتِهم لَهُ، وَأَخْبَرَهم بِلِقَائِهِ مَعَ والي دُمْياطَ، فَفَرِحُوا بِذَلِكَ، وَشَرَعُوا في التَّخْطِيْطِ لِإِيْصَالِ السَّفِينَةِ إلى المُسْلِمينَ المحَاصَرِيْنَ في دُمْيَاطَ، وانْطَلَقَتِ السَّفِينَةُ في اللَّيْلِ تَتَهَادَى بِبُطْءٍ، وَقَدْ أَنْزَلَتْ أشْرِعَتَها، وَسَارَتْ بِمَجَادِفِ المُجَدِّفِيْنَ لِكَيْ لا يَرَاها الأَعْدَاءُ، وَظَلَّتِ السَّفِينَةُ تَتَقَدَّمُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بِبطءٍ حَتَّى دَخَلتْ مَصَبَّ النِّيْلِ، وَتَقَدَّمَتْ نَحْوَ بَابِ السَّلاسِلِ وَأَعْطَتِ الإِشَارَةَ المُتَّفَقَ عَلَيْها فَفَتحَ الحُرَّاسُ لَهَا البَابَ، وَدَخَلَتْ في المَضِيْقِ المُوْصِلِ إلى دِمْيَاطَ، وَلَمّا رَآهَا المُسْلِمونَ مِنْ أعْلَى الأبْرَاجِ كَبَّرُوا فَرَحاً بِوُصُولِهَا، وَارْتَفَعَتْ مَعْنَوِيَّاتُهُمْ بالْمؤَنِ التي فِيهَا، فَقَاوَمُوا الحِصَارَ عِدَّةَ أشْهُرٍ أُخرى.

بداية الهجوم على سفن الأعداء:

عَلِمَ السُّلطَانُ بِجُرْأَةِ سَالِمٍ وَبُطُوْلَتِهِ، فَطَلَبهُ لِيُكَافِئَهُ على مَا قَدَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ، وكانَ السُّلْطَانُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يُرَابِطُ بِجَيْشِهِ بَعِيْداً عَنْ دُمْيَاطَ، على شَوَاطِىءِ النِّيْلِ العُلْيَا، فَذَهَبَ سَالمٌ إلَيْهِ وَمَثُلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَرَحَّبَ به السُّلطَانُ وشَكَرَهُ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْعَمَلَ مَعَ سُفُنِ الْمُسْلِمِيْنَ الحَرْبِيَّةِ، فَوَافَقَ سَالمٌ عَلَى ذَلِكَ، لأَنَّهُ سَيُؤدِّي لِلْمُسْلِمِيْنَ خِدْمَةً ضِد أعْدَاءِ الدّينِ، وَلأنَّ الجِهَادَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.

والْتَقَى سَالِمٌ بِقَائِدِ أُسْطُولِ الْمُسْلِمِيْنَ، وأَطْلَعَهُ عَلَى خُطَّةٍ يُرْعِبُ بِهَا الأَعْدَاءَ، وَيُدَمِّرُ لَهُمْ جُزْءاً منْ أُسْطُولِهِمْ، وَكَانَت الْخُطَّةُ تَهْدِفُ إلى اقْتِنَاصِ سُفُنِ الأَعْدَاءِ، لَقَدْ كَانَ الأعْدَاءُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يَرْبِطُوْنَ سُفُنَهُمْ في اللّيْلِ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، لِكَيْ لا تَتَقَاذَفَهَا الأَمْوَاجُ وَتَتَفَرَّقَ عَنْ بَعْضِها، لِذَلِكَ اتَّفَقَ مَعَ الْقَائِدِ للاسْتِيْلاَءِ عَلَيْها، سَفِينَةً إِثْرَ أُخْرَىٰ، وَغَاصَ سَالِمٌ تَحْتَ الماءِ، حَتّى وَصَلَ إلى سُفُنِ الأَعْدَاءِ، فَغَاصَ تَحْتَ إِحْدَاهَا، وَصَعِدَ عَلَيْهَا وَقَتَلَ حَارِسَهَا، ثُمَّ قَطَعَ الحِبَالَ الَّتي تَرْبِطُها مَعَ السُّفُنِ الأُخْرَى، وَرَبَطَهَا بِحَبْلٍ طَوِيلٍ، ثُمَّ نَزَلَ إلى المَاءِ. وَسَحَبَ الحَبْلَ إلى قَارَبٍ كَبِيرٍ كَانَ يَنْتَظِرُه مَعَ عَدَدٍ مِنَ الْجُنُودِ السَّبَاحِينَ، وَبَدَأَ سَحْبَ السَّفِينَةِ بَعِيْداً عَنْ سُفنِ الأَعْدَاءِ، حَتَّى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أوْصَلُوْها إلى سَفِينَةٍ لِلْمُسْلِمِيْنَ كَانَتْ بانْتِظَارِهَا.

وَلَمَّا تَقَارَبَتِ السَّفِينَتَانِ وَثَبَ جُنُودُ المُسْلِمِيْنَ عَلَيْهَا، وَقَتَلُوا مَنْ فِيْهَا مِنَ الأَعْدَاءِ، واسْتَوْلَوا عَلَيْهَا، وَجَازُوها إلَيْهِمْ.

وهَكَذَا اسْتَطَاعَ سَالِمٌ، أنْ يَسْحَبَ في لَيْلَتِهِ هَذِهِ ثَلاَثَ سُفُنٍ لِلأَعْدَاءِ قَبْلَ أنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ، ثُمَّ عَادَ إلى الشَّاطِىءِ لِيَسْتَرِيحَ، وَلِيُعِدَّ خُطَّةً جَرِيئَةً لِلَّيْلَةِ الْقَادِمَةِ، وَمَعَ بُزُوغِ الْفَجْر انْتَبَهَ الأَعْدَاءُ إلى نَقْصِ سُفُنِهِمْ، ولكِنْ بَعْدَ فَوَاتِ الأَوانِ، فَشَدَّدُوا الحِرَاسَةَ في اللَّيْلَةِ التَّالِيةِ، وَهُمْ في حَالَةِ خَوْفٍ وَتَرَقُّبٍ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واقْتَرَبَ سَالمٌ هَذِهِ المرَّة لِيُنَفِّذَ عَمَلِيَّتَهُ الجَدِيْدَةَ بِخُطَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ، ولمَّا اقْتَربَ مِنَ السُّفُنِ غَاصَ تَحْتَ إِحْدَاهَا، ثُمَّ ظَهَرَ لِيَأْخُذَ أَنْفَاسَهُ، فَرَآهُ الأَعْدَاءُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْكَبُونَ قَارِباً وَيَقُومُونَ بِالْحِرَاسَةِ حَوْلَ السُّفُنِ، فَصَاحُوا بِهِ، وَصَوَّبُوا إليهِ السِّهَامَ، لَكِنَّهُ غَاصَ بِسُرْعَةٍ تَحْتَ المَاءِ، فَأَشْعَلُوا النَّارَ وَبَدَؤُوا في البَحْثِ عنه، فكانَ كُلَّما ظَهَرَ لَهُمْ خَيَالُهُ أَطْلَقُوا عليه السِّهَامَ، فَيَغُوْصُ بَسرْعةٍ نَحْوَ الأَعْمَاقِ فَلا تُدْرِكُهُ السِّهَامُ، وَهَكَذَا حَتَّى أَتْعَبَهُم وابْتَعَد بهم عَنِ السُّفُنِ، ثم غَاصَ تحتَ قَارِبِهم وَأَمْسَكَ بِمُؤخِّرَتِهِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَهُمْ لا يَرَوْنَهُ، وَأَمْضَى فَتْرَةً لِلرَّاحَةِ والأَعْدَاءُ حَائِرُونَ، لا يَدْرُونَ أَيْنَ ذَهَبَ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أَصَابُوهُ بِسَهمٍ فَقَتَلُوْهُ، وبَعْدَ فَتْرةِ هُدُوْءٍ، جَمَعَ سَالمٌ قُوَّتَهُ وقَلَبَ القَارِبَ، فَخَافُوا مِنَ المُفَاجَأةِ وارْتَاعُوا، وَسَقَطُوا في الماءِ خَائِفِيْنَ، فَتَلَقَّاهُم سَالمٌ بِخِنْجَرِهِ الحادِ، وَبَقَر بُطُوْنَهم أجْمَعِينَ، ثُمَّ سَبَحَ باتِّجاهِ دُمْيَاطَ، وكانَ صَيْدُهُ في هذه اللَّيْلَةِ خُمْسَةَ جُنُودٍ فَقَط، لَكِنَّها كَانَتْ مُغَامَرَةً نَاجِحَةً اسْتَفَادَ سَالِمٌ مِنْهَا.

وفي الصَّبَاحِ، كَانَ سَالمٌ يَرْقُبُ البَحْرَ مَعَ ثُلَّةٍ مِنْ زُمَلائِهِ السَّبَّاحِيْنَ، فَرَأوا سَفِينَةً كَبِيْرةً

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لِلأَعْدَاء قَادِمَةً مِنْ بَعِيْدٍ، وَكَانَتْ ضَخْمَةً لم يَشْهَدُوا مِثْلَهَا مِنْ قَبْلُ، تَحمِل لِلأَعْدَاءِ المُؤَنَ والسِّلاَحَ والجُنُودَ، وَقَدْ سَمَّاهَا الأَعْدَاءُ «مَارْمَا».

تَبَسَّمَ سَالمٌ لما رَآهَا وَقَالَ: يا لَهاَ مِنْ صَيْدٍ ثَمِينٍ، سَأُبَاغِتُهَا في المَسَاءِ قَبْلَ أنْ يُفَرِّغُوا مِنْهَا شَيْئاً، وفي المَسَاءِ، كَانَت الظُّلْمَةُ في هَذِهِ اللَّيْلةِ حَالِكَةً لأَنَّ الشَّهْرَ في آخِرِهِ، فلا قَمَرٌ في السَّمَاءِ يبددها، والغُيُومُ تَحْجُبُ النُّجُومَ، فَتُضْفي عَلَى الأَرْضِ ظَلاَماً دَامِساً، وانْطَلَقَ سَالمٌ في عُرْضِ الْبَحْرِ قَاصِداً السَّفِينَةَ «مَارْمَا»، وفي جُعْبَتِهِ مِثْقَابٌ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَأَدَواتٌ أُخرى لِنَقْبِ السّفِينَةِ وَإِغْرَاقِهَا، فَوَصَلَها قَبْلَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ بِقَلِيلٍ، فَأَمْسَكَ بِمِرْسَاتِهَا وَاسْتَرَاحَ قَلِيلاً، وَتَنَصَّتَ عَلَى القَوْمِ فَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهم حِسّاً ولا حَرَكَةً، فَعَلِمَ أَنَّهُمْ نِيَامٌ مِنْ مَشَقَّةِ السَّفَرِ، فَنَزَلَ إلى قَاعِ السَّفِينَةِ وَكَانَ عَمِيْقاً، وَبَدَأَ فِي نَقْبِهَا، وَمَا هِيَ إلاّ سَاعَاتٌ قَلِيْلَةٌ حَتَّى أَحْدَثَ فِيْهَا عَدَداً مِنْ الثُّقُوب الْكَبِيْرَةِ فَبَدَأَتِ السَّفِينَةُ تَهْوي إلى الْقَاعِ، وَلَمْ يَشْعُرِ الأَعْدَاءُ بِأَمْرِهَا إلاّ بَعْد أَنْ غَطَسَ مُعْظَمُهَا في الماءِ، فَهَبُّوا خَائِفِينَ مَذْعُورِيْنَ، واضْطَرَبَ أَمْرُهُمْ، وَعَلاَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صِيَاحُهُمْ، فاتَّجهُوا نَحْوَ البَحْرِ، وَبَدَؤوا يَقْذِفُون أَنْفُسَهُمْ في الماءِ، وكَانَ سَالمٌ بانْتِظَارِهِمْ، فَكَانَ يَطْعَنُ كُلَّ مَنْ يُلْقِي بِنَفْسِهِ في الماءِ حَتّى قَتَلَ عَدَداً كَبِيراً مِنْهُمْ، ثُمَّ ابْتَعَدَ عَنِ السَّفِيْنَةِ وَوَقَفَ قَلِيلاً يُمَتِّعُ نَظَرَهُ بِهَا، وَيَشْهدُ ابْتِلاعَ الماءِ لأَكْبَرِ سَفِينَةٍ لِلْعَدُوّ، بِمَا فيهَا مِنْ مُؤَنٍ ورجالٍ، وَأَحْدَثَ غَرَقُهَا صَدْمَةً كَبِيْرةً لِلأَعْدَاء، أمَّا المُسلِمُونَ فَقَد فَرِحُوا بِهَذَا النّصْر في الْبَحْرِ.

انسحاب الأعداء:

خافَ الصَّلِيبِيُّون مِنْ كَثْرَةِ الخَسَائِرِ المُتَلاحِقَةِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الَّتي أُصِيْبُوا بِهَا، وَحَسِبُوا أنَّ هُنَاكَ قُوىً خَارِقَةً تَقِفُ إلى جانِبَ المُسلِمِيْنَ، فَتُحْدِثُ الأذَى في صُفُوْفِهِمْ، لِذَلِكَ قَالُوا: لَوْ بَقِيْنا عَلَى هَذِهِ الحَالَةِ فَسَوْفَ نَفْقِدُ كُلَّ سُفُنِنَا، فَلاَ خَيْرَ في هَذَا الحِصَارِ الّذِي لَمْ نُحَقِّقْ مِنْهُ مَغْنَماً أوْ فَتْحاً، كَمَا أنَّ قُوَّاتِهِمْ الَّتي تَقَدَّمَتْ وَحَاصَرَتْ دُمْيَاطَ بَرّاً، مُنِيَتْ بِهَزِيْمَةٍ مُنْكَرَةٍ، فاجْتَمَعَتْ لَهُمْ هَزِيْمَتَانِ، لِذَلِكَ قَرَّرُوا فَكَّ الحِصَارِ وَالانْسِحَابَ لَيْلاً، وَمَاإنْ بَزَغَتْ شَمْسُ الْيَوْمِ التَّالي، حَتّى كَانَتْ سُفُنُهُمْ تَنْشُرُ أَشْرِعَتَها، وَتُغَادِرُ سَوَاحِلَ مِصْرَ بِلاَ رَجْعَةٍ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَرِحَ المُسْلِمُوْنَ بِهَذَا النَّصْرِ، فَحَمِدُوا اللهَ على انْكِشَافِ الغُمَّةِ، وَعَادُوا لِمُزَاوَلَةِ أَعْمَالِهِمْ، واسْتَدْعى السُّلطَانُ سَالِماً، وَشَكَرَهُ على بِطُوْلاَتِهِ وَمَنَحَهُ الأَوْسِمَةَ والهَدَايَا والمالَ، تَعْوِيْضاً لَهُ عَنْ بَضَائِعِهِ الَّتي قَدَّمهَا لِلْمَدِينةِ المُحَاصَرَةِ، وَلَقَّبَهُ «السَّبَّاحُ المُجَاهِدُ» فَكَانَ لَقَباً فيهِ عِزٌّ وَفَخْرٌ لِسَالم.

عَادَ سَالِمٌ إلى أَهْلِهِ مُحَمَّلاً بِالبَضَائِعِ، مُتَابِعاً طَرِيْقَهُ في بَحْرٍ آمِنٍ، فَوَصَل إلى سَوَاحِلِ الشَّامِ، ثُمَّ انْتَقَل إلى مَدِينَةِ حَمَاةَ، فَنَزَلَ فِيهَا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَمَشَى عَلَى ضِفَافِ نَهْرِ العَاصِي، فَأَعَادَ لِذَاكِرَتِه أَيَّامَ الطُفُوْلَةِ التي تَعَلَّمَ فِيهَا السِّبَاحَةَ وَأَتْقَنَهَا، لَقَدْ أَفَادَتْهُ، وَأَفَادَتْ أُمَّتَهُ، وَجَعَلَتْهُ يَحُوْزُ عَلَى لَقَبِ «السَّبَّاحِ المُجَاهِدِ».

❁ ❁ ❁

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

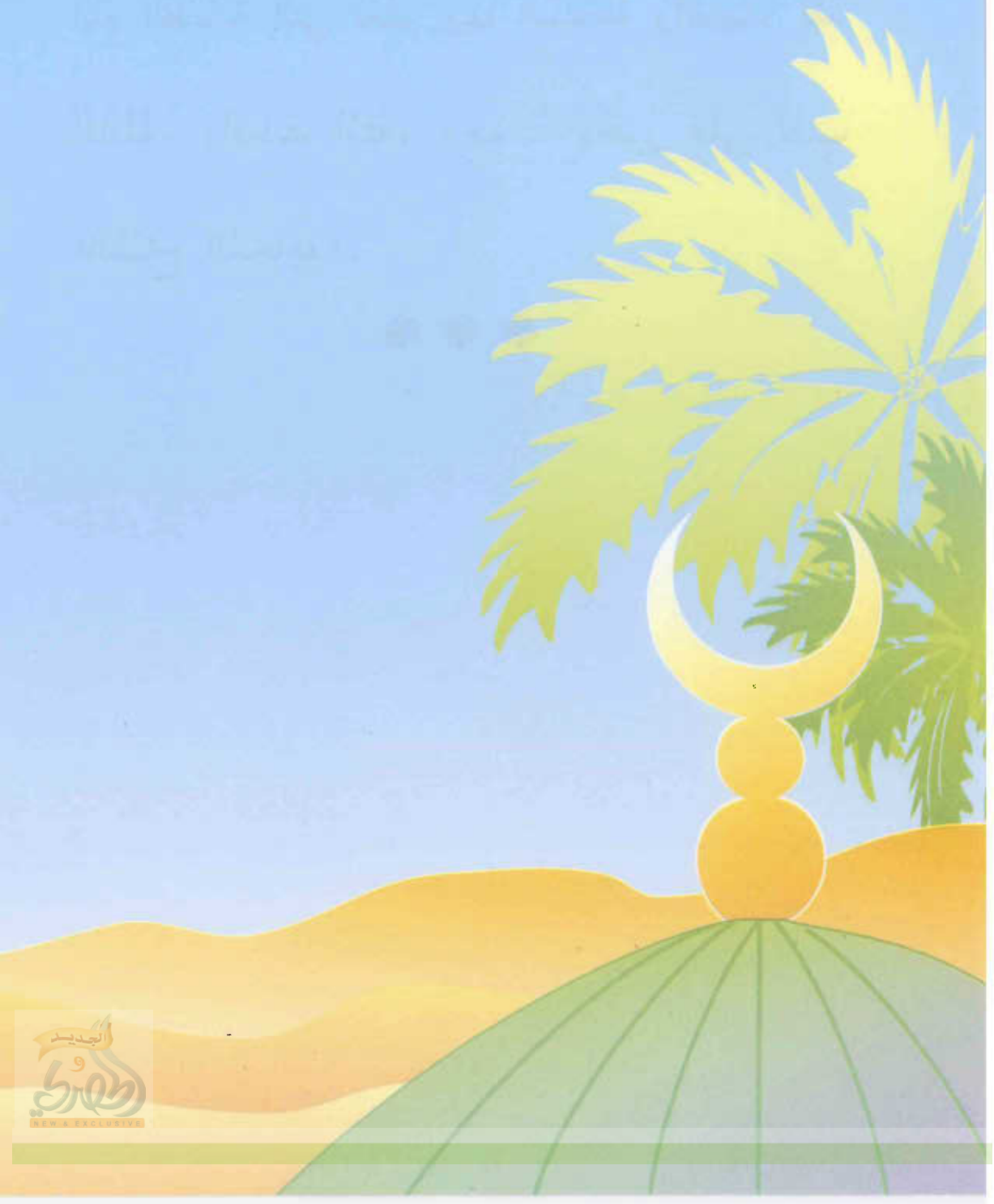

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قصص إسلامية للأطفال

المحتال

تأليف

محمد منير الجنباز

مكتبة التوبة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ⓒ مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجنباز، محمد منير

المحتال.- الرياض

٣٦ص، ١٧×٢٤سم.- (سلسلة قصص إسلامية للأطفال)

ردمك: ٣ - ٥١ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

١ - القصص الإسلامية ٢ - قصص الأطفال أ - العنوان

ب - السلسلة

ديوي ٨١٣،٠٨٨ ٢٠/٣٨٢٢

رقم الإيداع: ٢٠/٣٨٢٢

ردمك: ٣ - ٥١ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

جميع حقوق الطبع محفوظة

طبعة جديدة منقحة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

التوبة

الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير

هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

دِينُنَا الإسلامي:

جاءَ الدّينُ الإسلامِيُّ هِدَايَةً للناسِ جمِيعاً، يَحْمِلُ لهمُ الخَيْرَ والمَحَبّةَ، فَيُعَلِّمُهُمْ الإيمانَ باللَّهِ وَرَسُولِهِ، والعبادَةَ الخالِصَة للهِ تَعالَى وَحْدَهُ، وَالتَّقَرُّبَ إِلى اللَّهِ تَعَالى بالعبادَةِ وَالطَّاعَةِ، كَمَا جَاءَ الدّينُ الإسلامي لِيُنَظِّمَ حَيَاةَ النّاسِ وَمُعَامَلاتِهِمْ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ، فأَوْجَبَ طَاعَةَ الكَبِيرِ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في غَيْرِ مَعْصِيَةٍ لِلَّه، وَاحْتِرَامِ الكَبِيْرِ لِلصَّغير، وَعَطْفِ القَوِيّ على الضَّعِيْفِ، وَأَوْجَبَ المَحَبَّةَ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ وَحُسْنَ الخُلُقِ، لِيَعِيْشَ النَّاسُ في أَمَانٍ وَاطْمِئْنَانٍ، كَمَا أَمَرَ الإِسْلاَمُ المُسْلِمِيْنَ بِالتَّعَاوُنِ وَمُسَاعَدَةِ المُحْتَاجِينَ، وَمَدِّ يَدِ العَوْنِ لِلضُّعَفَاءِ وَالأَيْتَامِ، وَقَدْ كَانَتْ حَيَاةُ الصَّحَابَةِ التي عَاشُوْهَا زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ هي المَثَلَ الذي يَجِبُ أَنْ نُقَلِّدَهُ، فَأَحَبُّوا بَعْضَهُمْ بَعْضاً، وَسَادَ بَيْنَهم العَطْفُ وَالمَوَدَّةُ والتّآخي والتّراحُمُ، وَتَعَامَلُوا بالأَمَانَةِ وَالوَفَاءِ، وَعَدَمِ الغِشِّ والخِدَاعِ، حَتّى كَانُوا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مُجْتَمعاً مُتَماسِكاً مُتَعاوِناً، يُحِبُّ فيه المُسْلِمُ أَخَاهُ في اللَّهِ أَكْثرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَتَمنَّى لَهُ كُلَّ خَيْرٍ في مَالِهِ وَبَدَنِهِ وَأَوْلاَدِهِ، وكانَ الرّسولُ ﷺ يعيشُ بينهم، فَكَانَ قُدْوَةً لَهُمْ، يَحُثُّهم على الخير، وَيُوَجِّهُهُمْ إلى الطّريق المُسْتَقيم، فَارْتَقوا بالمَحَبَّةِ والإِيْثَارِ حَتّى قَالَ اللَّهُ فيهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فَالمُسْلِمُ كَانَ يَتَخلَّى عن طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ لأَخِيْهِ المُسلمِ إِنْ رآهُ جائِعاً، وَيُفَضّلُ أَنْ يكُوْنَ هو الجائعَ لا أَخَاهُ المُسْلمَ، وهذا هو مَعْنى الإيثارِ عَلَى النّفْسِ، وقد أُهْدِيَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لِعَلِيِّ بنِ أَبي طالبٍ رضِيَ اللَّهُ عنهُ طعاماً ذاتَ لَيْلَةٍ، وكَانَ بَيْتُهُ خَاوِياً مِنَ الطَّعَامِ وَهُوَ بِحَاجَةٍ لَهُ، لَكِنَّهُ كانَ في تلكَ الليلةِ قَد تَعَشّى، فَلَمْ يَدَّخِرْهُ حَتّى الصّباحِ، وَإِنَّما قَالَ: رُبَّمَا لَمْ يَتَعَشَّ جاري حَتّى الآن، وَقَدْ لا يكونُ عِنْدَهُ مَا يَأْكُلُهُ الآنَ، فَحَمَل الطَّعَامَ إلى جارِهِ وَأَهْدَاهُ إِيّاهُ، ثم إِنَّ جَارَهُ كَانَ قَد تَعَشّى أَيْضاً، فَحَمَلَه بِدَوْرِهِ إِلى جَارِهِ وَأَهْدَاهُ إِيّاهُ، ثم إِنَّ الآخَرَ حَمَلَهُ إِلى جارِهِ وقَالَ لَعَلَّه أَحْوَجُ مِنّي إِلى هذا الطعامِ، وهكذا ظَلَّ الطَّعَامُ يَنْتَقِلُ مِنْ بَيْتٍ إلى بَيْتٍ حَتّى عَادَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إِلى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يُؤْثِرُ غَيْرَهُ بهذا الطّعامِ، سُرَّ عَلِيٌّ مِنْ هذا التَّعَاوُنِ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ لِهذهِ الصُّورَةِ الرّائِعَةِ مِنَ المَحَبَّةِ. وَلَكِنْ مَعَ مُرُوْرِ الزّمَنِ وانْقِضَاءِ ذَلِكَ العَصْرِ الرَّائِعِ، قَلَّتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ، وَتَغَيَّرَ بَعْضُهُمْ، وَمَالَ إِلى الطَّمَعِ، وَإِلى اسْتِغْلالِ عَطْفِ المُخْلِصِيْنَ الطّيِّبِينَ المُلْتَزِمِينَ بِتَعَالِيْمِ الإِسْلاَمِ.

لَقَدْ حَضَّ اللَّهُ الأَغْنياءَ على التَّصَدُّقِ وَمُسَاعَدَةِ الفُقَراءِ، وَوَعَدَهُمْ بِالأَجْرِ وَالثَّوابِ وَمُضَاعَفَةِ الحَسَنَاتِ لِقَاءَ التَّصَدُّقِ عَلَى الفقراءِ، فَقالَ اللَّهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تَعالَى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾.

لِذَلِكَ كَانَ على الأَغْنِيَاءِ أَنْ يَدْفَعُوا لِلْفُقَرَاءِ مَالاً يُعِينُهُمْ عَلَى مُوَاصَلَةِ الْعَيْشِ في هذِهِ الحَيَاةِ، لَكِنَّ بَعْضَ المُحْتَالِيْنَ اسْتَغَلُّوا حَياةَ التَّعَاوُنِ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ، فَتَصَنَّعُوا الفَقْرَ، وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ لِلسُّؤَالِ وَأَخْذِ المَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَجَعَلُوا عَمَلَهُمُ الجُلُوْسَ في الطُّرُقَاتِ وَسُؤَالِ النَّاسِ، وَلَبِسُوا - مِنْ أَجْلِ الخِدَاع - الثِّيَابَ البَالِيَةَ المُمَزَّقَةَ، لِكَيْ يَسْتَدِرُّوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَطْفَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ، كَمَا تَصَنَّعُوا بِالعَجْزِ وَالمَرَضِ وَهُمْ أَصِحّاءُ قَادِرُوْنَ عَلَى العَمَلِ، لَكِنَّ الكَسَلَ وَعَدَمَ مَحَبَّتِهِم لأُمَّتِهِمْ، جَعَلَهُمْ يَمِيْلُوْنَ إِلى أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْحِيْلَةِ، وَفي هَذَا ضَرَرٌ لِلأُمَّةِ، وَتَعْطِيْلٌ لِقُدُرَاتِهَا الإِنتَاجِيَّةِ.

الإِسلامُ لا يُؤَيِّدُ إِعْطَاءَ المُحْتَالِينَ:

إِنَّ تقديمَ الصَدَقَةِ يَنْبَغي أَنْ يَكُوْنَ لِلْمُسْتَحِقِّيْنَ فَقَط، فالإِنْسَانُ الّذي أَقْعَدَهُ المَرَضُ وَضَعُفَ عَنِ الكَسْبِ يَسْتَحِقُّ الصَّدَقَةَ، وَيَسْتَحِقُّهَا كَذَلِكَ: اليَتِيْمُ وَالفَقِيْرُ وَالمَرْأَةُ الّتي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مَاتَ عَائِلُهَا، وَالمُسْلِمُ الّذي احْتَرَقَ مَنْزِلُهُ أَوْ دَاهَمَتْهُ السُّيُوْلُ وَجَرَفَتْ مَا فِيْهِ، وَالْعَاجِزُ الّذي شَاخ وكَبُرَ فلا يَسْتَطِيْعُ العَمَلَ، وَكَذَلِكَ الإِنْسَانُ الّذي أَضَاعَ مَالَهُ وَهُوَ مُسَافِرٌ وَلاْ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَعُوْدَ إِلى بَلَدِهِ إلاّ بالمُسَاعَدَةِ، وَعَلَيْهِ فَهُنَاكَ أَصْنَافٌ مِن النّاسِ فُقَرَاءُ يَسْتَحِقُّوْنَ الصَّدَقَةَ والمُسَاعَدَةَ، وعَلَى المُسْلِمِينَ أَنْ يُسَاعِدُوهُمْ، وَكَذَلِكَ هُنَاكَ المُجَاهِدُونَ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ الَّذِيْنَ يُدَافِعُونَ عَنْ عَقِيدَتِهِمْ ضِدَّ الطُّغَاةِ وَالبُغَاةِ وَالمُسْتَعْمِرِيْنَ، وَيَذُودُوْنَ عَنْ دِيَارِ المُسْلِمِيْنَ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فَهَؤُلاءِ يَسْتَحِقُّوْنَ الصَّدَقَةَ لأَنَّهُمْ انْقَطَعُوا إِلى الجِهَادِ، وَوَاجِبُ المُسْلِمِينَ تَقْدِيْمُ المَالِ إِلَيْهِمْ.

أَمَّا الكُسَالَى مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ قَعَدُوا عن الكَسْبِ وَالْعَمَلِ، وَجَعَلُوا السُّؤَالَ صَنْعَتَهُمْ، فَهَؤُلاَءِ لاَ يَسْتَحِقُّوْنَ الصَّدَقَةَ، لأَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْمَلُوا، وَلَقَدْ رَغَّبَ الإِسْلاَمُ بِالْعَمَلِ، وَشَجَّعَ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبلَهُ فَيَحْتَطِبَ خَيرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوْهُ**» وَقَالَ أَيْضاً: «**الْيَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**»، فَالْيَدُ العُلْيَا هِيَ المُعْطِيَةُ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَالْيَدُ السُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ، وَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَمُرُّ عَلَى المَسَاجِدِ، فَإِذَا رَأَى أَحَداً يُطِيْلُ المُكُوْثَ فِيْهَا وَلَا يَذْهَبُ لِلْعَمَلِ، زَجَرَهُ وَأَمَرَهُ بِالْعَمَلِ، وَأُثِرَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ السَّمَاءَ لَا تُمْطِرُ ذَهَباً وَلَا فِضَّةً» وَهَكَذَا نَشِطَ المُسْلِمُوْنَ فِي العَمَلِ، وَكَرِهُوا الكَسَلَ، لأَنَّ العَمَلَ عِبَادَةٌ، وَلِلْعَامِلِ ثَوابٌ كَبِيْرٌ. وَقَدْ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ.

أصنافٌ مِنَ المُحْتَالين:

بَرَعَ كثيرٌ مِنَ المُحْتَالِيْنَ الَّذيْنَ يَمُدُّوْنَ أَيْدِيَهُمْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِلى النَّاسِ، وَيَطْلُبُوْنَ مِنْهُمُ المُسَاعَدَةَ فِي جَعْلِ أَنْفُسِهِمْ فُقَرَاءَ ذَوِيْ حَاجَاتٍ، لِكَيْ يَسْتَدِرُّوا عَطْفَ النَّاسِ، فَأَصْنَافٌ مِنْهُمْ يَلْبَسُوْنَ الثِّيَابَ المُمَزَّقَةَ، وَأَصْنَافٌ آخَرُوْنَ يَرْبِطُوْنَ عَلَى رُؤُوْسِهِمْ عِصَابَةً صُبِغَتْ بِاللَّوْنِ الأَحْمَرِ، لِيُوْهِمُوا النَّاسَ أَنَّهُمْ جَرْحَى أَوْ مُصَابُوْنَ إِصَابَاتٍ تَمْنَعُهُمْ مِنَ العَمَلِ، وَآخَرُوْنَ جَعَلُوا الأَرْبِطَةَ المَصْبُوْغَةَ بِالأَحْمَرِ عَلَى أَذْرِعَتِهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ، لِيُوْهِمُوا النَّاسَ أَنَّهَا مَكْسُوْرَةٌ، وَآخَرُوْنَ يَضَعُوْنَ حَوْلَهُمْ أَطْفَالَهُمْ بِصُوَرٍ بَائِسَةٍ، أَوْ يُعْطُوْنَهُم بَعْضَ فُتَاتِ الطَّعَامِ، وَيَلْبَسُوْنَ الثِّيَابَ المُمَزَّقَةَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوَسِخَةَ، وَهَكَذَا تَفَنَّنَ المُحْتَالُوْنَ كَثِيْراً في التَّصَنُّعِ وَالظُّهُوْرِ بِمَظْهَرِ البُؤَسَاءِ المَسَاكِيْنِ، وَالمُسْلِمُوْنَ يَعْطُوْنَهُمْ - عَنْ طِيْبِ نَفْسٍ - حَسَنَةً قُرْبَى إِلى اللَّهِ، ثُمَّ يَعُوْدُ هَؤُلاءِ المُحْتَالُوْنَ فِي اليَوْمِ التَّالي يَسْأَلُوْنَ وَيَسْأَلُوْنَ وَلاْ يَكْفِيْهِمْ مَا جَمَعُوْهُ فِي اليَوْمِ الأَوَّلِ رَغْمَ كَثْرَتِهِ، فَيَكْنِزُوْنَهُ وَيَطْلُبُوْنَ المَزِيْدَ، وَيُصْبِحُ بَعْضُهُمْ أَكْثَرَ غِنىً مِنَ النَّاسِ المُتَصَدِّقِيْنَ، وَتُصْبِحُ مِهْنَتُهُمْ جَمْعَ المَالِ والثَّرَاءِ عَنْ طَرِيْقِ السُّؤَالِ.

شفيق المُحتال:

حَدَّثَنِي أَحَدُ زُمَلاَئِي عَنْ قِصَّةِ شَفِيْقٍ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المُحْتَالِ، الّذي امْتَهَنَ الشَّحَاذَةَ وَسُؤَالَ النَّاسِ، وَلَكِنْ بِأُسْلُوْبٍ يَخْتَلِفُ تَمَاماً عَنْ أَسَالِيْبِ الشَّحَّاذِيْنَ الآخَرِين، لَقَدْ كَانَ يَنْتَقِي فِي كُلِّ فَتْرَةٍ مَدِينَةً صَغِيرَةً يَسْمَعُ عَنْ أَهْلِهَا الطِيْبَةَ وَالتَّدَيُّنَ، فَيَلْبَسُ لَهُمْ لِبَاسَ التَّقْوَى، لِتَمِيْلَ إِلَيْهِ قُلُوْبُهُمْ، وَيَتَكَلَّمَ العَرَبِيَّةَ الفُصْحَى وَالأَدْعِيَةَ المَأْثُوْرَةَ، لِيُحَبِّبَ المُحْسِنِينَ إِلَيْهِ، وَكَانَ يَغُضُّ مِنْ بَصَرِهِ، وَيُطْرِقُ رَأْسَهُ وَلا يَرْفَعُهُ، وَلا يُلاَحِقُ النَّاسَ بِنَظَرَاْتِهِ، يَنْتَقِي مَكَاناً وَسَطاً في المَدِيْنَةِ، بِحَيْثُ يَمُرُّ مِنْهُ غَالِبِيَّةُ السُّكَّانِ، وَلاَ يَطْلُبُ مِنْهُمُ الْقِرَشَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَوِ الدِّرْهَمَ، بَلْ كَانَ يَقُوْلُ: يَا اللَّهُ يَا رَزَّاقُ يَا كَرِيْمُ، لَيْسَ كَثِيْراً عَلَيْكَ يَا رَبِّ أَنْ تَرْزُقَنِي مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ ثَلاَثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ جُنَيْهاً وَنِصْفاً، هَذَا طَلَبِيْ مِنْكَ، وَهذِهِ حَاجَتِي يَا رَبِّ.

وَكَانَ يَطْلُبُ هَذَا الطَّلَبَ وَيُرَدِّدُ هَذِهِ العِبَارَةَ طِيْلَةَ يَوْمِهِ، إِنَّهُ يَطْلُبُ مَبْلَغاً كَبِيْراً، خُصُوْصاً إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ مُرَتَّبَ المُوَظَّفِ الكَبِيْرِ فِي تِلْكَ الفَتْرَةِ لاَ يَزِيْدُ عَنْ عِشْرِيْنَ جُنَيْهاً، وَثَابَرَ هَذَا السَّائِلُ بِلا فُتُوْرٍ عَلَى تَرْدِيْدِ طَلَبِهِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى إِسْمَاعِ النَّاسِ لِمَا يُرِيْدُ، إنه يُرِيْدُ ثَلاَثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ جُنَيهاً

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَنِصْفاً، وَحَفِظَ النَّاسُ المَبْلَغَ المَطْلُوْبَ، وَلَكِنَّهُمُ اسْتَكْثَرُوْهُ، وَأَبَوْا أَنْ يَمُدُّوا لَهُ يَدَ العَوْنِ وَالْمُسَاعَدَةِ، وَلَمْ يَيْأَسْ شَفِيْقٌ، لأَنَّهُ خَبِيْرٌ في صَنْعَةِ الشِّحَاذَةِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ اسْتِجَابَةِ النّاسِ لِطَلَبِهِ.

إِنَّهُ لاَ يُرِيْدُ أَنْ يَجْمَعَ المَالَ عَنْ طَرِيْقِ القِرْشِ وَالقِرْشَينِ، وَلَوْ جَلَس في قَارِعَةِ الطَّرِيْق يَجْمَعُ هَذَا المَبْلَغَ مِنَ القِرْشِ والقِرْشَيْنِ، لاسْتَغْرَقَ سَنَةً كَامِلَةً دُوْنَ أَنْ يَحْصُلَ على هَذَا المَبْلَغِ، لِذَلِكَ وَطَّدَ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ، وَعَلَّمَ لِسَانَهُ عَلى التَّكْرَارِ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَكَانَ سَعِيْدٌ رَجُلُ الأَمْنِ، يُرَاقِبُ هَذَا السَّائِلَ وَيَشُكُّ في أَمْرِهِ، إِنَّهُ لاَ يُرِيْدُ أَنْ يُحَاسِبَهُ عَلَى عَمَلِهِ السَّيِءِ، فَلَيْسَتْ تِلْكَ مَهَمَّتُهُ، وَلَكِنَّهُ رَاقَبَهُ خَشْيَةَ أَنْ يَكُوْنَ جَاسُوساً لِلأَعْدَاءِ، لأَنَّ الأَعْدَاءَ نَشِطُوا في تِلْكَ الفَتْرَةِ لِلتَّجَسُّسِ وَمَعْرِفَةِ أَخْبَارِ البِلاَدِ، فَكَانَ سَعِيْدٌ يَمُرُّ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَمَامِهِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وَيَنْظُرُ فِيْهِ وَيَتَأَمَّلُهُ مَلِياً ثُمَّ يَمْشِي، وَشَفِيْقٌ مُطْرِقُ الرَّأْسِ يُنَادِي بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ، وَيُرَدِّدُ عِبَارَتَهُ الّتي حَفِظَها النَّاسُ: «يَا اللَّهُ يا رَزَّاقُ يا كَرِيمُ، لَيْسَ كَثِيراً عَلَيْكَ يَا رَبِّ أَنْ تَرْزُقَنِي بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ ثَلاَثَمِائَةِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَستّينَ جُنَيْهاً وَنِصْفاً» ونصفُ الجُنَيْهِ يُسَاوِي خَمْسِيْنَ قرشاً.

اجتماعُ أَهْلِ الخَير:

وَاجْتَمَعَ المُوْسِرُوْنَ وَأَهْلُ الخَيرِ فِي البَلْدَةِ، وَتَدَارَسُوا أَمْرَ هَذَا الرَّجُلِ الغَرِيْبِ، وَذَكَرُوا خَبَرَهُ في مُجْتَمَعِهِمْ، حَتَّى انْتَشَرَ أَمْرُهُ، وَانْقَسَم النَّاسُ بَيْنَ مُؤَيِّدٍ لِمُسَاعَدَةِ هَذَا المِسْكينِ، وَبَيْنَ مُعَارِضٍ لِذَلِكَ، فَوَقَفَ قِسْمٌ مِنْهُمْ وَهُمُ البُسَطَاءُ الطَّيِّبُوْنَ وَقَالُوا: لَوْ لَمْ يَكُنْ لِهَذا الغَرِيْبِ حَاجَةٌ مَاسَّةٌ لِهَذا المَالِ لَمَا صَبَر هَذا الصَّبْرَ، وَلَمَا طَلَبَ هَذَا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الطَّلَبَ، لَقَدْ قَصَدَ مَدِيْنَتَنَا، لأَنَّه يَعْرِفُ أَنَّها مَدِيْنَةُ خَيْرٍ وَعَطَاءٍ، فَعَارٌ عَلَى مَدِيْنَتِنَا أَلاَّ تُعْطِيَهُ، وَعَارٌ عَلَيْنَا وَعَلَى سُمْعَتِنَا بَيْنَ المُدُنِ الأُخْرَى أَنْ نَرُدَّهُ خَائِباً، عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَ لَهُ المَبْلَغَ الّذي يَطْلُبُهُ، وَلَنَا مِنَ اللَّهِ الثَّوابُ، فَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَوَقَفَ النَّاسُ المُعَارِضُوْنَ الّذينَ خَبَرُوا مَكْرَ الشحَّاذِيْنَ، وَعَرَفُوا حِيَلَهُمْ وَأَسَالِيْبَ خِدَاعِهِمْ، وَقَالُوا: مَا نَرَاهُ إِلاّ مَاكِراً كَغَيْرِهِ، وَمَا أَدْرَانَا أَنَّهُ مُحْتَاجٌ فِعْلاً، وَلِمَاذا يَطْلُبُ هَذَا المَبْلَغَ الكَبِيْرَ بِالتَّحْدِيْدِ؟ فَلَوِ اسْتَطَعْنَا أَنْ نَجْمَعَ هَذَا المَبْلَغَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لَعَمِلْنَا بِهِ مَشْرُوْعاً خَيْرِيّاً لِلْبَلْدَةِ، وَلاَ نُعْطِيْهِ لِهَذَا المَاكِرِ.

وَكَثُرَ الجِدَالُ بَيْنَ أَهْلِ البَلْدَةِ، وَانْتَصَرَ رَأْيُ البُسَطَاءِ الطيِّبِينَ، وَقَالُوا: تَحْدِيْدُ المَبْلَغِ بِهَذا الشَّكْلِ يَعْني حَاجَتَهُ لَهُ، وَمَا نَدْرِيْ رُبَّما يَكُوْنَ لَهُ وَلَدٌ فِي المُسْتَشْفَى، وَيَحْتَاْجُ لِثَمَنِ العَمَلِيَّةِ وَالعِلاَجِ، وَرُبَّمَا لَهُ زَوْجَةٌ تَلِدُ فِي المُسْتَشْفَى، وَتَحْتَاْجُ إِلى عَمَلِيَّةٍ تُكَلِّفُ هَذَا المَبْلَغَ، قَالَ المُعَارِضُوْنَ: إِذاً نَسْأَلُهُ عَنْ سَبَبِ حَاجَتِهِ لِهذا المَبْلَغِ، لكِنَّ الطيِّبِيْنَ قَالُوا: لاَ تَسْأَلُوْهُ، وَلاَ تَكْشِفُوا أَسْرَارَ النَّاسِ، وَلا تَجْرَحُوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شُعُوْرَهُ، نَجْمَعُ لَهُ المَالَ وَلِيَعْمَلْ بِهِ مَا يَشَاءُ، اَلْمُهِمُّ: أَنَّنَا اقْتَنَعْنَا أَنَّهُ مُحْتَاجٌ، وَالرَّسُوْلُ ﷺ قَالَ فِي السَّبْعَةِ الَّذِيْنَ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَحْتَ ظِلِّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ: **«وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِيْنُهُ»**، نَحْنُ سَنُعْطِيْهِ المَبْلَغَ سِرًّا كي لا يَخْجَلَ.

اِنْطَلَتْ عليهم حيلةُ شفيق:

وَاتَّفَقَ رَأْيُ أَهْلِ البَلْدَةِ عَلى تَشْكِيلِ لُجْنَةٍ تَجْمَعُ التبرُّعَاتِ لِهَذا المِسْكِيْنِ، وَتَسَابَقَ الخيِّرُوْنَ لِلْعَمَلِ في هَذِهِ اللُّجْنَةِ، لِيَكْسِبُوا الثَّوَابَ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَلِيَجْمَعُوا المَبْلَغَ المَطْلُوْبَ لِهَذَا الصَّالِحِ، حَتَّى يَفُكُّوا ضِيْقَهُ وَيُفَرِّجُوا عَنْهُ كُرْبَتَهُ، لأَنَّهُ «مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَتَهُ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ»، وَتَبَرَّعَ أَهْلُ البَلْدَةِ بِمَا تَجُوْدُ بِهِ نُفُوْسُهُمْ، وَقَدْ يَتَبَرَّعُ الشَّخْصُ مِنْهُمْ بِالقِرْشِ أَوِ القِرْشَيْنِ، وَهُوَ أَحْوَجُ مَا يَكُوْنُ لَهُمَا، لَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُسَاهِمَ فِي هذا المَجْهُوْدِ مَعَ أَبْنَاءِ بَلْدَتِهِ وَيَكْسِبَ الثَّوَابَ العَظِيمَ.

وَمَا هِيَ إِلاَّ أَيَّامٌ مَعْدُوْدَاتٌ، حَتَّى اجْتَمَعَ لَدَى اللَّجْنَةِ مَبْلَغٌ كَبِيْرٌ، فَعَدُّوْهُ وَحَسَبُوْهُ فَكَانَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثَلاثُمِائَةٍ وَسِتِّينَ جُنَيْهاً وَسِتيْنَ قِرْشاً، فَرِحَ أَهْلُ البَلْدَةِ كَثِيْراً، لأَنَّهُمْ جَمَعُوا لَهُ المَالَ المَطْلُوْبَ مَعَ زِيَادَةِ عَشْرَةِ قُرُوْشٍ، وَأَسْرَعُوا إِليه لِيُعْطُوْهُ الْمَبْلَغَ، وَاقْتَرَبُوا مِنْهُ بِلُطْفٍ، وَهَمَسُوا في أُذُنَيْهِ كَيْ يَنْتَحِيَ جَانِباً، وَيُسَلِّموهُ المَبْلَغَ في السِرِّ، وَخَاطَبَهُ كَبِيْرُ القَوْمِ، وَقَالَ لَهُ: اطْمَئِنَّ أَيُّها الشَّيخُ الصَّبُوْرُ، لَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ لِدُعَائِكَ، وَقَدْ جَمَعْنَا لَكَ المَبْلَغَ بِيُسْرٍ، وَهَذَا هُوَ، فَاسْتَلِمْهُ، إِنَّهُ ثَلاثُمِائَةٍ وَسُتُّونَ جُنَيْهاً وَستُّونَ قِرْشاً، قَالَ السَّائِلُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، الحَمْدُ لِلَّهِ الّذي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اسْتَجَابَ دُعَائِي وَنِدَائِي، وَلَكِنَّني لاَ آخُذُ إِلاّ المَبْلَغَ الذي طَلَبْتُهُ مِنْ رَبّي، وَرَدَّ لَهُمْ القُرُوْشَ العَشْرَةَ، قَالُوا: جَمَعْنَاهَا لَكَ وَمَا نَفْعَلُ نَحْنُ بالقروشِ العشرَةِ؟ إِنّها جُمِعَتْ لأجلِكَ، فَلِمَنْ نَرُدُّهَا؟ خُذْهَا وانْتَفِعْ بِها، قال السائلُ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ آخُذَ غَيْرَ حَاجَتِي، فحاجتي فَقَط إلى المَبْلَغِ الّذي طَلَبْتُ، ثم رَجَاه كَبيرُ القومِ ليأْخُذَ العَشْرَةَ قُروشٍ، فَأَبى وَأَصَرَّ على مَوْقِفِهِ، فَقَالوا: يا سَيّدَنَا الشَّيخ، خُذْهَا ولا تُحْرِجْنَا، لَكِنَّهُ رَفَضَ وقال: لا تُحْرِجُوني، لا أَسْتَطيعُ، لا أستطيع.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَعَجِبَ منه أهلُ البلْدَةِ، وقالوا: هذا شيخٌ فَاضِلٌ مُبَارَكٌ، إِنّهُ مِنْ أَهْلِ الأَسْرارِ والأَنْوارِ، فَدَعَوْهُ لِوَلِيْمةٍ عِنْدَهم، ثُمّ إنّه حَمَل المَبْلغَ، وانطلقَ به خارجَ البَلْدَةِ.

سعيد يتابع شفيق:

أما سعيدٌ، رجلُ الأمنِ، فإنه كَانَ يُتَابِعُ تَحرُّكاتِ الشحّاذِ شفيقٍ يوماً بيوم، فقدْ رَأى أَهْلَ البَلْدَةِ حين جَمَعُوا لَهُ المالَ، وَرَآهُم بَعْدَ ذَلِك يُجِلُّوْنَه وَيَحْتَرِمُونَهُ، لَكِنَّه ما زالَ هو في شَكٍّ وَرَيْبٍ مِنْ أَمْرِ هذا السَائِلِ الغَريب، لذلك تابَعَهُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بخُفْيةٍ وِسرّيّةٍ تامّةٍ، وكانَ السائلُ منْ بلدةٍ كبيرَةٍ في ذلك القِطر، وَمَا إِنْ وَصَلَ إليها حَتّى رَكِبَ سَيّارَةَ أجرة، وَانْطَلَقتْ به في شَوَارِعِ تلكَ المدينةِ الكبيرَةِ، ثم تَوَقَّفَتْ أمامَ مَبْنَىً كَبِيْرٍ فَخْمٍ، فَنَزَلَ مِن السيّارةِ ودخلَ البيتَ، فَجَلَسَ سعيدٌ الذي كانَ يُتَابِعُهُ مقابلَ البيتِ تحتَ شَجرةٍ مُتَدَلّيَةِ الأغصانِ، مُخْتَفِياً عن الأنظارِ، وطالَ انتظارُ سعيدٍ لَهُ إلى ما بَعْدَ العِشَاءِ، ثم فُتِحَ بابُ المَبْنَى الفَخْمِ وخَرجَ منه رَجُلٌ وسيمٌ يَلْبَسُ فَاخِرَ الثّيابِ، واضعاً بينَ شَفَتَيْهِ سِيجَارَةً طويْلَةً، مُتَأَنِّقاً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في شكلهِ ومَظْهرِهِ غايةَ التَّأَنُّقِ، فتأمّلَهُ سعيدٌ مَلِيّاً تحتَ أنوارِ كشافاتِ الشّارعِ، وقالَ: مَنْ هَذَا يا تُرَى؟ وتَابَعَهُ فإذا المِشْيَةُ مِشْيةُ ذلكَ السائلِ شفيقٍ، وتَسَاءَلَ سَعِيْدٌ: أَهَذَا هو شفيقٌ يا تُرى؟ أينَ اللّحْيَةَ الطّويْلَةَ؟ وأينَ الشعرَ الذي كان يُخالِطُه الشّيبُ؟ ثم مَشى قريباً منه وحَاذاهُ، وكان سعيدٌ قد رأى علامَةً مُمَيَّزةً في أُذُنِ السَّائلِ مِنْ قبل، فنظرَ إلى أُذُنِهِ اليُسْرَى، هذِهِ هي العَلامَةُ، شَامَةٌ كبيرةٌ في أَعْلى أُذُنِهِ اليُسْرَى، إنّه هُوَ، هَكَذَا تَمْتَمَتْ شَفَتَا سَعِيدٍ، وقالَ في نفسِهِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يا لَلْمُحتالِ! ثم دَخَلَ شَفِيقٌ في أَحَدِ المَقَاهي واخْتَلَطَ مَعَ أصدقائِهِ، وَتَشَوَّقَ سعيدٌ لمتابَعَةِ شفيق، وجَمْعِ المعلوماتِ عنهُ، لِيُبَلِّغَ أَهْلَ القريَةِ بخبرِهِ، حتى لا يَنْخَدِعُوا بِأَمْثَالِهِ مرةً أُخرى، فَقَد خَدَعَهُمْ بمظْهَرِهِ ليكسِبَ عَطْفَهُم.

وَأَجْرَى سَعِيْدٌ في اليومِ التالي تحرّياتٍ عَنْ شفيق، وسألَ عَنْهُ بعضَ الجيرانِ، فَلَمْ يَحْصُلْ على معلوماتٍ كافِيَةٍ مِنْهُمْ، لأَنَّ أَغْلَبَهُمْ لم يَرَهُ أَوْ يَخْتَلِطْ بِهِ مِنْ قبل، فقدْ كانَ شفيقٌ لا يَخْرجُ مِنْ بيتِهِ إلا لَيْلاً، واسْتَمَرّ سعيدٌ فِي جَمْعِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المَعْلُوماتِ عَن شفيقٍ، وَفي إِحْدَى اللّيالي دَخَل شَخْصٌ إِلى المبنى الّذي يُقِيم فيهِ شفيقٌ، ومَكَثَ عِنْدَهُ قَلِيْلاً ثُم خَرَجَ، وارْتابَ سَعيدٌ مِنَ الأَمْرِ، تُرى مَاذا قَالَ لَهُ هذا الشخص؟ وماذا أَخَذَ مِنْهُ أَوْ أَعْطَاهُ؟ جلسَ سعيدٌ تحت الشجرةِ مقابِلَ بيتِ شفيقٍ يُفَكّرُ في الأمْرِ ويُراقبُ المنزلَ، وبعدَ مُنتصفِ الليلِ خرجَ شفيقٌ بِزَيِّ السائلِ الشّحّاذِ، بلحيةٍ طويلةٍ وشعرٍ يُخَالِطُهُ الشّيبُ، وَمَعَهُ عُكّازٌ ضَخْمٌ، ومَشَى إِلى الشّارِعِ الكبيرِ، ثم طَلَبَ سَيّارَةَ أُجْرَةٍ، فاسْتَقَلَّها، وَتَابَعَهُ سَعيدٌ حَتى وَصَلَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلى مَحطّةِ القِطَارِ، فنزلَ هناكَ ثم اسْتَقَلَّ القِطارَ إلى مدينةٍ أُخْرى بعيدة.

القبضُ على شفيق:

وانْطَلَقَ قطارُ الفجرِ يحْمِلُ شفيقاً وَسَعيداً معاً. وبعدَ مُضِيّ حوالي خَمْسِ ساعاتٍ في القطارِ، نَزَلَ شفيقٌ في البلدَةِ التي قَصَدَها، وكان الوقتُ قَبْلَ صلاةِ الظُهرِ بقليلٍ، ثم انْتَقَى رُكْناً مُنَاسِباً في هذه البلدَةِ وجَلَسَ فيه، وأخذَ يسألُ الناسَ وَيُنَادي كما كانَ يفعلُ في البَلْدَةِ السابِقَةِ، وبَعْدَ مُضِيّ بِضْعِ دقائقَ، اقتَرَبَ مِنْهُ شَحّاذٌ آخر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يحملُ صُرَّةً فيها طَعَامٌ، فَأَعْطَاهَا إِلى شَفِيْقٍ، وَمَدَّ شفيقٌ يَدَهُ إلى مِعْطَفِهِ الغليظِ، وأخرجَ منه صُرّةً صغيرةً ثم نَاوَلَهَا لِلشحّاذِ الآخر، فَحَمَلها الشحّاذُ وَمَضَى بِها مُسْرِعاً، شَكَّ سعيدٌ في محتوياتِ الصُّرَّةِ، وأسرعَ نَحْوَ رِجالِ الأمْنِ، وأبلَغَهُمْ بالأمْرِ، فاعْتَرَضُوا الشحّاذَ الآخرَ وقَبَضُوا عليه، ثُمّ أخذوا منه الصُرَّةَ فَفَتحوها، فإذا بِهَا مُخدّراتٌ ممنوعةٌ، فَأَوْدَعُوْهُ سيارةَ الشرطةِ ثم توَجّهوا نحو شفيقٍ وقَبَضُوا عليه وفَتّشُوا صُرَّةَ الطعامِ التي كانتْ معه، فوجدوا فيها جنيهاتٍ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كثيرةٍ، لقد كانتْ هذه الجنيهاتُ ثَمَنَ المُخدّراتِ المُحَرّمَةِ، فَقَبضُوا أيضاً على شفيقٍ، وفي مَخْفَر الشُّرطة اعترَفَ شَفِيقٌ بِبَيْعِ المُخدراتِ، وكان يَمْتَهِنُ حِرْفَةَ الشحاذةِ في الطريقِ، لكي يَسْهُلَ عليه البيعُ والاتصالُ ببقيّةِ شركائِهِ المتفرّقِين في البلادِ، ولِكَيْ لا يَشُكَّ بهِ رِجَالُ الأَمْنِ، فَيُفْلِتَ من رَقَابَتِهِمْ، وَهُنَا تابعَ رجالُ الأَمْنِ القبض عَلَى بَقِيّةِ أفْرَادِ العِصَابَةِ التي تبيعُ المُحَرّماتِ، وَأَوْدَعَتْهُم في السّجنِ.

لقد شاءَتْ عِنَايَةُ اللّهِ أَنْ يَكْشِفَ سَعيدٌ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه العصابةَ بعد صَبْرِه وَمُتَابَعَتِهِ لِشَفيقِ الذي كانَ يَسْتَغِلُّ حُبَّ المسلمين لعملِ الخيرِ، فكانَ يَحْتَالُ على أَخْذِ أموالِهِم من جهةٍ، ويُخْفِي بَيْعَهُ للمُخدّراتِ من جهةٍ أخرى، وعلينا ألا يَفُوتَنَا أمثالُ هؤلاءِ الضالّين المُضِلّين، وأنْ نُوَجّهَ صَدَقَاتنَا وَتَبَرُّعَاتِنَا للفقيرِ المحتاجِ حَقّاً، وهذا سَهْلٌ إذا وَجّهنا هذهِ الصّدَقَاتِ إلى جَمْعِياتِ البِرِّ التي تنفقُ على المُحْتاجين المُسْتَحِقّين.

❁ ❁ ❁

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قصص إسلامية للأطفال

جبلة بن الأيهم

تأليف

محمد منير الجنباز

مكتبة التوبة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ⓒ مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجنباز، محمد منير

جبلة بن الأيهم.- الرياض

٣٠ص، ١٧×٢٤سم.- (سلسلة قصص إسلامية للأطفال)

ردمك: ١ - ٤٩ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

١ - القصص الإسلامية ٢ - قصص الأطفال أ - العنوان

ب - السلسلة

ديوي ٨١٣،٠٨٨ ٢٠/٣٨٢٠

رقم الإيداع: ٢٠/٣٨٢٠

ردمك: ١ - ٤٩ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

جميع حقوق الطبع محفوظة

طبعة جديدة منقحة

١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

التوبة

الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير

هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

هُوَ آخِرُ مُلُوكِ العَرَبِ الغَسَاسِنَةِ الّذينَ سَكَنُوا قُرْبَ حُدُوْدِ بلادِ الشّام الجَنُوبِيّةِ، وَاتَّخَذُوا مَدِيْنَةَ بُصْرَى الشَّامِ عَاصِمَةً لَهُمْ. وَكَانُوا مِنَ المُسَالِمينَ وَالخَادِمِيْنَ لِدَوْلَةِ الرُّومِ الكَبِيْرَةِ، الّتي كَانَتْ تَحْتَلُّ سُوْرِيَّةَ وَفِلَسْطِيْنَ ومِصْرَ، وَاعْتَنَقُوا الدّيَانَةَ النَّصْرَانِيَّةَ لأَجْلِ تَقَرُّبِهِمْ مِنَ الرُّومِ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَجَعَلُوهَا دِينَهُمْ الرَّسْمِيّ، وَقَدْ اتَّخَذَ الرُّومُ الغَسَاسِنَةَ حُرَّاساً لَهُمْ عَلَى حُدُودِ الشَّامِ الجَنُوبِيَّةِ ضِدَّ غَارَاتِ المَنَاذِرَةِ حُلَفَاءِ الفُرْسِ، فَكَانُوا يُؤَدُّونَ هَذَا العَمَلَ عَلَى خَيْرِ وَجْهٍ إِرْضَاءً لأَسْيَادِهِمُ الرُّومَانِ، وَكَمْ مِنْ حُرُوبٍ طَاحِنَةٍ حَصَلَتْ بَيْنَ الغَسَاسِنَةِ وَالمَنَاذِرَةِ - وكِلتَاهُمَا مِنَ العَرَبِ - إِرْضَاءً لِأَسْيَادِهِمَا الرّومِ وَالفُرْسِ، وَكَانَ كُلُّ خِلَافٍ أَوْ صِرَاعٍ بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ الكَبِيرَتَيْنِ، الرُّومِ والفُرْسِ، يَنْعَكِسُ أَثَرُهُ السَّيِّءُ عَلَى العَلاَقَاتِ بَيْنَ الغَسَاسِنَةِ وَالمَنَاذِرَةِ، فَيُؤَجِّجُ حُرُوباً بَيْنَهُمَا، تُزْهَقُ فيهَا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأَرْوَاحُ، وَتُهْدَمُ المُدُنُ، وَتُتْلَفُ المُمْتَلَكَاتُ.

الإِسلام:

وَظَهَرَ الدّينُ الإِسْلاَمِيُّ في الجَزِيْرَةِ العَرَبِيَّةِ وَدَعَتْ مَبَادِئُهُ إِلى التَّآخِي وَالتَّرَاحُمِ وَنَبْذِ الظُّلْمِ وَالعُدْوَانِ، وَانْضَمَّتِ القَبَائِلُ العَرَبِيَّةُ لِهَذا الدّينِ بَعْدَ أَنْ بَذَلَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ جَهْداً كَبِيْراً وَتَضْحِيَةً غَالِيَةً في سَبِيْلِ نَشْرِ هَذَا الدِّين، وَعَرَفَ النَّاسُ أَنَّ نَعِيمَ الحَيَاةِ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لاَ يَتَحَقَّقُ إِلاّ باعْتِنَاقِ هذا الدّينِ، لِذَلِكَ دَخَلُوا فيهِ أَفْواجاً، فَصَلَحَتْ أُمُوْرهُمْ، وَعَاشُوا مُتَحَابِّينَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مُتَعَاوِنِيْنَ يَنْبُذُونَ الظُّلْمَ وَالأَحْقَادَ، وَيُحَكِّمُونَ شَرْعَ اللّهِ العَادِلَ، وَيَجْعَلُونَ هَذا الدِّينَ طَرِيْقَهُمْ وَمَنْهَجَهُمْ في الحَيَاةِ.

الإِسْلاَمُ يَمْتَدُّ إِلى الشَّامِ:

وَلَمَّا قَوِيَ الإِسْلاَمُ وَظَهَرَ في كُلِّ أَرْجَاءِ الجَزِيْرَةِ العَرَبِيَّةِ، أَرْسَلَ الخَلِيْفَةُ (أَبُو بَكْرٍ الصدّيقُ) رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ الجُيُوشَ الإِسْلاَمِيَّةَ لِفَتْحِ بلادِ الشَّامِ، فَانْضَمَّ الغَسَاسِنَةُ إلى حُلَفَائِهِمُ الرُّوم وَحَارَبُوا بَنِي جِلْدَتِهِمُ العَرَبَ، وكَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْضَمُّوا إلى المُسْلِمِينَ، لأَنَّهُمْ عَرَبٌ مِثْلُهُمْ، أَتَوْا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لِيُخَلِّصُوهُمْ مِنْ ظُلْمِ الرُّومِ، وَمِنَ التَّبَعِيَّةِ والخُنُوعِ لأَعْدَاءِ زَرَعُوا الشرَّ وَالأَذَى في بِلادِ الشَّامِ وَتَحَكَّمُوا فيها، وَهُمْ دُخَلاَءُ أَجَانِبُ عَنْ هَذِهِ البلادِ، لَكِنَّ الغَسَاسِنَةَ تَنَكَّرُوا لِعُروبَتِهم، وَأَبَوْا إِلاَّ أَنْ يَكُونُوا مَعَ الدَّخِيْلِ الغَاصِبِ، فَسَخَّرُوا جُيوشَهم لِحَرْبِ جَيْشِ المُسلمين، لَكِنَّ الجَيْشَ الإِسْلامِيَّ المُنْدَفِعَ لِتَطْهِيرِ البلاَدِ مِنَ الظَّالِمينَ، لَمْ يَأْبَهْ بِجُيُوْشِ الرّوم، وَلاَ بِجُيُوشِ حُلَفَائِهم الغَسَاسِنَةِ فَالْتَقَى مَعَهُمْ في مَوَاقِعَ كَثِيْرَةٍ، كَانَ فيها النَّصْرُ والغَلَبَةُ لِجيشِ المُسْلمينَ.

www.alukah.net

مَعْرَكَةُ اليَرْمُوكِ:

وَبَعْدَ مَعَارِكَ كَثِيْرَةٍ، دَارَتْ بَيْنَ المسلمِينَ مِنْ جِهَةٍ، والرُّوْمِ وَالغَسَاسِنَةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، فَكَّرَ الرُّوْمُ في مَعْرَكَةٍ كَبِيْرَةٍ فَاصِلَةٍ لِقِتَالِ المُسْلِمِينَ، فَجَمَعُوا الجُمُوْعَ الكَثيرَةَ مِنهم وَمِنْ حُلَفَائِهِمُ الغَسَاسِنَةِ، وَحَشَدُوا هَذِهِ الجُمُوعِ في مُوَاجَهَةِ جَيْشِ المُسْلمينَ قُرْبَ نَهْرٍ يَقَعُ بَيْنَ الأُرْدُنِّ وَسُوْرِيَّةَ، يُسَمَّى (نَهرَ اليَرْمُوك) وَحَشَدَ المُسلمونَ جُيُوشَهُم أَيْضاً، وَتَقَابَلَ الجَيْشَانِ، جَيْشُ الرُّومِ وَعَدَدُهُ ضَخْمٌ، سَبْعُمِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، وَمَعَهُ جَيْشُ الغَسَاسِنَةِ وَعَدَدُهُ سِتُّونَ ألفَ مُقَاتِلٍ، وَجَيْشُ المُسْلِمينَ الّذي لا يَزِيْدُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عَنْ أَرْبَعِيْنَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَلكِنَّ المُسْلمين الّذين مَلَؤُوا قُلُوبَهُمْ بِالإِيمانِ وَحُبِّ الشَّهادَةِ في سبيلِ اللّهِ، لَمْ يُرْهِبْهُمْ جَيْشُ عَدُوِّهِمْ، فَقَاتَلُوا بِصَبْرٍ وَثَباتٍ، فَنَصَرَهُمُ اللّهُ عَلَى عَدُوِّهِمْ نَصْراً مُؤَزَّراً، فَقُتِلَ مِنَ الأَعْدَاءِ الآلاَفُ كَمَا فَرَّ مِنْهُمْ الآلاَفُ، وَانْهَزَمَ الرُّومُ وَانْهَزَمَ مَعَهُمْ حُلَفَاؤُهُمْ الغَسَاسِنَةُ، وَكَانَ قَائِدَ الغَسَاسِنَةِ في هَذِهِ المَعْرَكَةِ جَبَلَةُ بْنُ الأَيْهَمِ، الّذي رَأَى وشَاهَدَ قِتَالَ المُسلمين، وَانْدِفَاعَهُمْ نَحْوَ الأَعْدَاءِ، يَطْلُبُونَ الشّهادَةَ في سَبيلِ اللّهِ، وَلاَ يَخَافُونَ مِنَ المَوْتِ، لأَنَّ اللّهَ تعالى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَعَدَ المُجَاهِدِينَ في سَبِيْلِهِ بِجِنَانِ الخُلْدِ، يَتَنَعَّمُونَ فيها جَزَاءً بِما قَدَّمُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَدِمَائِهِمْ في سَبيلِ اللّهِ، وَرَأَى جَبَلَةُ الفَرْقَ الكبيرَ بَيْنَ مَنْ يُقَاتِلُ عَن عَقِيْدَةٍ وإِيْمَانٍ، ومَنْ يُقَاتِلُ طَلَباً للحَياةِ الدُّنْيَا، أَوْ إِرْضَاءً لِلرُّومِ وَدِفَاعاً عَنْهُمْ، لِذَلِكَ بَدَأَ يُفَكِّرُ مَلِيّاً في أَمْرِ المُسْلِمينَ.

جَبَلَةُ يَعْتَنِقُ الإِسلام:

وَبَعْدَ تَفكيرٍ عَميْقٍ في شَأْنِ المُسْلِمِينَ وَدِيْنِهِمُ الّذي بَدَّلَ العَرَبَ وَغَيَّرَهُمْ، فَجَعَلَهُم أَقْوِيَاءَ بَعْدَ ضَعْفٍ، وَأَعِزَّاءَ بَعْدَ ذُلٍّ، لَهُم كَلِمَتُهُمُ المَسْمُوعَةُ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَلَهُمْ صَوْلَتُهُمْ وَجَوْلَتُهُمْ في الحُروبِ، وَلَم يَكُونُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ، كانَ العَظِيمُ فِيهِمْ قَبلَ الإِسلامِ يَدْخُلُ إلى المُلُوكِ ذَلِيْلاً خَائِفاً مِنْ أَجْلِ أَنْ يُعْطُوْهُ بَعْضَ المَالِ، وَاليومَ بَعْدَ أَنْ دَخَلُوا الإِسلامَ، رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ عَالِياً وَاسْتَغْنَوا عَنِ المال، وَدَقُّوا أَبْوابَ المُلوكِ مِنَ القَيَاصِرَةِ وَالأَكَاسِرَةِ بالسّيوفِ وَالحِرَابِ، لَقَدْ تَغَيَّر هَؤُلاءِ كَثِيْراً بِفَضْلِ هَذا الدّين، وَبَعْدَ أَنْ قَلَّبَ جَبَلَةُ الأَمْرَ مَلِيّاً أَعْلَنَ إِسْلامَهُ، وَكَانَ خَليفَةَ المُسْلمينَ وَقْتَذَاكَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَقَبِلَهُ وَقَوْمَهُ إِخْوَاناً لَهُمْ في الإِسْلامِ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَعَادَ جَبَلَةُ مَعَ قَوْمِهِ إِلى دِيارِهِمْ يَعِيشُونَ في ظِلِّ الإِسْلامِ، إِلاّ أَنَّ جَبَلَةَ ظَلَّ يَعِيشُ في قَصْرِهِ عِيْشَةَ المُتْرَفِينَ، وَظَلَّ يَتَذَكَّرُ أَيَّامَهُ مَعَ الرُّومِ، وَيَتَمَنَّى أَنْ تَعُوْدَ لَهُمْ قُوَّتُهُمْ كي يَهْزِمُوا المُسْلمينَ، فَاعْتِنَاقُهُ الإِسْلامَ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَلْبِهِ، بَلْ رَهَباً وَخَوْفاً، إِنَّهُ مَا يَزَالُ يَحْتَفِظُ بِعَادَاتِهِ الجَاهِلِيَّةِ، وَالإِسْلامُ يَنْبُذُ كُلَّ عَادَاتِ الجاهِلِيّةِ، لَقَدْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ ما يَزَالُ مَلِكاً، لِذَلِكَ ظَلَّ مُحْتَفِظاً بِكِبْرِيائِهِ وَتَعَالِيْهِ عَلَى النَّاسِ، فَكَانَ يَطْلُبُ مِنَ النّاسِ أَنْ يُعَظِّمُوْهُ، وَيَغْضَبُ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، فَهُو جَبَلَةُ الشَّرِيْفُ العَظِيْمُ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والنَّاسُ مِنَ الصَّعَالِيْكِ الفُقَراءِ. لَقَدْ نَسِيَ جَبَلَةُ أَنَّ الإِسْلامَ سَوَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ كُلِّ النّاسِ مَهْمَا كَانُوا، فَالرّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ قالَ: «**لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لأَبْيَضَ عَلَى أَسْوَدَ إِلّا بالتَّقْوى**» وَبِنَاءً عَلَى هَذَا الحَدِيْثِ الشَّرِيفِ يُصْبِحُ جَمِيعُ المُسْلِمِينَ مُتَسَاوِينَ فِيْمَا بَيْنَهُمْ بِالحُقُوقِ وَالوَاجِباتِ، لَكِنَّ جَبَلَةَ الّذي لَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ في قَلْبِهِ بَعْدُ، لَمْ يَفْهَمْ هذهِ المَعَانِيَ الإِسْلامِيّةَ.

جَبَلَةُ يَحُجُّ إِلى بيتِ اللّهِ الحَرَامِ:

وَرَأَى أَحَدُ المُقَرَّبِيْنَ إلى جَبَلَةَ ما تَنْطَوِي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَلَيْهِ نَفْسُهُ مِنَ الكِبْرِ وَالعُجْبِ، فَلَمَّا قَرُبَ مَوْعِدُ الحَجِّ، عَرَضَ عَلَيْهِ الذَّهَابَ لأَدَاءِ فَرِيْضَةِ الحَجِّ لَعَلَّهُ يَرِقُّ قَلْبُهُ وَيَنْسَى ما كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ الإِسْلامِ، فَيَرى هُناكَ التَّآخِيَ وَالمَحَبَّةَ وَالمُسَاوَاةَ بَيْنَ النَّاسِ، فَتَزُولُ مِنْ قَلْبِهِ الفَوَارِقُ الطَّبَقِيَّةُ، والعَادَاتُ الجَاهِلِيَّةُ، فَقَبِلَ جَبَلَةُ هذِه الفِكْرَةَ، واسْتَعَدَّ لِلسَّفَرِ إلى مَكَّةَ لأَدَاءِ فَرِيْضَةِ الحَجِّ، وَوَصَلَ مَوْكِبُ جَبَلَةَ إلى مَكَّةَ، وَشَرَعَ في أَدَاءِ أَعْمَالِ الحَجِّ مِنَ الطَّوَافِ حَوْلَ الكعبةِ، والسَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَةِ، والوُقُوفِ بِعَرَفَةَ، وَرَمْيِ الجِمَارِ في

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مِنَى... إلخ.. وَبَيْنَما كَانَ جَبَلَةُ يَطُوْفُ حَوْلَ الكَعْبَةِ جَارًّا وَرَاءَهُ رِدَاءَهُ بِعَظَمَةٍ وَخُيَلاَءَ، وَالنَّاسُ يَطُوْفُوْنَ وَيَتَزَاحَمُونَ لِتَقْبِيْلِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ، إِذَا بِأَحَدِ الأَعْرَابِ يَدُوسُ عَلَى طَرَفِ رِدَاءِ جَبَلَةَ، فَيَسْقُطُ الرِّدَاءُ عَلَى الأَرْضِ، فَيَغْضَبُ جَبَلَةُ غَضَباً شَدِيْداً، وَتَشْتَعِلُ النَّارُ في عَيْنَيْهِ لأَنَّهُ عَدَّ هَذَا العَمَلَ إِهَانَةً لَهُ، كَيْفَ يَرْضَى أَنْ يَدُوْسَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى رِدَائِهِ، وَهُوَ الّذي كَانَ مَلِكاً يُعَظِّمُهُ هَؤُلاَءِ الأَعْرَابُ؟ وتَرْجِعُ العَصَبِيَّةُ الجَاهِلِيَّةُ إِلى نَفْسِهِ، فإذا بِهِ يَشْتُمُ الأَعْرابِيَ وَيَلْطُمُهُ عَلَى خَدِّهِ لَطْمَةً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شَدِيْدَةً، تُسِيْلُ دَمَ الأَعْرَابِيِّ مِنْ وَجْهِهِ وَفَمِهِ، وَيَبْكِي الأَعْرَابِيُّ المِسْكِيْنُ، إِنَّهُ لا يُرِيْدُ أَنْ يَرُدَّ عَلَى جَبَلَةَ فَيَلْطُمَهُ، لأَنَّ هَذَا العَمَلَ انْتِهَاكٌ لِحُرْمَةِ بَيْتِ اللّهِ الحَرَامِ ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ هَكَذَا يَقُوْلُ اللَّهُ تَعَالَى، لَكِنَّ الأَعْرَابِيَّ صَمَّمَ أَنْ يَشْكُوَهُ لأَمِيْرِ المُؤمنينَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَسَمِعَ عُمَرُ شَكْوَى الأَعْرابِيِّ، فَأَرْسَلَ عُمَرُ رَسُوْلَهُ إلى جَبَلَةَ فَوْراً يَطْلُبُ مِنْهُ المُثُولَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِلمُحَاكَمَةِ، وَشَهِدَ الشُّهُوْدُ العُدُوْلُ بِاعْتِدَاءِ جَبَلَةَ، فَحَكَمَ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ الحُكْمَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العَادِلَ، قَالَ اللّهُ تَعَالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ فَيَقُولُ عُمَرُ لِلأَعْرَابِيِّ: أَتَرْضَى مَالاً مُقَابِلَ هَذِهِ اللَّطْمَةِ أَمْ تُرِيْدُ أَنْ تَقْتَصَّ مِنْهُ وَتَضْرِبَهُ كَمَا ضَرَبَكَ؟ فَيُجِيبُ الأَعْرابِيُّ: بِأَنَّهُ لاَ يُرِيْدُ مَالاً بَلْ يُرِيْدُ أَنْ يَقْتَصَّ مِنْهُ وَيَضْرِبَهُ مِثْلَ تِلْكَ اللَّطْمَةِ، وَتَدَخَّلَ بَعْضُ الحَاضِرِيْنَ، وَأَلَحُّوا عَلَى الأَعْرَابِيِّ كَيْ يَقْبَلَ المَالَ، أَو يَطْلُبَ مِنْهُ مَا يُرِيْدُ مُقَابِلَ تِلْكَ اللَّطْمَةِ، إِلاَّ أَنَّ الأَعْرابِيَّ رَفَضَ بِشِدَّةٍ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَقَالَ: إِنَّ جَبَلَةَ ضَرَبَنِيْ أَمَامَ النَّاسِ، وَسَأَضْرِبُهُ أَمَامَ النّاسِ، وَخَافَ جَبَلَةُ مِنْ هَذا الحُكْمِ الّذي لَمْ يَعْتَدْ عَلَى مِثْلِهِ، وَكَبُرَ في نَفْسِهِ أَنْ يَقِفَ أَمَامَ النَّاسِ لِيَلْطِمَهُ أَعْرابِيٌّ فَقِيْرٌ، ثُمَّ عَاوَدَ جَبَلَةُ إِغْراءَهُ بالمالِ لِيَعْفُوَ عَنْهُ، لَكِنَّ الأَعْرَابِيَّ رَفَضَ المالَ، وَصَمَّمَ عَلَى مُعَاقَبَةِ جَبَلَةَ لِكَيْ يُعَلِّمَهُ دَرْساً لاَ يَنْسَاهُ، وَلِيُبَيِّنَ لَهُ عَاقِبَةَ التَّكَبُّرِ، وَيُفْهِمَهُ أَنَّ الإِسْلامَ لا يُضَيِّعُ حُقُوقَ أَحَدٍ مِنْ رَعَايَاهُ، وَأَنَّ الإِسْلامَ عَادِلٌ لاَ يَحْكُمُ بِأَهْوَاءِ الجَاهِلِيَّةِ، فَالْمُسْلِمُونَ في الإِسْلامِ سَوَاءٌ، لا فَرْقَ بَيْنَ قَوِيٍّ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَضَعِيفٍ، وَلاَ بَيْنَ غَنِيٍّ وَفَقِيرٍ، والدَّوْلَةُ المُسْلِمَةُ تَحْمِي حُقُوقَ النَّاسِ جَمِيعاً، لَكِنَّ جَبَلَةَ لَمْ يَفْهَمْ بَعْدُ هَذِهِ المَعَانِي السَّامِيَةَ في الإِسْلامِ، وَلَمْ يَفْهَمْ قَوْلَ اللّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾.

فَالمُسْلِمُ المُلْتَزِمُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ، عَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى بِحُكْمِ الإِسْلامِ، وَأَنْ يُسَلِّمَ بِهِ دُوْنَ اعْتِرَاضٍ.

الهُرُوْب:

وَحَارَ جَبَلَةُ في أَمْرِهِ، ثُمَّ فَكَّرَ في أَمْرٍ كَتَمَهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فـي نَـفْـسِـهِ، خُـصُـوْصـاً عِـنْـدَمـا رَأَى تَـضْـمِـيـمَ أَمِيْرِ المُؤمِنِينَ على أَخْذِ حَقِّ الأَعْرَابِيِّ، فَلَجَأَ إلى المُرَاوَغَةِ لِلتَّهَرُّبِ مِنْ إِنْفَاذِ حُكْمِ القَضَاءِ، فَطَلَبَ جَبَلَةُ مِنْ أَمِيْرِ المُؤْمِنِينَ أَنْ يُمْهِلَهُ ثَلاثَةَ أَيّامٍ ثُمَّ يَأْتِيَ فَيُسَلِّمَ نَفْسَهُ لِلقَصَاصِ مِنْهُ، فَقَبِلَ عُمَرُ وَأَمْهَلَهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ أَرْسَلَ يَطْلُبُهُ فَلَمْ يَجِدْهُ، لَقَدْ هَرَبَ جَبَلَةُ مَعَ قَوْمِهِ لَيْلاً إِلى بلادِ الشّامِ، وَالْتَحَقَ بِالرُّومِ، وَآثَرَ أَنْ يَعُوْدَ لِلْكُفْرِ والضَّلالِ، فَالجَاهِلِيَّةُ الحَمْقَاءُ تُنَاسِبُ طَبْعَهُ وَأَخْلاقَهُ، فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ، والإِسْلامُ يَنْبُذُ المُتَكَبِّرِينَ، وَهُوَ عَاصٍ لا يُطِيْعُ حُكْمَ الشَّرْعِ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَالإِسْلاَمُ يَكْرَهُ العُصَاةَ، لِذَلِكَ الْتَحَقَ بِالرُّومِ الّذينَ هُمْ عَلَى شَاكِلَةِ طَبْعِهِ وَأَخْلاَقِهِ، قَوْمٌ لاَ يُقِيْمُونَ لِلْحَقِّ وَلاَ لِلعَدْلِ وَزْناً، يَعيشُونَ في مُجْتَمَعِهِمْ طَبَقَاتٍ، الطَّبَقَةُ العُلْيَا تَتَحَكَّمُ بالطَّبَقَةِ الّتي هي أَدْنَى مِنْها وَتَظْلِمُهَا، وَلاَ يَأْخُذُ ضَعِيْفٌ مِنْ قَوِيٍّ حَقَّهُ أَبَداً، وَمَثُلَ جَبَلَةُ أَمَامَ قَيْصَرِ الرُّومِ وَأَعْلَنَ كُفْرَهُ وَارْتِدَادَهُ عَنِ الإِسْلاَمِ، فَاسْتَقْبَلَهُ القَيْصَرُ أَحْسَنَ اسْتِقْبَالٍ، وأَجْلَسَهُ قُرْبَهُ عَلَى كُرْسِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ، وَأَلْبَسَهُ التَّاجَ وَقَالَ لَهُ: نَحْنُ مَعْشَرَ الرُّومِ نَعْرِفُ قَدْرَكَ، وَعُلُوَّ مَنْزِلَتِكَ، وَلَكِنَّ المُسلمينَ لَمْ يَقْدُرُوْكَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حَقَّ قَدْرِكَ، وَأَرَادُوا أَنْ يُسَوُّوكَ بِأَعْرَابِيٍّ وَضِيعٍ، وَاغْتَرَّ جَبَلَةَ بِزِينَةِ الحَيَاةِ الدُّنْيا الفَانِيَةِ، وَآثَرَهَا عَلَى الحَياةِ الأُخْرَى البَاقِيَةِ، الّتي فيها يُثَابُ المُحْسِنُ ويُعَاقَبُ المُسِيء، وَانْضَمَّ جَبَلَةُ مَرَّةً أُخْرَى إلى جُيوشِ الرُّومِ وَوَضَعَ سَيْفَهُ في خِدْمَتِهِمْ لِقِتَالِ المُسْلِمِينَ.

النَّدَمُ وَالحَسْرَةُ:

وَمَضَتْ سَنَواتٌ عَلَى إِقَامَةِ جَبَلَةَ بِدِيَارِ الرُّومِ، وَهُوَ يُقَاتِلُ المسلمينَ مَعَهُمْ، لَكِنَّهُ كَانَ بِحَمْدِ اللّهِ يَشْهَدُ هَزَائِمَهُمْ المُتَلاَحِقَةَ أَمَامَ جُيوشِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسلمينَ الزَّاحِفَةِ، وَكَانَ بَعْدَ كُلِّ هَزِيْمَةٍ تَلْحَقُ بالرُّومِ يَخْلُو بِنَفْسِهِ في حُجْرَتِهِ سَاعَاتٍ طَوِيْلَةً وَهُوَ مَهْمُومٌ مُتَأَلِّمٌ مِنْ حَالَتِهِ وَمَا آلَتْ إليهِ، لَقَد رَبَطَ مَصِيْرَهُ بالرُّومِ، والرُّوم مُنْهَزِمُونَ لاَ مَحَالَةَ، لِذَلِكَ بَدَأَ الهَمُّ يَدْخُلُ قَلْبَهُ، وَبَدَا أَمَامَهُ مَصِيْرٌ أَسْوَدُ قَاتِمٌ، كَانَ دَائِماً يُكَلِّمُ نَفْسَهُ، وَيَقُوْلُ: مَاذَا صَنَعْتُ بِنَفْسِي؟ لَقَدْ أَلْقَيْتُ بها في الجَحِيْمِ، تَرَكْتُ مَجَالِسَ قَوْمِي، وَحَلَلْتُ في مَجَالِسِ الرُّومِ، شَكْلُهُمْ غَيْرُ شَكْلِي، وَلُغَتُهُمْ تَخْتَلِفُ عَنْ لُغَتِي، لَقَدْ بَدَأْتُ أَضِيْقُ بِهِمْ، وَبَدَأْتُ أَشْعُرُ بهذا القَصْرِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرَّحْبِ الّذي أَعْطَوْنِي إِيَّاهُ وَكَأَنَّهُ سِجْنٌ مَقِيْتٌ، لَقَدْ رَأَيْتُ عِنْدَ المُسلمينَ الطَّهَارَةَ والصِّدْقَ والعَفَافَ والتُّقوى والعِبَادَةَ. وَرَأَيْتُ عِنْدَ هَؤُلاَءِ الخُبْثَ والخَدِيْعَةَ وَالفُسُوقَ وَالإِبَاحِيَّةَ وَالشَّهَواتِ المُنْحَطَّةَ، أَيْنَ هَؤُلاءِ منْ أُوْلَئِكَ الأَخْيَارِ؟ وَلَكِنْ كُلَّمَا حَاوَلَ أَنْ يُصَحِّحَ خَطَأَهُ، ويُصَمِّمَ على التَّوْبَةِ والعَوْدَةِ، يَنْسَى مَا عَقَدَ عَلَيْهِ العَزْمُ عندما يَقفُ أَمَامَ الشَّهواتِ وَالمُغْرِيَاتِ، وَأَمَامَ إِنْعَامِ مَلِكِ الرُّومِ عَلَيْهِ بِالهَدَايَا وَالأَلْقَابِ السنِيَّةِ، فَيَعُودُ الظَّلاَمُ لِيُعَشِّشَ في قَلْبِهِ، وَيَنْسَى صَوْتَ الإِيْمَانِ الّذي كَانَ يُنَادِيْهِ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مَشْهَد مِنْ مَشَاهِدِ الإِيْمَانِ:

وَفي أَحَدِ الأَيَّامِ، أَحْضَرَ جُنُوْدُ الرّومِ مَعَهُمْ بَعْضَ الأَسْرَى مِنَ المُسْلِمِينَ، وَوَضَعُوهُمْ أَمَامَ المَلِكِ وَهُمْ مُكَبَّلُونَ بِالسَّلاسِلِ وَالأَغْلاَلِ، وَكَانَ جَبَلَةُ جَالِساً عَنْ يَمينِ مَلِكِ الرُّومِ، فَقَامَ المَلِكُ وَخَاطَبَ الأَسْرَى، وَخَيَّرَهُمْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: الارْتِدَادِ عَنْ دينِ الإِسْلاَمِ وَالكُفْرِ بِهِ، لِيُطْلَقَ سَرَاحُكُمْ، أَوِ القَتْلِ، فَاخْتَارُوا جَمِيْعاً المَوْتَ، وَأَبَوْا أَنْ يَكْفُرُوا بِدِيْنِ اللّهِ القَوِيْمِ، وَدَعَوا المَلِكَ إِلى الإِيمانِ بِاللّهِ، وَخَوَّفُوْهُ مِنْ عِقَابِ اللّهِ، لَكِنَّ المَلِكَ الجَبَّارَ أَحْضَرَ جَلاَّدَهُ وَأَمَرَهُ بِقَتْلِهِمْ جَميعاً،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الـواحِـدَ تِـلْـوَ الآخَـرِ، وَهُـمْ صَـابِـرُوْنَ يُـسَـبِّـحُـونَ وَيُـهَـلِّـلُونَ، وَرَأَى جَبَلَةُ بِعَيْنِهِ هَذِهِ الفِئَةَ المُؤْمِنَةَ الّتي اسْتُشْهِدَتْ دُوْنَ خَوْفٍ، وَهُمْ ثَابِتُونَ عَلَى دِيْنِهِمْ، مُتَمَسِّكُوْنَ بِهِ، فَخَرَجَ إِلى حُجْرَتِهِ، وَخَلاَ بِنَفْسِهِ، وَفَكَّرَ مَلِيّاً فِيْمَا رَآهُ، وَاسْتَعْرَضَ في مُخَيِّلَتِهِ صُوَرَ الأَسْرَى الّذينَ خُيِّرُوا بَيْنَ المَوْتِ وَالحَيَاةِ، فَاخْتَارُوا المَوْتَ عَلى الحَيَاةِ، لأَنَّ شَرْطَ الحَيَاةِ أَنْ يَكْفُروا فَأَبَوْا، وَظَلُّوا مُحَافِظِيْنَ عَلَى عَقِيْدَتِهِمْ حَتّى لَقُوا اللّه، يَا اَللَّهُ مَا أَرْوَعَ هَؤُلاءِ النّاسَ!. مَا أَقْوَى إِيمانَهُم!. ثُمَّ بَكَى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بُكَاءً شَدِيْداً وَهُوَ يَقُولُ: مِنْ أَجْلِ أَنْ يَنَالَ أَعْرَابِيٌّ مِنّي حَقَّهُ فَزِعْتُ وَهَرَبْتُ، وَتَرَكْتُ دِيْنَ الإِسْلامِ، وَأَزْعُمُ أَنِّي قَوِيٌّ شَدِيْدٌ، وَهَؤُلاَءِ الأَسْرَى اخْتَمَلُوا القَتْلَ وَهُمْ مُتَمَسِّكُونَ بِدِيْنِهِمْ لاَ يُبَالُونَ بِالمَوْتِ، مَا أَضْعَفَنِي؟ إِنَّهم أَشَدُّ بَأْساً مِنّي، لَو لَمْ يَكُنِ الإِسْلامُ دِيْنَ حَقٍّ وَصِدْقٍ، لَمَا ضَحَّى هَؤُلاَءِ بِأَزْوَاجِهِمْ في سَبِيْلِهِ!. ثُمَّ صَاحَ بِصَوْتٍ عَالٍ يُخَالِطُهُ البُكَاءُ: وَاحَسْرَتَاهُ!. وَانَدَمَاهُ..

وَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ، ثُمَّ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مَاتَ. وَاسْتَمَرَّتِ انْتِصَارَاتُ الْمُسلمينَ لاَ تَأْبَهُ لِمِثْلِ هَؤُلاَءِ الْمَغْرُورِيْنَ، حَتَّى هَزَمُوا الرُّومَ وَمَنْ وَالاَهُمْ وَأَخْرَجُوْهُمْ مِنْ دِيَارِ الشَّامِ.

❁ ❁ ❁

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قصص إسلامية للأطفال

العبقري الشجاع

تأليف

محمد منير الجنباز

مكتبة التوبة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ⓒ مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجنباز، محمد منير

العبقري الشجاع.- الرياض

٥٢ص، ١٧×٢٤سم.- (سلسلة قصص إسلامية للأطفال)

ردمك: ٥ - ٤٧ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

١ - القصص الإسلامية ٢ - قصص الأطفال أ - العنوان

ب - السلسلة

ديوي ٨١٣،٠٨٨ ٢٠/٣٨١٨

رقم الإيداع: ٢٠/٣٨١٨

ردمك: ٥ - ٤٧ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

جميع حقوق الطبع محفوظة

طبعة جديدة منقحة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير

هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

عمار في دمشق:

عَمّارٌ طِفْلٌ صَغِيرٌ لَمْ يَتَجَاوَزِ العَاشِرةَ منْ عُمُرِهِ، تَعَلَّمَ فِي مَدَارِسِ دِمَشْقَ، فَحَفِظَ القُرْآنَ، وَقَرَأَ في صَحِيْحَي البُخَاري ومُسْلِم، فَحَفِظَ كَثِيراً مِنْ أحادِيثِ رسولِ اللَّه ﷺ، وَتَعَلَّمَ النَّحْوَ والحِسَابَ عَلَى عَادَةِ أَبْنَاءِ ذَلِكَ الوقتِ، الّذِينَ كَانُوا يَهْتَمُّوْنَ بِهَذِهِ العُلُوم، وَكَانَتِ المَدَارِسُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السُّلْطَانِيَّةُ التي أَنْشَأَهَا السُّلْطَانُ نُوْرُ الدّين الزَّنْكِي، وَمِنْ بَعْدِهِ السُّلْطَانُ صَلاَحُ الدّين الأَيُّوبِي، هِيَ الّتِي تُزَوِّدُ النَّاسَ بِالْعِلْمِ وَتُشَجِّعُ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ تُعْطِي مُكَافَآتٍ مَالِيَّةً لِلطُلاَّبِ الدَّارِسِينَ، مُسَاعَدَةً لَهُمْ، وَتَشْجِيْعاً عَلَى طَلَب العِلْم، وَانْتَشَرَت هَذِهِ المَدَارِس فِي أَحْيَاءِ دِمَشْقَ، وَأَقْبَلَ الطُّلاَّبُ عَلَيْها لِلتَّعَلُّمِ، وَشَهِدَ ذلكَ العَصْرُ تَقَدُّماً وَاْضِحاً فِي شَتَّى مَجَالاَتِ العُلُوْمِ، مِنْ فِقْهٍ وَتَفْسِيْرٍ وَعُلُوْمِ القُرْآنِ وَالْحَدِيْثِ وَالحِسَابِ، وَالطِّبِّ وَالْفَلَكِ وَالصَّيْدَلَةِ والكِيمْيَاءِ... إلخ، وَرَافَقَ هَذا العِلْمَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تَقَدُّمٌ فِي الصِّنَاعاتِ، فَازْدَهَرَتْ صِنَاعَةُ الغَزْلِ وَالنَّسِيْجِ، والأَدْوِيَةِ والأَوَاني النُّحَاسِيَّةِ وَالزُّجَاجِيَّةِ وَالمُعَدَّاتِ الحَرْبِيَّةِ، وَقَد نَالَتْ دِمَشْقُ شُهْرَةً فِي ذَلِكَ الوَقْتِ بِصِنَاعَةِ السُّيُوْفِ، مِنْ حَيْثُ الإِتْقَانُ وَالصَّلابَةُ، وَكَانَ عَمّارٌ يُدَاوِمُ عَلَى المَدْرَسَةِ مِنَ الصَّبَاحِ البَاكِرِ وَحَتَّى صَلاةِ الظُّهْرِ، فَيَعُوْدُ لِلْبَيْتِ لِتَنَاوُلِ الغَدَاءِ مَعَ أَهْلِهِ، ثُمَّ يَصْطَحِبُهُ وَالِدُهُ بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ إِلى مُختَبَرِهِ، فَيُمْضِيْ مَعَهُ عِدَّةَ سَاعَاتٍ قَبْلَ أَنْ يَعُوْدَا إِلى البَيْتِ، وَكَانَ وَالِدُ عَمّارٍ يَعْمَلُ فِي الكِيمْيَاءِ، وَتُسَمَّى فِي لُغَةِ ذَلِكَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العَصْرِ «الزَّاْج» فَيَقُوْمُ بِتَرْكِيْبِ الأَدْوِيَةِ وَالعَقَاْقِيْرِ الطبِّيةِ والمَرَاْهِمِ، وَيَسْتَخْرِجُ المَحَاْلِيْلَ الحَمْضِيَّةَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاْعِ المَوَادِّ الكَثِيرَةِ، وَلَقَدْ حَاْوَلَ كُلُّ مَنْ عَمِلَ فِي مَجَاْلِ الكِيمْيَاءِ، أَنْ يَحْصُلَ عَلَى الذَّهَبِ مِنْ مَعْدِنِ الحَدِيد بِطَرِيْقَةٍ عِلْمِيَّةٍ، فَبَعْضُهُمْ أَفْنَى أَمْوَاْلَهُ فِي التَّجَارِبِ دُوْنَ تَحْقِيْقِ المُرَاد، كَمَا هِيَ قِصَّةُ خَالد بنِ يَزِيْد الأُمَوِي، وَغَيْرِهِ مِن عُلَمَاءِ الكِيمْيَاء، لَكِنَّ هَذِه المُحَاوَلاَتِ الّتي أَخْفَقُوا فِيها، فَلَمْ يُوَفَّقُوا فِي صُنْعِ الذَّهَبِ مِنَ الحَدِيْدِ، أَعْطَتْهُمُ الصَّبْرَ وَالجَلَدَ، وَكَشَفَتْ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لَهُم عَنَاصِرَ جَدِيْدَةً لَمْ يَكُوْنُوْا يَعْرِفُوْنَهَا مِنْ قَبْلُ، فَازدَادَتْ خِبْرَتُهُمْ فِي هَذَا المَجَالِ، وَخَدَمُوْا العِلْمَ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُوْنَ، وَكَانَ كُلَّمَا كَشَفَ عَالِمٌ عَنْ شَيْءٍ جَدِيْدٍ فِي مَجَالِ الكِيمْيَاءِ، سَارَعَ بَقِيَّةُ العُلَمَاءِ لِلتَّزَوُّدِ مِنْ هَذِهِ الْمَعْلُوْمَاتِ وَالطَّرِيْقَةِ الَّتِي تَمَّ بِهَا هَذَا الكَشْفُ، وَلَقَدْ اسْتَهْوَتِ النَّارُ اليُوْنَانِيَّةُ الكِيمْيَائِيِّينَ المُسْلِمينَ أيضاً، فَحَاوَلُوا اكْتِشَافَ طَرِيْقَةِ صُنْعِهَا، خُصُوْصاً عِنْدَمَا رَأَوْا أَثَرَهَا فِي الحُرُوْبِ، فَقَدْ أَحْرَقَتْ كَثِيراً مِنْ سُفُنِ المُسْلِمينَ المُحَاصِرَةِ لِلقُسْطَنْطِينيةِ، وَكَانَتْ سَبَباً فِي فَشَلِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتح هَذِه المَدِينة أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَمَنْ جَاءَ بعْدَهُ. لِذَلِكَ دَأَبَ عُلَمَاءُ المُسْلِمِيْنَ، لِلتَّوَصُّلِ إِلى مَعْرِفَةِ سِرِّ تَرْكِيْبِهَا، فَعَرَفُوْهُ بَعْدَ جُهْدٍ، ثُمَّ شَاعَ هَذَا السِرُّ وَأَصْبَحَ صُنْعُها مُيَسَّراً لِكَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ ارْتَقَى العِلْمُ أَكْثَرَ، وَحَاوَلَ العُلَمَاءُ أَنْ يَصْنَعُوا مَوَادَّ مُضَادَّةً لِهَذِهِ النَّارِ، بِحَيْثُ تُبْطِلُ مَفْعُوْلَهَا وَلاَ تُؤَثِّرُ فِيْهَا، فَنَجَحُوا فِي ذَلِكَ أَيْضاً، وَلَكِنْ ظَلَّ هَذَا السِرُّ عِنْدَ عَدَدٍ مَحْدُوْدٍ مِنَ الكِيمِيَائِيينَ.

وَكَانَ وَالِدُ عَمَّارٍ مِنْ أُوْلَئِكَ الكِيمْيَائِيّين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القِلَّةِ الَّذِينَ عَرَفُوْا سِرَّ المَوَادِّ المُضَادَّةِ لِلنَّارِ اليُونَانِيَّةِ، ثُمَّ حَاوَلَ أَنْ يَخْتَرِعَ نَاراً تَحْرِقُ المَوادَ المُضَادَّةَ لِلنَّارِ، وَكَانَ هَذَا فِي غَايَةِ الصُّعوْبَةِ، لِذَلِكَ بَدَأَ يُعِدُّ تَرْكِيْبَاتٍ كِيميائِيَّةً عَن عِلْمٍ وَدِرايَةٍ، وَيُجَرِّبُهَا فِي هَذِه المَوَادِّ فَيَفْشَلُ، ثُمَّ يُغَيِّرُ فِي التَّرْكِيْبِ فَيَفْشَل، وَطَالَتْ تَجَارِبَهُ كَثِيراً وَاسْتَغْرَقَتْ وَقْتاً طَوِيْلاً، فَشَغَلَتْهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِهَا، وَأَصْبَحَ التَّوَصُّلُ إِلى هَذِهِ النَّارِ يَأْخُذُ عَلَيهِ تَفْكِيرَهُ فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَيْأَسُ، وَلَمْ يَتَأَثَّرْ بِكُلِّ مُحَاوَلاَتِ الفَشَلِ بَلْ كَانَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يَزْدَادُ ثِقَةً وَخِبْرَةً فِي هَذا العِلْم.

الفرحة:

كَانَ عَمّارٌ يُلاَحِظُ أَعْمَالَ وَالِدِهِ بِعَيْنٍ ذَكِيَّةٍ وَقَلْبٍ مُدْرِكٍ وَاْعٍ، فَقَدْ أَحَبَّ الكِيمْيَاءَ مِثْلَ وَالِدِه، لأَنَّ فِيْهَا مُتْعَةً وَاكْتِشَافَاتٍ مُثِيْرَةً، وَكَانَ وَالِدُهُ يُحْضِرُهُ مَعَهُ إِلى المُخْتَبَرِ لِيكُونَ مُسَاعِداً لَهُ، فَيُنَاوِلَهُ مَا يَحْتَاجُ إِليهِ مِنْ مَوَادَّ وَأَدَوَاْتٍ، وَكَانَ أَحْيَاناً يعهَدُ إِليهِ بِتَركيْبِ بَعْضِ الوَصْفَاتِ الطِّبِيّةِ البَسِيْطَةِ، بَعْدَ أَنْ يُعْطِيَهُ أَسْمَاءَ المَوَادِّ وَنِسْبَةَ كُلّ مَادَّةٍ وَوَزْنَهَا، فَيَقُوْمُ بِهَذَا العَمَلِ رَاْضِياً

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فَخُوراً، كَمَا كَانَ يَقُومُ بِبَيْعِ بَعْضِ المَوادِّ الكِيمْيَائِيّةِ إِلى الزَّبَائِنِ فِي حَالِ انْشِغَالِ وَالِدِهِ بِتَجْرِبَةٍ تَحتَاجُ إِلى المُرَاقَبَةِ المستديمة، وَفي ذَاتِ يَوْمٍ، بَيْنَما كَانَ عَمَّارٌ فِي المُخْتَبَرِ يُسَاعِدُ وَالِدَهُ، إِذَا بِالْوَالِدِ يَصْرُخُ مِن فرحَتِهِ بِشَكْلٍ مُفَاجِئٍ، لَقَدْ نَجَحْتُ، لَقَدْ نَجَحْتُ، حَمْداً لَكَ يَا رَبِّ عَلَى هَذَا التَّوْفِيقِ، وَبَدَا مَسْرُوراً فِي غَايَةِ السَّعَادَةِ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ عَمَّارٌ فَرِحاً، وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ الفَرَحَةِ الغَامِرَةِ وَالنَّجَاحِ المُوَفَّقِ، فَقَصَّ عَلَيْهِ وَالِدُهُ قِصَّةَ النَّارِ اليُونَانِيَّةِ الّتي أَصْبَحَتْ مُخْتَرَعاً قَدِيماً، فَقَدْ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

طَوَّرَهَا العَرَبُ المُسلِمُوْنَ حَتَّى أَصْبَحَتْ أَعْتَى ضِرَاماً وَأَشَدَّ إِحْرَاْقاً، وَأَرَاْهُ وَاْلِدُهُ النَّاْرَ اليُوْنَانِيَّةَ وَقُوَّةَ إِحْرَاْقِها، ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلى المَوَادِّ الّتي لاَ تُؤَثِّرُ فِيها هَذِهِ النَّارُ فَلَمْ تَحْرِقْهَا، فَأَحْضَرَ النَّارَ العَرَبِيَّةَ فَأَحْرَقَتْهَا، فَتَعَجَّبَ عَمَّاْرٌ مِنْ هذِهِ النّارِ وَاهْتَمَّ بِهَا كَثِيْراً، وَحَصَلَ مِنْ وَاْلِدِهِ عَلَى سِرِّ تَرْكِيْبِهَا، ثُمَّ أَصْبَحَ يَصْنَعُهَا بِنَفْسِهِ، وَيَتَسَلَّى بِمَنْظَرِهَا وَهِيَ تَلْتَهِمُ الأشياءَ بِعُنْف.

سُرَّ عَمَّاْرٌ لأَنَّهُ حَصَلَ عَلَى أَسْرَاْرِ هَذِهِ النَّارِ الّتي طَوَّرَهَا وَاْلِدُهُ، كَمَا سُر بِعَقْلِيَّةِ وَاْلِدِهِ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَعَبْقَرِيَّتِهِ وَدَأْبِهِ، وَوَعَدَ وَالِدَهُ أَنْ يَكُوْنَ مهْتمًّا بِالكِيمياءِ مِثْلَهُ تَماماً.

أَعْدَاْءُ المُسْلِمين:

طَمِعَ الصَّلِيْبِيُّوْنَ فِي بِلاَد الشّام، وَأَرادُوا أَنْ يَسْتَوْلُوْا عَلَى القُدْسِ، فَجَهَّزُوا حَمْلاَتٍ كَبِيْرَةً ضِدّ المُسلِمِيْن، ونَجَحُوا فِي نِهَايَةِ القَرْنِ الخَامِسِ الهِجْرِيّ سنة ٤٩٢هـ فِي الاسْتِيْلاَءِ عَلَى مُدُنِ السَّاحِلِ مِنْ بِلادِ الشَّامِ، ثُمَّ زَحَفُوْا نَحْوَ القُدْسِ وَاسْتَوْلَوْا عَلَى هَذِهِ المَدِيْنَةِ المُهِمَّةِ عِنْدَ المُسْلِمِيْن. فَقَدْ قَالَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ عليهِ الصَّلاَةُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والسَّلَامْ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ، المَسْجِدِ الحَرَامِ وَالمَسْجِدِ الأَقصَى وَمَسْجِدِي هَذَا»

وَلَقَدْ أُسْرِيَ بِالرَّسُوْلِ ﷺ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلى المَسْجِدِ الأَقْصَى، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ فَاللَّهُ تَعَالَى جَعَلَهُ مُبَارَكاً، فَجَاءَ الصَّلِيبِيُّوْنَ فَاحتَلُّوْهُ، وَدَنَّسُوا حُرْمَتَهُ، وَهَدَّدُوْا بَقِيَّةَ مُدُنِ الشَّامِ وَمِصْرَ بِالاحْتِلَالِ، فَحَاصَرُوا حَلَبَ وَدِمَشْقَ، كَمَا حَاصَرُوْا دِمْيَاطَ وَالمَنْصُوْرَةَ فِي مِصْر، وَهَاجَمُوا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الإِسْكَنْدَرِيَّةِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وَقَدْ كَانَ المُسْلِمُوْنَ عِنْدَ بَدْءِ الهُجُوْمِ الصَّلِيْبِيّ - فِي نِهَايَةِ القَرْنِ الخَامِسِ الهِجْرِيّ - فِي غَايَةِ الضَّعْفِ وَالتَّفَكُّكِ، ثُمَّ هَيَّأَ اللَّهُ تَعَالَى لِهَذِهِ البِلاَدِ مَنْ يَحْفَظُهَا؛ مِنَ القَادَةِ وَالمُجَاهِدِيْنَ المُخْلِصِيْنَ، الّذِينَ جَاهَدُوا لإِعْلاَءِ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَحِمَايَةِ الدِّيْنِ وَالأَعْرَاضِ وَالبُلْدَانِ مِنْ شَرِّ الصَّلِيْبِيِّيْنَ الحَاقِدِيْنَ عَلَى الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ، فَكَانَ المُجَاهِدُ السُّلْطَانُ نُوْرُ الدِّينِ آلَ زَنْكِي، ثُمَّ السُّلْطَانُ المُجَاهِدُ صَلاَحُ الدِين الأَيُّوْبِيّ، الّذي اسْتَرَدَّ مِنَ الصَّلِيبِيِّيْنَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القُدْسَ وَعَكَّا، وَمُدُناً كَثِيرةً غيرَهُما، وَأَحْدَثَ فَتْحُ عَكَّا وَالقُدْسِ عِنْدَ قَادةِ الصَّلِيْبِيِّينَ، هِزَّةً عَنِيْفَةً فِي أَوْرُبَّا وَغَيْرِها، فَدَعَوْا شُعُوْبَهُمْ إِلى التَّطَوُّعِ وَالتَّجْنِيْدِ، لإِعَادَةِ احْتِلالِ هَاتَيْنِ المَدِيْنَتَيْنِ، وَالسَّيْطَرَةِ عَلَى كَافَّةِ بِلادِ الشَّامِ وَمِصْر.

مدينةُ عَكّا:

تُعَدُّ مَدِيْنَةُ عَكَّا فِي ذَلِكَ الوَقْتِ أَي سَنَة ٥٨٠هـ مِنْ أَعْظَمِ المَوانِىءِ الحَرْبِيَّةِ الحَصِينَةِ عَلَى البَحْرِ المُتَوَسِّطِ، فَهِي مُرْتَفِعَةٌ عَلَى التِّلالِ، وَلَهَا قَلْعَةٌ فِي مُنْتَهى المَنَاعَةِ وَالقُوَّةِ، تُحِيْطُ بِهَا أَسْوَارٌ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شَاهِقَةٌ قَوِيَّةٌ، كَمَا تَحْمِيْهَا التِّلَالُ مِنْ جِهَةِ البَرِّ، وَتُشَكِّلُ خُطُوْطاً دِفَاعِيَّةً قَوِيَّةً، وَتُعَدُّ عَكَّا مِفْتَاحَ البُلْدَانِ الدَّاخِلِيَّةِ، الَّتي تَلِيْهَا وَخُصُوْصاً القُدْس، فَالَّذي يَسْتَطِيْعُ احْتِلَالَ عَكَّا، يُمْكِنُهُ أَنْ يُقِيْمَ رَأْسَ جِسْرٍ لِلتَّوَسُّعِ والامْتِدَادِ نَحْوَ القُدْسِ، وَيَأْتِيَهُ المَدَدُ العَسْكَرِيُّ مِنَ البَحْرِ بِسُهُوْلَةٍ وَيُسْرٍ، لِذَلِكَ كَانَتْ جُهُوْدُ الصَّلِيبِيِّيْنَ مُرَكَّزَةً نَحْوَ عَكّا، فَحَشَدُوا الجُيُوْشَ البَرِّيَّةَ وَالأَسَاطِيلَ البَحْرِيَّةَ مِنْ كُلِّ بُلْدَانِ أُوْرُبَّا، وَاتَّجَهُوا نَحْوَ عَكَّا لاِحْتِلَالِهَا، أَمَّا المُسْلِمُوْن فَقَدْ فَرِحُوْا بِالنَّصْرِ وَاسْتَرْدَادِ عَكَّا،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَحَضَرَ كَثِيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ لِزِيَارَةِ عَكَّا وَالْاطِّلَاعِ عَلَى آثَارِ الحَرْبِ، وَمَا أَحدَثَتْهُ فِي المَدِيْنَةِ، وَرُؤْيَةِ أَسْوَارِ عَكَّا وَأَبْرَاجِهَا العَالِيَةِ، والاسْتِمْتَاعِ بِمَا يَشْرَحُهُ بَعْضُ القَادَةِ وَالجُنُوْدُ عَنْ قِصَّةِ فَتْحِ عَكَّا وَقَهْرِ حُصُوْنِهَا، وَبَرَاعَةِ المُسْلِمِيْنَ فِي فَتحِها وَاسْتِعَادَتِهَا، وَحَضَرَ عَدَدٌ مِنْ أَهَالِي عَكَّا الَّذِينَ كَانُوا قَدْ غَادَرُوْهَا يَوْمَ وَقَعَتْ تَحْتَ السَّيْطَرَةِ الصَّلِيْبِيَّةِ، وَفَرُّوا مِنْ جَحِيم الأَعْدَاءِ، تَارِكِيْنَ بُيُوْتَهُمْ وَمَنَازِلَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، طَالِبِيْنَ النَّجَاةَ بِأَرْوَاحِهِمْ وَسَلَامَةِ عَقِيْدَتِهِمْ. وَحَضَرَ عَدَدٌ مِنَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الْمُسْلِمِيْنَ لِلاطْمِئْنَانِ عَلَى أَقْرِبَائِهِمْ الَّذِينَ بَقَوْا عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ، وَتَحَمَّلُوا السِّنِيْنَ الطَّوِيْلَةَ مِنَ الْمُعَانَاةِ تَحْتَ وَطْأَةِ الاحْتِلَالِ، وَكَانَ لِعَمَّارٍ عَمَّةٌ فِي عَكَّا، فَقَصَدَهَا أَبُوْهُ وصَحِبَ مَعَهُ عَمَّاراً، فَزَارَ عَكَّا وَأَقَامَ مَعَ أَبِيْهِ أَيَّاماً عِنْدَ العَمَّةِ الَّتِي مَا زَالَتْ عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ، فَمَكَثُوا عِنْدَهَا يُوَاسُوْنَهَا، فَفَرِحَتْ بِأَخِيْهَا وَابْنِهِ عَمّارٍ، وَاسْتَأْنَسَتْ بِهِمَا بَعْدَ وَحْشَةٍ طَوِيلَةٍ، وَهَنَّآهَا بِعَوْدَةِ عَكَّا لِلْمُسْلِمِيْنَ، وَخَلاصِهَا مِنَ الاحْتِلَالِ، وَشَرَعَ النَّاسُ فِي إِعْمَارِ الْمَدِيْنَةِ وَتَحْصِيْنِ أَسْوَارِهَا مِنْ جَدِيْدٍ، فَعَادَتْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِلَيْهَا الحَيَاةُ مِنْ جَدِيْدٍ بَعْدَ الحَرْبِ القَاْسِيَةِ، فَقَدْ اكْتَظَّتْ بِالعُمَّاْلِ وَالبَنَّائِيْنَ وَالتُّجَّاْرِ، وَقَصَدَتْها السُّفُنُ التِّجَارِيَّةُ مِنْ كُلِّ مَكَاْنٍ، وَأَمِنَتْ حَوْلَهَا طُرُقُ المُوَاصَلَاتِ البَرِّيَّةِ، فَفَتَحَتْ أَبْوَاْبَهَا لِلْقَوَافِلِ وَالبَضَاْئِعِ.

الرَّحِيْل:

عَاْدَ وَاْلِدُ عَمَّارٍ إِلى دِمَشْقَ، تَاْرِكاً عَمَّاراً عِنْدَ عَمَّتِهِ الَّتي شَاْخَتْ وَكَبِرَتْ، لِيُقِيْمَ عِنْدَهَا وَيَخْدِمَهَا، فَقَدْ رَجَتْهُ أَنْ يُبْقِي عَمَّاراً عِنْدَهَا، لِيُؤَاْنِسَ وَحْشَتَهَا وَيَقْضِيَ لَهَا حَوَاْئِجَهَا، وَأَنَّهُ لاَ بَأْسَ عليه أن يُقِيْمَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عِنْدَهَا عِدَّةَ شُهُوْرٍ، ثُمَّ يَعُوْدُ إِلى دِمَشْقَ، فَقَدْ غَدَتِ الطَّرِيقُ آمِنةً، ولاَ خَوْفَ عَلَيْهِ مِن أَحَد.

هَزَّ وَالِدُ عَمّارٍ رَأْسَهُ بِالمُوَافَقَةِ، لَكِنَّهُ اسْتَدْرَكَ فَقَالَ: لاَ تُؤَخِّرِيهِ، فَأَنا بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ أَيْضاً، فَهُوَ يُسَاعِدُني وَيَتَعَلَّمُ مِنّي صَنْعَةَ الكِيمْيَاءِ، وَتَرْكِيْبَ الأَدْوِيَةِ، ثُمَّ وَدَّعَهُمَا وَغَادَرَ عَكَّا إِلى دِمَشْقَ.

عَاشَ عَمّارٌ فِي عَكَّا عِدَّةَ شُهُوْرٍ يَخْدِمُ عَمَّتَهُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ لاَ يَجْلِسُ فِي البَيْتِ كَثِيْراً، فَكَانَ يَخْرُجُ إِلى البَحْرِ لِيَسْبَحَ فِيه، كَمَا كَانَ يَزُوْرُ مَعَالِمَ عَكَّا وَأَسْوَارَهَا وَأَبْرَاجَهَا، وَيَرَى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العَمَلَ فِيها، كَمَا كَانَ يَرَى فِرَقَ الجَيْشِ وَهِي تَقُوْمُ بِالتَّدْرِيْبِ وَالاسْتِعْدَادِ لِصَدِّ أَيِّ هُجُوْمٍ عَلَى عَكَّا، فَشَاهَدَ الرُّمَاةَ وَهُمْ يَتَدَرَّبُوْنَ عَلَى رَمْيِ السِّهَامِ وَإِصَابَةِ الأَهْدَافِ، وَرَأَى نَقْلَ الحِجَارَةِ البُرْكَانِيَّةِ المُدَوَّرَةِ الشَّكْلِ وَتَجْمِيعَهَا فِي الأَبْرَاجِ، وَذَلِكَ لاسْتِعْمَالِهَا فِي المَنْجَنِيْقِ الَّذِي يَرْمِيْهَا عَلَى سُفُنِ الأَعْدَاءِ، وَرَأَى نَصْبَ الحَرَّاقَاتِ عَلَى الأَسْوَارِ، وَهِيَ الَّتي تَقْذِفُ النَّارَ المُلْتَهِبَةَ، وَتَصُبُّ الزَّيْتَ الغَالِي ذِي الحَرَارَةِ المُرْتَفِعَةِ عَلَى مَنْ يُرِيْدُ تَسَلُّقَ الأَسْوَارِ، كَمَا زَارَ المَرْفَأَ وَرَأَى حَرَكَةَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إِصْلاَحِ السُّفُنِ الحَرْبِيَّةِ وَبِنَاءِ سُفُنٍ أُخْرَى، فَسُرَّ كَثِيراً مِنْ هَذِهِ الحَرَكَةِ، وَأُعْجِبَ بِهَذَا النَّشَاطِ والاسْتِعْدَادِ، وَعَلِمَ أَنَّ حِفْظَ البِلاَدِ يَحْتَاجُ إِلى جُهْدٍ وَتَعَبٍ، وَيَحْتَاجُ إِلى جُهُوْدِ أَبْنَاءِ الأُمَّةِ جَمِيعاً، حَيْثُ يُقَدِّمُ كُلُّ فَرْدٍ خِبْرَتَهُ وَاسْتِطَاْعَتَهُ.

حِصاْرُ عَكَّا:

وفِي صَبِيْحَةِ يَوْمٍ صَيْفِيٍّ هَادِىء، لا رِياْحَ فِيْهِ وَلاَ ضَجَّةَ لأَمْوَاْجِ البَحْرِ الصَّاخِبَةِ، حِيْنَ تَتَكَسَّرُ عَلَى الشَّاطِىءِ، اسْتَيْقَظَ النّاسُ فِي عَكَّا عَلَى أَصْوَاْتِ طُبُوْلِ الحَرْبِ، فَأَطَلَّ النَّاسُ مِنْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نَوَافِذِ دُوْرِهِمْ وَأسْطِحَةِ مَنَازِلِهِمْ، فَوَجَدُوا الجُنُوْدَ يَرْكُضُوْنَ وَيَتَّجِهُوْنَ للسَّاحَةِ العَامَّةِ لِلاجْتِمَاعِ، وَقَدْ لَبِسُوا دُرُوْعَهُمْ، وَحَمَلُوا أَسْلِحَتَهُمْ، وَهُم يُكَبِّرُونَ وَيُهَلِّلُوْنَ، فَخَرَجَ عَمَّارٌ إِلى أَحَدِ الشَّوَارِعِ لِيَسْتَطْلِعَ الخَبَر، فَعَلِمَ أَنَّ أَسَاطِيلَ الإِفْرَنْجِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعَكَّا، وَهِيَ تَمْلأُ البَحْرَ، وَأَنَّ الطُرُقَ البَرِّيَّةَ قَدْ قُطِعَتْ، وَنَزَلَ فِيهَا الأَعْدَاءُ أَيْضاً، وَأَنَّ المَدَدَ يَتَوَالَى مِنَ البَرِّ وَالبَحْرِ، فَالْمُدُنُ الّتي مَا زَالَتْ فِي أَيْدي الصَّلِيْبِيِّينَ، مِثْلُ صَيْدَا وَصُوْرٍ وَطَرَابُلُسَ وَإِنْطَاكِيَّةَ، قَدْ دَفَعَتْ بِالجُيُوْشِ البَرِّيَةِ وَاسْتَقْبَلَتْ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أَيْضاً مَدَداً مِنْ أُورُوبَّا، قَادِماً عَنْ طَرِيق القُسْطَنْطِيْنِيَّةِ، كما دفعت أُورُوبَّا بِالجُيُوْشِ بَحْراً فِي سُفُنٍ كَثِيْرَةٍ، وَتَجَمَّعَ كُلُّ هَؤُلاَءِ أَمامَ عَكَّا يُرِيْدُوْنَ احْتِلاَلَهَا، لِيَصِلُوا بَعْدَهَا إِلى القُدْسِ، لَقَدْ أَصْبَحَتْ عَكَّا بِهَذَا الحِصَارِ مَعْزُوْلَةً عَنْ بَقِيَّةِ المُدُنِ الإِسْلاَمِيَّةِ، حَزِنَ عَمَّارٌ لِهَذَا الحِصَارِ المُفَاجِىءِ، وَتَذَكَّرَ أَهْلَه فِي دِمَشْقَ، فَقَدْ أَصْبَحَ الوُصُوْلُ إِلَيْهِمْ مُسْتَحِيْلاً، وَبَدَأَ يُفَكِّرُ فِي طَرِيْقَةٍ للإِفْلاَتِ، وَلَكِنْ فَاتَ الأَوَانُ، وَأَصْبَحَ مَصِيْرُهُ مَرْهُوْناً بِمَصِيْرِ كُلِّ المَوْجُوْدِيْنَ فِي عَكَّا، فَعَادَ يَلُوْمُ نَفْسَهُ عَلَى تَأَخُّرِهِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عِنْدَ عَمَّتِهِ، ثُمَّ تَذَرَّعَ بِالصَّبْرِ، وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ هَذِهِ الغُمَّةَ، وَأَسْرَعَ إِلى عَمَّتِهِ فَأَخْبَرَهَا بِمَا يَجْرِي فِي عَكَّا مِنْ أَحْدَاثٍ، فَخَافَتْ عَلَيْهِ العَمَّةُ وَضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا طَوِيْلاً وَدُمُوْعُهَا تُبَلِّلُ خَدَّيْهَا، وَتَتَسَاقَطُ عَلَى رَأْسِ عَمّارٍ، أَشْفَقَ عَمّار عَلى عَمَّتِهِ وَقَالَ لَهَا: مَا لَكِ يَا عَمَّتِي؟ لَكِنَّها ظَلَّتْ صَامِتَةً وَسَرَحَتْ فِي تَفْكِيْرٍ طَوِيْلٍ، لَقَدْ تَذَكَّرَتْ قَبْلَ سِنِيْنَ طَوِيْلَةٍ حِصَارَ الإِفْرَنْجِ لِعَكَّا، وَدُخُوْلَهُمُ الوَحْشِيَّ لِهَذِهِ المَدِيْنَةِ، حَيْثُ اسْتَبَاحُوْا فِيْها كُلَّ شَيْءٍ، فَقَتَلُوا وَأَحْرَقُوا وَنَهَبُواْ وَسَجَنُوا، حَتّى أَصْبَحَتِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المَدِيْنَةُ، مَدِيْنَةَ أَشْبَاحٍ، لاَ تَرَى فِيْهَا إِلاّ الحَرَائِقَ وَالمَوتَى فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْهَا، وَتَذَكَّرَتْ أَيْضاً مَقْتَلَ أَخِيهَا الصغِير «مُنْذِرٍ» وَقَدْ كَانَ فِي مِثْلِ سِنِّ عَمّار، فَقَتَلُوْهُ وَلَمْ يُرَاْعُوْا صِغَرَهُ، فَخَافَتِ العَمَّةُ أَنْ تَسْقُطَ عَكًّا ثَانِيَةً، وَيُلاَقِي عَمَّارٌ مَا لاَقَاهُ «مُنْذِرٌ» مِنْ قَبْلُ، فَبَكَتْ وَصَاحَتْ: يَا إِلَهِي الْطُفْ بِنَا، وَاكْشِفْ عَنَّا هَذِهِ الغُمَّةَ، وَانْصُرْ جُيُوْشَ المُسْلِمِيْنَ.

المُقَاْوَمَة:

اسْتَعَدَّ أَهْلُ عَكَّا لِلْحِصَارِ الطَّوِيْلِ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَلِلْمُقَاوَمَةِ بِرُوْحٍ عَالِيَةٍ دُوْنَ أَنْ تُرْهِبَهُمْ قُوَّةُ الأَعْدَاءِ، فَأَخَذَ الجُنُوْدُ مَوَاقِعَهُمْ عَلَى الأَسْوَارِ، وَلَبِسَ الوَالِي «قَرَاقُوْش» لِبَاسَ الحَرْبِ، وَدَعَا النَّاسَ جَمِيْعاً لِلصُّمُوْدِ، كَمَا دَعَاهُمْ إِلى الاقْتِصَادِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، اسْتِعْدَاداً لِمُقَاوَمَةٍ طَوِيْلَةٍ، قَدْ تَسْتَغْرِقُ شُهُوْراً، وَرُبَّما سَنَةً أَوْ أَكْثَر، وَقَامَ الصَّلِيْبِيُّوْنَ بِالْهُجُوْمِ الأَوَّلِ عَلَى عَكَّا، وَهُوَ بِمَثَابَةِ اخْتِبَارٍ لِمَنَاعَةِ الأَسْوَارِ، وَمَعْرِفَةِ القُوَّةِ عِنْدَ الخَصْمِ، فَرَدَّهُمُ المُسْلِمُوْنَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَأَلْحَقُوا بِهِمْ خَسَائِرَ جَسِيْمَةً. ثُمَّ نَصَبُوا حَوْلَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأَسْوَارِ مَنْجَنِيْقَاتٍ كَبِيْرَةً، وَقَذَفُوا عَكَّا بِالْحِجَارَةِ، لَكِنَّ مَنْجَنِيْقَاتِ الْمُسْلِمِيْنَ كَانَتْ أَقْوَى مِنْهُم، لأَنَّها كَانَتْ مُتَمَرْكِزَةً عَلَى الأَسْوَارِ، فَتَمَكَّنَتْ مِنْ إِصَابَةِ مَنْجَنِيْقَاتِ الأَعْدَاءِ وَتَدْمِيْرِهَا، وَاسْتَمَرَّ الحِصَارُ طَوِيْلاً، وَنَوَّعَ الإِفْرَنْجُ فِي طُرُقِ الهُجُوْمِ وَأَسَالِيْبِهِ، فَلَمْ يَظْفَرُوا بِشَيْءٍ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يُصَابُوْنَ بِأَفْدَحِ الخَسَائِرِ، وَمِنْ جِهَةِ البرِّ هَاجَمَهُمْ صَلاَحُ الدِّيْنِ الأَيُّوبِي لِكَيْ يُخَفِّفَ الحِصَارَ عَنْ عَكَّا، وَيُمِدَّهَا بِالمُؤَنِ والسِّلاَحِ، لَكِنَّ صَلاَحَ الدِّيْنِ لَمْ يُحْرِزْ نَصْراً عَلَى الأَعْدَاءِ، وَلَمْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يَسْتَطِعْ إِزَالَتَهُمْ مِنْ حَوْلِ الأَسْوَارِ، فَقَدْ حَفَرَ الإِفْرَنْجُ الخَنَادِقَ وَتَمَرْكَزُوا فِيهَا بِإِحْكَامٍ، وَجَعَلُوْهَا تَفْصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ صَلاَحِ الدِّينِ.

وَكَانَ المَدَدُ يَأْتِي إِلى الأَعْدَاءِ مِنْ جِهَةِ البَحْرِ فَيُعَوِّضُوْنَ بِهِ كُلَّ نَقْصٍ، سَوَاءٌ أَكَانَ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ السِّلاَحِ أَوِ الطَّعَامِ، وَظَلَّ جَيْشُ الأَعْدَاءِ البَرِّيّ مُحَافِظاً عَلَى قُوَّتِهِ، ثُمَّ عَمِلَ الصَّلِيْبِيُّوْنَ حِيْلَةً جَدِيْدَةً، فَصَنَعُوا ثَلاَثَةَ أَبْرَاجٍ خَشَبِيَّةٍ كَبِيْرَةٍ، يَبْلُغُ ارْتِفَاعُهَا مِقْدَارَ ارْتِفَاعِ أَسْوَارِ عَكَّا، وَشَحَنُوْهَا بِالرِّجَالِ وَالسِّلاَحِ وَحَمَلُوْهَا عَلَى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَجَلاتٍ كَبِيرَةٍ، وَكَسَوْهَا مِنَ الخَارِجِ بِجُلُودٍ مُشْبَعَةٍ بِمَوَادَّ لاَ تَحْرِقُهَا النِّيران، ولا تُؤَثِّر فِيهَا حَتّى النَّارُ اليُونَانِيَّةُ، وَدَفَعَ الأَعْدَاءُ هَذِهِ الأَبْرَاجَ بِاتِّجَاهِ الأَسْوَارِ.

وَاقْتَرَبَتْ بِبُطْءٍ تَحْتَ حِمَايَةِ الأَعْدَاءِ، فَتَلَقَّاهَا المُسْلِمُوْنَ بِالسِهامِ النَّارِيَّةِ وَحِجَارَةِ المَنْجَنِيْقِ، فَلَمْ تُؤَثِّرْ فِيْهَا، وَاسْتَمَرَّتْ بِالتَّقَدُّمِ حَتى وَصَلَتْ إِلى الخَنْدَقِ المُحِيْطِ بِأَسْوَارِ عَكَّا، وَكَانَ عَلَى الأَعْدَاءِ أَنْ يَنْتَظِرُوا فَتْرَةً مِنَ الوَقْتِ لِرَدْمِ الخَنْدَقِ بِالحِجَارَةِ وَالتُّرَابِ، ثُمَّ يَدْفَعُوا الأَبْرَاجَ لِتَلْتَصِقَ بِالأَسْوَارِ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَبَذَلَ أَهْلُ عَكَّا كُلَّ مَا فِي وُسْعِهِمْ لِتَدْمِيرِ الأَبْرَاجِ، وَمَنْعِ الأَعْدَاءِ مِنْ رَدْمِ الخَنْدَقِ، وَقَالُوا: إِنْ تَقْتَرِبْ مِنَّا هَذِهِ الأَبْرَاجُ فَسَوْفَ تَسْقُطُ عَكَّا بِأَيْدِيهِمْ، وَرَفَعُوا الأَمْرَ عَلَى عَجَلٍ إِلَى وَالِي عَكَّا، فَجَاءَ مُسْرِعاً وَصَعِدَ السُّوْرَ وَرَاقَبَ هَذِهِ الأَبْرَاجُ بِنَفْسِهِ، وَجَرَّبَ فِيهَا السِّهَامَ النَّارِيَّةَ فَلَمْ تُؤَثِّرْ فِيهَا، بَلْ انْطَفَأَتْ جَذْوَتُهَا بِمُجَرَّدِ مُلاَمَسَتِهَا لِلأَبْرَاجِ، وَقَالَ: مَا هَذِهِ الدَّاهِيَةُ الَّتِي رَمَانَا بِهَا الإِفْرَنْجُ هَذَا اليَوْمِ؟! فَأَسْرَعَ الوَالِي وَغَادَرَ الاسْوَارَ إِلَى قَصْرِهِ، وَطَلَبَ اجْتِمَاعاً عَاجِلاً لِبَحْثِ قَضِيَّةِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأَبْرَاجِ، وَحَضَرَ القَادَةُ وَأَهْلُ الرَّأْيِ، وَتَدَارَسُوا الأَمْرَ، وَاتَّفَقُوا عَلَى اسْتِدْعَاءِ صُنَّاعِ النَّارَ اليُوْنَانِيَّةِ لِعَمَلِ نَارٍ تَحْرِقُ هَذِهِ الأَبْرَاجَ، وأَخْذِ كَافَّةِ احْتِيَاطَاتِهِمْ أَيْضاً بِتَقْوِيَةِ الأَسْوَارِ، وَزِيَادَةِ عَدَدِ الجُنُوْدِ عِنْدَ المَكَانِ الّذي سَتَصِلُ إِلَيْهِ الأَبْرَاجُ.

المُحَاوَلَةُ الأولَى:

خَرَجَ المُنَادِي الّذي كَلَّفَهُ الوَالِي بِالبَّحَثِ عَنْ صُنَّاعِ النَّارِ اليُوْنَانِيَّةِ، وَطَافَ فِي شَوَارِعِ عَكَّا وَسَاحَاتِهَا العَامّةِ، مُعْلِناً عَنْ رَغْبَةِ الوَالي فِي دَعْوَةِ صُنَّاعِ النَّارِ اليُوْنَانِيّةِ المَهَرَةِ، لِلْحُضُوْرِ إِلى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القَصْرِ لِمُهِمَّةٍ عَاجِلَةٍ تَتَعَلَّقُ فِيها سَلاَمَةُ المَدِيْنَةِ، وَمِنْ هَذَا المُنَادِي عَرَفَ النَّاسُ فِي عَكَّا خَبَرَ الأَبْرَاجِ الخَطِيْرَةِ، وَأَسْرَعَ مَنْ كَانَ مَوْجُوْداً فِي عَكَّا مِنَ الكِيمْيَائِيِّينَ - وَكَانُوا قِلّة - إِلَى وَالِي عَكَّا لِيُقَدِّمُوا إِلَيْهِ خِبْرَتَهُم فِي هَذا الشَّأْنِ، وَسَمِعَ عَمَّارٌ أَيْضاً صَوْتَ المُنَادِي فَذَهَبَ إِلى الوَالِي لِيُقَدِّمَ خِبْرَتَهُ فِي صُنْعِ النَّارِ الحَارِقَةِ، وَأَمَامَ قَصْرِ الوَالِي اجْتَمَعَ الكِيمْيَائِيُّوْنَ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ عَمّارٌ، وَعِنْدَ الدُّخُوْلِ إِلى الوَالِي، أَدْخَلَ الحَاجِبُ الرِّجَالَ وَمَنَعَ عَمَّاراً مِنَ الدُّخُوْلِ، وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صَغِيْرٌ وَلاَ عِلْمَ لَكَ بِأَسْرَارِ النَّارِ، وَالْوَالِي لَيْسَ عِنْدَهُ وَقْتٌ يُضَيِّعُهُ مَعَك. حَاوَلَ عَمَّارٌ أَنْ يُعَرِّفَهُ بِنَفْسِهِ وَبِصَنْعَةِ أَبِيْهِ فِي دِمَشْقَ، فَلَمْ يَسْتَمِعْ الحَاجِبُ إِلَيْهِ، وَأَغْلَقَ البَابَ فِي وَجْهِهِ.

حَزِنَ عَمَّارٌ لِهَذِهِ المُعَامَلَةِ القَاسِيَةِ فِي هَذا الظَّرْفِ العَصِيْبِ، لأَنَّ البَلَدَ بِحَاجَةٍ إِلى جُهُوْدِ الجَمِيْعِ، كِبَاراً وَصِغَاراً، لَكِنَّهُ طَمْأَنَ نَفْسَهُ بِقُدْرَةِ الرِّجَالِ الَّذِيْنَ دَخَلُوا إِلى الوَالي، وَتَمنّى لَهُمُ التَّوْفِيْقَ فِي مَهَمَّتِهِمْ، ثُمَّ عَادَ إِلى بَيْتِ عَمَّتِهِ وَعِنْدَهُ رَجَاءٌ كَبِيْرٌ بِقَهْرِ أَبْرَاجِ الأَعْدَاءِ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والتقى الوَالي بِثَلاثَةِ رِجَالٍ مِنَ الكِيمْيَائِيّينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عَكَّا غَيْرُهُمْ، وَشَرَحَ لَهُم حَرَجَ المَوْقِفِ بِسببِ الأَبْراجِ الّتي لاَ تُؤَثِّرُ فِيهَا النَّارُ، وَرَجاهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا شَيْئاً سَرِيعاً، وَيُعِدُّوا نَاراً لإِحْرَاقِهَا.

شَمَّر الرِّجَالُ الثَّلاثَةُ عَنْ سَاعِدِ الجِدِّ، وَوَعَدُوا الوَالِي بِعَمَلِ نَارٍ تَحْرِقُ الأَبْرَاجَ، فَانْطَلَقُوا إِلى مَعَامِلِهِمْ، ثُمَّ عَادُوا وَمَعَهُمْ قُدُورٌ فِيها تَرْكِيبُ النَّارِ اليُونَانِيّةِ، وَصَعِدُوا أَسْوَارَ عَكَّا مُقَابِلَ الأَبْرَاجِ الّتي مَا زَالَتْ وَاقِفَةً تُحَاوِلُ التَّقَدُّمَ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَعَسَاكِرُ الْمُسْلِمِيْنَ يَصُدُّوْنَهَا، ويَمْنَعُوْنَ الإِفْرَنْجَ مِنْ رَدْمِ الخَنْدَقِ، إِلاّ أَنَّ مُحَاوَلَةَ الإِفْرَنْجِ وَتَصْمِيْمَهُمْ عَلَى رَدْمِ الخَنْدَقِ مُسْتَمِرَّةٌ، وَقَدْ أَلْقَوْا فِيْهِ - رَغْمَ خَسَائِرِهِمْ - كَمِّيَّاتٍ لاَ بَأْسَ بِهَا مِنَ الحِجَارَةِ والتُّرَابِ.

واسْتَدْعَى الوَالي عَدَداً مِنَ الرُّمَاةِ المَهَرَةِ وَأَعْطَاهُمُ المَوَادَّ الحَارِقَةَ، فَأَشْعَلُوْهَا وَرَمَوْهَا عَلَى البُرْجِ القَرِيْبِ، لَكِنَّهُمْ فُوْجِئُوا بِخُمُوْدِ النَّارِ فَوْرَ مُلاَمَسَتِهَا لِلبُرْجِ، كَمَا سَمِعُوْا عَقِيْبَ ذَلِكَ قَهْقَهَاتِ جُنُوْدِ الإِفْرَنْجِ المَوْجُوْدِيْنَ فِي البُرْجِ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِنَّهُمْ يَسْخَرُوْنَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ، وَمِنْ نَارِهِمُ الَّتي لاَ تَحْرِقُ الْبُرْج، وَحَاوَلَ الْمُسْلِمُوْنَ مَرَّةً ثَانِيَةً وَثَالِثَةً حَتَّى نَفِدَتْ الْمَوَادُّ التِي أَحْضَرُوْهَا، وَذَهَبَتْ كُلُّها هَبَاءً دُوْنَ فَائِدَة، وَبَدَأَ جُنُوْدُ الإِفْرَنْجِ يُطِلُّوْنَ بِرُؤُوْسِهِمْ مِنَ الأَبْرَاْجِ، وَيَسْخَرُوْنَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ وَيُهَدِّدُوْنَ وَيَتَوَعَّدُوْنَ، قَلِقَ الوَالي مِنْ هَذِه الأَبْرَاْجِ، وَعَدَّهَا أَخْطرَ مُشْكِلَةٍ تُوَاْجِهُهُ فِي حَيَاْتِهِ، وَقَالَ لِلْكِيمْيَائِيِّينَ: إِنَّ نَارَكُمْ لاَ تُؤَثِّرُ فِي هَذِهِ الأَبْراجِ كَمَا تَرَوْنَ، عَلَيْكُمْ أَنْ تُعِدُّوا نَاراً أَقْوَى مِنْهَا، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا مَبْلَغُ عِلْمِنَا،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَهَذِهِ هِيَ النَّارُ اليُوْنَانِيَّةُ الّتي عَرَفْنَاهَا.

المحاولة الثانية:

انْتَشَرَ خَبَرُ الأَبْرَاجِ فِي عَكَّا، كَمَا انْتَشَرَ خَبَرُ مَنَاعَتِهَا ضِدَّ النِّيْرَانِ، فَخَافُوا وَتَوَجَّسُوا مِنْها شَرًّا، وَعَلِمَ كَذَلِكَ عَمّارٌ فَأَخْبَرَ عَمَّتَهُ بِمَا جَرَى، فَقَالَتْ لَهُ: الآنَ جَاءَ دَوْرُكَ يَا عمَّار، وَمَصِيْرُ البَلَدِ فِي خَطَرٍ، وَعَلَيْكَ أَنْ تُقَابِلَ الوَالِي وَتَعْرِضَ عَلَيْهِ مُسَاعَدَتَكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَرْجِعَ إِذَا صَدَّكَ الحُرَّاسُ، حَاوِلْ مُقَابَلَةَ الوَالِي، وَإِيَّاكَ وَالْيأْسَ.

تَشَجَّعَ عَمَّارٌ مِنْ كَلاَمِ عَمَّتِهِ، وَوَعَدَهَا بِأَنْ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يَبْذُلَ كُلَّ جُهْده لِكَيْ يُقَابِلَ الوَالِي، فَجَهَّزَ أَوْرَاقَهُ وَانْطَلَقَ نَحْوَ قَصْرِ الوَالي، وَالْتَقَى ثَانِيَةً بِالحَاجِبِ، وَطَلَبَ مِنْهُ الإِذْنَ لِمُقَابَلَةِ الوَالِي، فَقَالَ لَهُ الحَاجِبُ: أَأَنْتَ ثَانِيَةً؟ انْصَرِفْ مِنْ هُنَا، وَدَعِ الوَالِي فِي هَمِّهِ، قَالَ عَمَّارٌ: لِمَاذَا تَمْنَعُنِي مِنْ مُقَابَلَةِ الوَالِي؟ إِنَّنِي أَعْرِفُ سِرَّ النَّارِ الَّتي تحْرِقُ الأَبْرَاجَ، فَلْيُجَرِّبْنِي الوَالِي، وَبَعْدَ جِدَالٍ طَوِيلٍ قَالَ لَهُ الحَاجِبُ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ مِنَ الوَالِي وَإِنْ كُنْتُ وَاثِقاً مِنْ فَشَلِكَ يَا بُنَيّ.

دَخَلَ الحَاجِبُ القَصْرَ وَأَخْبَرَ الوَالِي خَبَرَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عَمَّارٍ وَإِصْرَارَهُ عَلَى مُقَابَلَتِهِ، فَقَالَ الوَالِي: دَعْنِي مِنَ الأَوْلاَدِ يَا هَذَا، أَمَا بَقِيَ فِي المَدِينَةِ غَيْرُ الأَوْلاَدِ نَسْتَعِينُ بِهِم؟، لَقَدْ أَخْفَقَ الرِّجَالُ الكِبَارُ فِي إِحْرَاقِ الأَبْرَاجِ، اِصْرِفْهُ أَيُّهَا الحَاجِبُ فَلاَ وَقْتَ عِنْدَنَا لِمِثْلِ هَذِهِ المَهَازِلْ، وَهَمَّ الحَاجِبُ بِالْخُرُوْجِ لِيَصْرِفَ عَمَّاراً، بَلْ وَرُبَّمَا لِيَصْفَعَهُ، لَكِنَّ أَحَدَ المُستَشارِيْن قَالَ لِلْوَالِي: عَفْواً أَيُّها الوَالِي لَوْلاَ أَنَّ عِنْدَ هَذَا الغُلاَمِ كَفَاءَةً فِي صَنْعِ النَّارِ لَمَا عَرَضَ نَفْسَهُ، إِنَّ مِنْ رَأْيِي أَنْ نَدْعُوَهُ وَنَسْمَعَ مِنْهُ، وَنُوَجِّهَ إِلَيْهِ بَعضَ الأَسْئِلَةِ، وَمِنْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَجْوِبَتِهِ يَبْدُو لَنَا عِلْمُه مِنْ جهْلِهِ.

دَاْعَبَ الوَالِي «قَرَاقُوْش» لِحْيَتَهُ ثُمَّ قَالَ: لاَ بَأْسَ، أَدْخِلِ الغُلاَمَ. أَسْرَعَ الحَاجِبُ وَأَحْضَرَ عَمّاْراً إِلَى الوَالِي، فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَى الوَالِي فَقَالَ الوَالِي: اسْمَعْ يَا غُلاَم، إِنَّ صُنْعَ النَّارِ اليُوْنَانِيَّةِ الّتي تَحْرِقُ هَذِهِ الأَبْرَاْجَ اللَّعِيْنَةَ لَيْسَتْ كَالنَّارِ الّتي تُشْعِلُهَا فِي حَارَتِكَ مَعَ الأَوْلاَدِ وَأَنْتُمْ تَلْهُوْنَ وتَلْعَبُونَ، إِنَّها نَارٌ مِنْ نَوْعٍ آخَر، أَفَهِمْتَ؟ قَالَ عَمَّاْر: إِنّنِي أَفْهَمُ مَهَمَّتي جَيِّداً، سأَصْنَعُ نَاْراً عَرَبِيَّةً تَلْتَهِمُ الأَبْرَاْجَ، وَتَسْرِي بِهَا سَرَيَاْنِ النَّارِ فِي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الهَشِيمِ، وَهُنَا ضَحِكَ الوَالِي، وَقَالَ: نَارٌ عَرَبِيَّةٌ!

أَرَأَيْتَ أَيُّهَا الحَاجِبُ، إِنَّ ظَنِّي كَانَ بِمَحَلِّهِ، إِنَّنَا

أَيُّهَا الغُلاَمُ نُرِيْدُ سِرَّ النَّارِ اليُوْنَانِيَّةِ، وَهُنَا أَجَابَ

عَمَّارٌ بِكُلِّ ثِقَةٍ: لَقَدْ جَرَّبْتُمُ النَّارَ اليُوْنَانِيَّةِ فَلَمْ

تُفْلِحُوا، وَأَنَا أَصْنَعُ أَقْوَى مِنْهَا، لَقَدْ عَلَّمَنِي

وَالِدِيْ سِرَّهَا، وَإِنَّنِي أَحْضَرْتُ قَائِمَةً بِالمَوَادِّ الَّتِي

تَتَرَكَّبُ مِنْها، وَلاَ شَكَّ أَنَّها عِنْدَ الكِيمْيَائِيِّينَ فِي

عَكَّا، فَالْمَوَادُّ عِنْدَهُمْ، وَلَكِنْ نِسَبُ تَرْكِيْبِهَا فِي

عَقْلِي، أَحْفَظُهَا كَمَا عَلَّمَنِي إِيَّاهَا وَالِدِي، وَاسْتَلَمَ

الوَالِي قَائِمَةَ المَوَادِّ مِنْ عَمَّارٍ، وَأَلْقَى عَلَيْهَا نَظْرَةً

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عَرَفَ مِنْ خِلالِهَا صِدْقَ عَمّارٍ، وَأَنَّهُ جَادٌّ وَعَارِفٌ سِرَّ النَّارِ، فَقَالَ لِلْحَاجِبِ: خُذْ هَذِهِ الوَرَقَةَ وَامْضِ مَعَ عَمَّارٍ لِمَصْنَعِ السِّلاَحِ وَأَعِدُّوا لَهُ كُلَّ طَلَبَاتِهِ بِسُرْعَةٍ.

النَّجَاحُ:

خَرَجَ عَمّارٌ مُسْرِعاً مَعَ الحَاجِبِ، وَأَتَوْهُ بِالمَوَادِّ الّتي طَلَبَها، فَرَكَّبَ مِنْها تَرْكِيبَتَيْنِ، وَضَعَ كُلَّ تَرْكِيبَةٍ فِي قِدْرٍ خَاصٍّ، وَكَتَبَ عَلَى كُلِّ قِدْرٍ مِنَ التَّرْكِيبَةِ الأُوْلَى رَقَم (١) وَعَلَى كُلِّ قِدْرٍ مِنَ التَّرْكِيبَةِ الثَّانِيَةِ رَقَمْ (٢) وَقَالَ لِلْجُنُودِ الرُّمَاةِ:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أَشْعِلُوا فَتِيْلَ القِدْرِ رَقَمْ (١) ثُمَّ أَلْقُوْهُ فَوْقَ البُرْجِ

ثُمَّ أَشْعِلُوا فَتِيْلَ القِدْرِ رَقَمْ (٢) وَارْمُوْهُ عَلَى

البُرْجِ بَعْدَ القِدْرِ الأَوَّلِ بِبِضْعِ دَقَائِقَ، وَذَلِكَ لأَنَّ

المَوَادَّ فِي القِدْرِ الأَوَّلِ مخَصَّصَةٌ لإِزَالَةِ مَفْعُوْلِ

المَوَادِّ الّتي طُلِيَتْ بِهَا الجُلُوْدُ، وَجَعَلَتْهَا غَيْرَ

قَابِلَةٍ لِلاشْتِعَالِ، أَمَّا القِدْرُ الثّانِي فَفِيْهِ نَارٌ قَوِيَّةٌ

تَحْرِقُ الأَبْرَاجَ والجُلُوْدَ مَعاً.

وَقَفَ الجُنُوْدُ عَلَى الأَسْوَارِ، وَقَذَفُوا القِدْرَ

الأَوَّلَ بَعْدَ إِشْعَالِهِ، فَسَقَطَ عَلَى البُرْجِ، فَخَرَجَ

مِنْهُ دُخَانٌ أَبْيَضُ كَثِيْفٌ، فَقَهْقَهَ الجُنُوْدُ الصَّلِيْبِيُّوْنَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كَعَادَتِهِمْ، وَقَالُوا: لَنْ تَسْتَطِيعُوا إِحْرَاقَ بُرْجِنَا مَهْمَا حَاوَلْتُمْ، وَلَسَوْفَ نُذِيقُكُمُ المَوْتَ، هَا قَدْ عَبَرْنَا الخَنْدَقَ وَسَنَصِلُ إِلى أَسْوَارِكُمْ.

خَافَ المُسْلِمُوْنَ وَظَنُّوا أَنَّ القِدْرَ الأَوَّلَ لَمْ يُؤَثِّرْ فِي بُرْجِ العَدُوِّ، فَقَالَ عَمَّارٌ: أَشْعِلُوا القِدْرَ الثَّانِي وَاقْذِفُوْهُ بِسُرْعَةٍ، فَفَعَلَ الجُنُوْدُ وَقَذَفُوا القِدْرَ الثّانِي، وَمَا إِنْ وَصَل إِلى بُرْجِ الأَعْدَاءِ حَتَّى انْفَجَرَ وَأَحْدَثَ دَوِيّاً هَائِلاً، وَخَرَجَتْ مِنْهُ نَارٌ عَظِيْمَةٌ الْتَهَمَتِ البُرْجَ بِالأَعْدَاءِ الّذين كَانُوا فِيْهِ، وَانْقَلَبَ ضَحِكُهُمْ إِلى صُرَاخٍ وَاسْتِغَاثَةٍ، لَكِنَّ النَّارَ عَاجَلَتْهُمْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جَمِيْعاً، فَسَقَطَ بَعْضُهُمْ مِنَ البُرْجِ، وَالنَّارُ مُشْتَعِلَةٌ فِي ثِيَابِهِ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُم أَحَدٌ، وَأَصْبَحَ البُرْجُ بَعْدَ مُدَّةٍ يَسِيْرَةٍ رَمَاداً بِمَنْ فِيْهِ، وَتَابَعَ جُنُوْدُ المُسْلِمِيْنَ إِلْقَاءَ القُدُوْرِ عَلَى البُرْجَيْنِ الآخَرَيْنِ، فَدَمَّرُوْهُمَا أَيْضاً، فَكَبَّرَ المُسْلِمُوْنَ مِنْ فَوْقِ الأَسْوَارِ فَرَحاً بِخَلاَصِهِمْ مِنْ هَذَا الخَطَرِ المُخِيْفِ، وَوَلَّى الأَعْدَاءُ الأَدْبَارَ، وَفَكُّوا الحِصَارَ عَنْ عَكَّا مُؤَقَّتاً، لِيُدَبِّرُوا خُطَّةً أُخْرَى، وَمَكِيْدَةً عُظْمَى.

عَمَّارٌ يَعُوْدُ إِلى دِمشْقَ:

سُرَّ الوَالِي مِنْ عَمَّارٍ، وَشَكَرَهُ عَلَى عَمَلِهِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البُطُوْلِي، وَعَلَى عِلْمِهِ واخْتِرَاْعِهِ، وَطَلَبَ مِنْهُ إِعْطَاءَهُ سِرَّ هَذِهِ النَّارِ، فَكَتَبَهَا لَهُ، ثُمَّ قَدَّمَ الوَاْلِي لِعَمَّارٍ كِيْساً مِنَ الدَّنَانِيْرِ هَدِيَّةً لَهُ، وَتَقْدِيْراً لِجُهُوْدِهِ، لَكِنَّ عَمّاراً رَفَضَ أَخْذَهُ، وَقَاْلَ: أَيُّهَا الوَاْلِي إِنَّنِي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ المَاْلِ، وَإِنَّمَا فَعَلْتُهُ لِدَفْعِ هَؤُلاَءِ الأَعْدَاْءِ الَّذِيْنَ يُحَارِبُوْنَ المُسْلِمِيْنَ، وَيَوَدُّوْنَ القَضَاْءَ عَلَى دِيْنِنَا، وأرجو مِنَ اللَّهِ تعالى أَن يُثِيْبَنِي عَلى ما قَدَّمْتُ، لَكِنْ لِي طَلَبٌ عِنْدَكُم.

قَاْلَ الوَاْلِي: اطْلُبْ مَا تُرِيْدُ يَا عَمَّاْرُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَسَأُلَبِّي طَلَبَكَ مَهْمَا كَانَ.

قَالَ عَمَّارٌ: كُنْتُ وَعَدْتُ وَالِدِي أَنْ أَلْحَقَ بِهِ إِلى دِمَشْقَ، وَقَدْ حَالَ بيني وبينَ السَّفَرِ مَا نَزَلَ بِنَا مِنَ الأَعْدَاءِ، والآن، وقَدْ رَدَّ اللَّهُ العَدُوَّ عَنْ البَلَدِ الحَبِيْبِ، فَأَرْجُوْ أَنْ تُيَسِّرَ لي سَبِيْلَ السَّفَرِ إِلى دِمَشْقَ.

قَالَ الوَالِي: لاَ بَأْسَ، إِنِّنِي سَأُرسِلُ وَفْداً إِلى السُّلْطَانِ صَلاَحِ الدِّيْن، لأُبَلِّغَهُ خَبَرَ الأَبْرَاجِ وَقَضَائِنَا عَلَيْهَا، وَسَتُرَافِقُ الوَفْدَ إِلى السُّلطَانِ، ثُمَّ يَتَوَلَّى السُّلْطَانُ تَوْصِيْلَك إِلى دِمَشْقَ، سُرَّ عَمَّارٌ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مِنْ هَذَا الخَبَرِ، ثُمَّ تَجَهَّزَ لِلسَّفَرِ، وَوَدَّعَ عَمَّتَهُ وَانْطَلَقَ مَعَ الوَفْدِ إِلى السُّلْطَانِ صَلاَحِ الدِّيْنِ، وَلَمَّا وَصَلَ اسْتَقْبَلَهُ السُّلْطَانُ أَحْسَنَ اسْتِقْبَالٍ، وَشَكَرَهُ عَلَى بَرَاْعَتِهِ وَعَبْقَرِيَّتِهِ، ثُمَّ قَدَّمَ لَهُ حِصَاناً أَصِيلاً، وَسَيْفاً صَقِيلاً، وَقَالَ لَهُ: هَذَانِ لِلَعَبْقَرِيِّ الشُّجَاعِ، ثُمَّ أَوْصَى بِهِ مَنْ يُوْصِلُهُ إِلى دِمَشْقَ. فَوَدَّعَهُ عَمّارٌ، وَانْصَرَفَ إِلى وَالِدِهِ فَرِحاً مَسْرُوْراً.

❁ ❁ ❁

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أمّ الشهداء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قصص إسلامية للأطفال

أم الشهداء

تأليف

محمد منير الجنباز

مكتبة التوبة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ح مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الجنباز، محمد منير
أم الشهداء.- الرياض
٢٨ص، ١٧×٢٤سم.- (سلسلة قصص إسلامية للأطفال)
ردمك: ١ - ٥٢ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠
١ - القصص الإسلامية ٢ - قصص الأطفال أ - العنوان
ب - السلسلة
ديوي ٨١٣،٠٨٨ ٢٠/٣٨٢٣

رقم الإيداع: ٢٠/٣٨٢٣
ردمك: ١ - ٥٢ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

جميع حقوق الطبع محفوظة

طبعة جديدة منقحة
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

مكتبة التوبة
الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير
هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلاَ تَعْرِفُهَا عَزِيْزي الطِفْل، إِنَّهَا الشَّاعِرَةُ الخَنْسَاءُ، تُمَاضِرُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، سَيِّدَةُ نِسَاءِ قَوْمِهَا بَنِي سُلَيْمٍ.

لَقَدْ عَاشَتْ فَتْرَةً مِنْ حَيَاتِهَا في الجَاهِلِيَّةِ، وَتَخَلَّقَتْ بِأَخْلاَقِ قَوْمِهَا، تُشَارِكُهُمْ عَادَاتِهِمْ بِكُلِّ مَا فِيْهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ الإِسْلاَمَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَلاَ سَمِعَتْ بِهِ، كُلُّ هَمِّهَا أَنْ تَقُوْلَ الشِّعْرَ وَأَنْ تَحْفَظَ قِصَصَ العَرَبِ وَرِوَايَاتِهِمْ، وأَنْ تُبَاهِيَ الشُّعَرَاءَ بِشِعْرِهَا، وَأَنْ تُشَارِكَ قَوْمَهَا في صِرَاعِهِمْ مَعَ أَعْدَائِهِمْ، فَتَحُثُّهُمْ عَلَى الحَرْبِ وَالقِتَالِ، لَقَدِ اشْتَعَلَتِ الحَرْبُ بَيْنَ قَوْمِهَا وَأَعْدَائِهِمْ، وَتَبَادَلُوا شَنَّ الغَارَاتِ، فَكَانَتْ تُزْكي بِشِعْرِهَا نَارَ الحَرْبِ وَتَدْفَعُ قَوْمَهَا لِلثَّأْرِ وَالقِتَالِ، وَلَمَّا قُتِلَ أَخُوْهَا صَخْرٌ في الحَرْبِ بَكَتْهُ كَثِيْراً، وَحَزِنَتْ عَلَيْهِ طَوِيْلاً، وَلَبِسَتِ السَّوَادَ وثِيَابَ الصُّوْفِ الخَشِنَةِ حِدَاداً عَلَى مَوْتِهِ، وَكَانَتْ تَجْمَعُ النِّسَاءَ وَتَقْرَأَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَلَيْهِنَّ شِعْرَهَا في رِثَائِهِ، فَيَبْكِيْنَ وَتُبْكِي مَعَهُنَّ، وَيُمَزِّقْنَ ثِيَابَهُنَّ، وَيَنْتَزِعْنَ شُعُورَهُنَّ، دَليلاً على عُمْقِ الحُزْنِ والأَسَى، وَتَفْعَلُ هِيَ مِثْلَهُنَّ، وَكَانَتْ تَخْرُجُ إِلى البَرَارِي وَالجِبَالِ، فَتَذْكُرُهُ وَتَبْكِيْهِ وَتَتَغَنَّى بِمَجْدِهِ وَعِزِّهِ، وَتَذْكُرُ شَبَابَهُ وَقُوَّتَهُ، وَتَصِفُهُ بِمُخْتَلَفِ أَوْصَافِ البُطُوْلَةِ وَالفِدَاءِ، حَتَّى صَوَّرَتْهُ بَطَلاً قَوِيًّا شَدِيْداً يَقْهَرُ كُلَّ الأَبْطَالِ، وَيُزَلْزِلُ الجِبَالَ وَيَفْتِكُ بِالوُحُوْشِ، وَيَصْنَعُ أَقْوَى المُعْجِزَاتِ، كَانَتْ هَذِهِ هِيَ حَالُ الشَّاعِرَةِ الخَنْسَاءِ أَيَّامَ الجَاهِلِيَّةِ، انْطَبَعَتْ أَخْلاَقُهَا بِتِلْكَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفَتْرَةِ فَتَأَثَّرَتْ بِهَا، وَسَارَتْ عَلَى خَطِّهَا، عَرَفَتِ الشَّأْرَ وَالحُرُوْبَ وَالقِتَالَ، وَعَرَفَتِ الخُرَافَاتِ الجَاهِلِيَّةِ مِنْ تَقْدِيسِ الأَوْثَانِ وَالأَشْخَاصِ، وَعَرَفَتْ أَيْضاً بَعْضَ الصِفَاتِ الحَمِيْدَةِ التي كَانَتْ لاَ تَخْلُو مِنْهَا تِلْكَ الأَيَّامُ، مِثْلَ: إِكْرَامِ الضَّيْفِ، وَإِغَاثَةِ المَلْهُوفِ، وَالوَفَاءِ وَعَدَمِ الغَدْرِ.

الإِسْلاَمُ يُغَيِّرُ أَخْلاَقَ الخَنْسَاءِ:

وَانْتَشَرَ الإِسْلاَمُ بَيْنَ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ، وَدَخَلَ النَّاسُ في دِيْنِ اللَّهِ أَفْوَاجاً، فَغَيَّرَ الإِسْلاَمُ مِنْ أَخْلاَقِ النَّاسِ، وَجَعَلَهُم يَنْبُذُونَ الأَخْلاَقَ الجَاهِلِيَّةَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَيَتَحَلَّوْنَ بِالأَخْلاَقِ الحَسَنَةِ الفَاضِلَةِ، فَارْتَقَتْ بِهِ النُّفُوسُ، وَرَقَّتِ الطِّبَاعُ وَالقُلُوْبُ، وَأَضحَى النَّاسُ الذِيْنَ دَخَلُوا في الإِسْلاَمِ لاَ يُفَكِّرُونَ إِلا بِاتِّبَاعِ أَحْكَامِهِ وَتَعَالِيْمِهِ السَّمْحَةِ، الّتي تَدْعُو إِلى الأُخُوَّةِ وَإِلى العَمَلِ لِصَالِحِ الإِسْلاَمِ، وَلِمَنْفَعَةِ المُسْلِمِينَ جَمِيْعاً، فَالْفَرْدُ المُسْلِمُ لَمْ يَعُدْ يُفَكِّرُ في نَفْسِهِ فَقَطْ، وَإِنَّما يُفَكِّرُ لأَجْلِ المُسْلِمِيْنَ وَعُلُوِّهِمْ وَرِفْعَتِهِمْ، وَهَكَذَا تَغَيَّرَت حَالُ الخَنْسَاءِ بَعْدَ أَنْ دَخَلَتْ في الإِسْلاَمِ، فَأَصْبَحَتْ تَعْمَلُ لأَجْلِ المُسْلِمِيْنَ، وَتَغَيَّرَتْ نَظْرَتُهَا لِلْكَوْنِ وَالحَيَاةِ، فَبَعْدَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أَنْ كَانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّ المَوْتَ هُوَ نِهَايَةُ الإِنْسَانِ ـ وَهَذَا مُعْتَقَدُ بَعْضِ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ ـ أَصْبَحَتْ تَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَيَبْعَثُ النَّاسَ جَمِيْعاً فِي يَوْمِ الحِسَابِ، وَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً فَدَارُ أَهْلِ الخَيْرِ دَارُهُمْ، وَمُقَامُهُمْ فِي جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَداً، وَإِنْ كَانَ شَرّاً، فَدَارُ أَهْلِ الشَّرِ دَارُهُمْ، وَمُقَامُهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيْهَا أَبَداً، لِذَلِكَ لَمْ تَعُدْ تَبْكِي الأَمْوَاتَ كَمَا فَعَلَتْ عَلَى أَخِيْهَا، لأَنَّ الإِسْلاَمَ مَنَعَ النُّوَاحَ عَلَى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأَمْوَاتِ، وَمَنَعَ تَمْزِيْقَ الثِّيَابِ وَتَخْمِيْشَ الوَجْهِ حُزْناً عَلَى المَيِّتِ، بَلْ أَمَر بِالصَّبْرِ والدُّعَاءِ بِالخَيْرِ لأُولَئِكَ الأَمْوَاتِ.

لَقَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ الخَنْسَاءِ لِلإِسْلاَمِ فَآمَنَتْ عَنْ صِدْقٍ وَيَقِيْنٍ بِاللَّهِ رَبّاً، وَبِالإِسْلاَمِ دِيْناً، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيّاً، مُبَلِّغاً رِسَالَةَ اللَّهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ، لِيَهْدِيَهُمْ إِلى طَرِيْقِ الخَيْرِ حَتّى يَسْلُكُوْهُ، وَيُحَذِّرَهُمْ مِنْ طَرِيْقِ الشَّرِّ لكي يَجْتَنِبُوْهُ، فَهَذِهِ رِسَالَةُ الإِسْلاَمِ؛ طَاعَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخَنْسَاءُ تَعْمَلُ لِلإِسْلاَمِ:

ولِذَكَاءِ الخَنْساءِ النَّادِرِ وَفَهْمِهَا الصَّحِيْحِ لِلإِسْلاَمِ وَتَعَالِيْمِهِ، فَقَدْ نَذَرَتْ نَفْسَهَا لِلْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ دِيْنِهَا الجَدِيْدِ، الّذي وَجَدَتْ فِيهِ السَّعَادَةَ التي تَمْلأُ قَلْبَهَا، والرِّضَا الّذي يُثْلِجُ صَدْرَهَا، وَهُدُوْءَ النَّفْسِ وَالسَّكِيْنَةَ الّتي تُرِيْحُ وُجْدَانَهَا، فَلَمْ تَعُدْ تَهُزُّهَا المَصَائِبُ والخُطُوْبُ، لأَنَّهَا أَصْبَحَتْ تَعْتَقِدُ - بَعْدَ إِسْلاَمِهَا - بِأَنَّ كُلَّ شَيءٍ يَحْدُثُ في هَذَا الكَوْنِ مُقَدَّرٌ مِنَ اللَّهِ، وَكُلَّ أَمْرٍ يَحْدُثُ في هَذَا الكَوْنِ هُوَ بِمَشِيْئَةِ اللَّهِ وَأَمْرِه، فَلاَ يُصَابُ إِنْسَانٌ بِنَفْعٍ أَوْ ضَرَرٍ إلاّ بِتَقْدِيْرِ اللَّهِ، لَقَدْ قَرَأَتِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القُرآنَ الكَرِيْمَ، فَدَخَلَتْ مَعَانِيْهِ في أَعْمَاقِ نَفْسِهَا وَعَرَفَتْ، بِمَا أُوْتِيَتْ مِنْ فَصَاحَةٍ وَذَكَاءٍ، أَنَّهُ كَلاَمُ اللَّهِ خَالِقِ هَذَا الكَوْنِ، وَأَنَّ البَشَرَ مَهْمَا اجْتَهَدُوا لا يَسْتَطِيْعُونَ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ أَبَداً، وَسَمِعَتْ حَدِيْثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَتْ فِيْهِ الصِّدْقَ الوَاضِحَ الجَلِيَّ، وَالدَّعْوَةَ الخَالِصَةَ إلى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، لَقَدْ وَقَرَ في قَلْبِهَا مَعْنَى الإِيْمَانِ، وَمَعْنَى التَّسْلِيْمِ لأَمْرِ اللَّهِ، مِنْ حَدِيْثِ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ لابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَهُوَ يَوْمَذَاكَ طِفْلٌ صَغِيْرٌ لَمْ يَتَجَاوَزْ مِنَ العُمُرِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَشْرَ سِنِيْنَ - عِنْدَمَا قَالَ لَهُ الرَّسُوْلُ ﷺ: «يَا بُنَيَّ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَد كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَد كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» لِذَلِكَ اطْمَأَنَّتْ لِكُلِّ حَدَثٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِأَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، فَلَمْ تُبَالِ بَعْدَهَا بِالمَوْتِ، وَتَذَكَّرَتْ مَا كَانَ مِنْهَا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يَوْمَ مَاتَ أَخُوْهَا صَخْرٌ عِنْدَمَا مَزَّقَتْ ثِيابَهَا، وَعَاشَتْ لأَجْلِ ذَلِكَ حَزِيْنَةً عِدَّةَ سِنِيْن، فَعَاهَدَتْ رَبَّهَا بَعْدَ أَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهَا لِلإِسْلَامِ، أَنْ تُرْسِلَ أَبْنَاءَها الأَرْبَعَةَ إلى سَاحَةِ الجِهَادِ، لِيُقَاتِلوا في سَبِيْلِ اللَّهِ، وَيُدَافِعُوا عَنْ الإِسْلَامِ وَعَنْ دِيَارِ الإِسْلامِ، وَلِكَيْ يَنْشُروا دِيْنَ الإِسْلَامِ، وَيَقضُوا عَلَى الشِّرْكِ والضَّلَالِ، فَإِمَّا أَنْ يَنْتَصِرُوا عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَإِمَّا أَنْ يُستَشْهِدُوا في سَبِيْلِ اللَّهِ، وَحَثَّتْ أَبْنَاءَهَا عَلَى اللَّحَاقِ بِجَيْشِ المُسْلِمِيْنَ بِقِيَادَةِ سَعْدِ بْنِ أَبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تَوَجَّهَ إلى العِرَاقِ لِقِتَالِ الفُرْسِ، وَالقَضَاءِ عَلَى المَجُوسِيَّةِ الّتي عَبَدَتِ النَّارَ، وَاقْتَرَفَتْ كُلَّ المُحَرَّمَاتِ، فَسَارَعَ أَبْنَاءُ الخَنْسَاءِ وَانْضَمُّوا إلى هَذَا الجَيْشِ الإِسْلَامِيّ الزّاحِفِ، وَكَانَتْ مَعَهُمُ الخَنْسَاءُ تُرَافِقُهُمْ، وَتَحُثُّهُم عَلَى الصَّبْرِ في الجِهَادِ، وَعَلى الإِقْدَامِ وَعَدَمِ الفِرَارِ، وَتُذَكِّرُهُمْ بِأَجْرِ الصَّابِرِيْنَ عِنْدَ اللَّهِ، وَتَقْرَأُ عَلَيْهِمْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

وَتُذَكِّرُهُمْ بِأَجْرِ الشُّهَدَاءِ في الآخِرَة وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لَهُم مِن الثَّوَابِ الكَرِيْم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ وَتَقْرَأُ عَلَيْهِمْ حَدِيْثَ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ: «يُحْشَرُ الشَّهِيْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَنْزِفُ، اللَّونُ لَوْنُ دَمٍ وَالرِّيْحُ رِيْحُ مِسْكٍ» وَقَالَتْ لَهُم أَيْضاً: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيْدِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ...».

وَهَكَذَا رَغَّبْتَهُمْ في الإِقْدَامِ ونَيْلِ الشَّهَادَةِ، كَما حَذَّرْتَهُمْ مِنَ الفِرَارِ وَعَاقِبَتِهِ المَهِيْنَةِ، وَقَرَأْتَ عَلَيْهِمْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾.

وَشَحَنَتِ الخَنْسَاءُ أَبْنَاءَهَا شِحْنَاتٍ إِيْمَانِيَّةً قَوِيَّةً، جَعَلَتْهُمْ يَتَشَوَّقُوْنَ لِلْمَعْرَكَةِ اشْتِيَاقَ العِطَاشِ لِلمَاءِ البَارِدِ في صَيْفٍ حَار، لَقَدْ أَرْضَعَتْهُمْ في طُفُوْلَتِهِمُ الحَلِيْبَ الحَانِيَ المِدْرَارَ، وَهَا هِي اليَوْمَ تُرْضِعُهُمْ مِنَ العَقِيْدَةِ الإِسْلامِيّةِ الصَّافِيَةِ، فإذا كَانَ الحَلِيْبُ غِذَاءَ البَدَنِ، فَإِنَّ العَقِيْدَةَ الإِسْلاَمِيَّةَ هِيَ غِذَاءُ الرّوْحِ وَالفِكْر، وَكَانَ أَوْلادُ الخَنْسَاءِ مُطِيْعِيْنَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لِوَالِدَتِهِمْ في طُفُولَتِهِمْ وفي شَبَابِهِمْ، فَلَمْ يُخَيِّبُوا أَمَلَهَا، وَلَبِسُوا لِبَاسَ الحَرْبِ وَتَوَجَّهُوا لِلْجِهَادِ.

مَعرَكَةُ القَادِسِيَّةِ:

وَوَصَلَ القَائِدُ سَعْدُ بْنُ أَبي وَقّاصٍ بِجَيْشِهِ إلى القَادِسِيَّةِ، وَهِي قَرْيَةٌ صَغِيْرَةٌ في العِرَاقِ، فَرَتَّبَ جُنْدَهُ، وَاسْتَعَدَّ لِمُلاقَاةِ جَيْشِ الفُرْسِ، وَدَارَتْ فِيْهَا مَعْرَكَةٌ كَبِيْرَةٌ بَيْنَ جُنُوْدِ المُسْلِمِيْنَ وَجُنُوْدِ الفُرْسِ، وَاسْتَمَرّتِ المَعْرَكَةُ عِدَّةَ أَيَّامٍ، وَاشْتَدَّ القِتَالُ، وَكَثُرَ عَدَدُ القَتْلَى وَالجَرْحَى مِنَ الطَّرَفَيْنِ، وَاسْتَخْدَمَ الفُرْسُ في قِتَالِهِمْ عَدَداً كَبِيْراً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مِنَ الفِيَلَةِ الّتي كَانَتْ تَخْتَرِقُ الصُّفُوْفَ، وَتَدُوسُ المُسْلِمِيْنَ بِأَخْفَافِهَا الثّقِيْلَةِ، وَعَلَى ظَهْرِهَا تَحْمِلُ المُقَاتِلِيْنَ مِنَ الفُرْسِ الّذيْنَ يَرْمُوْنَ المُسْلِمِيْنَ بِالسِّهَامِ والرِّمَاحِ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةً شَاقَّةً عَلَى المُسْلِمِيْنَ، إلاَّ أَنَّهُمْ لَمْ يَفِرُّوا، بَلْ صَمَدُوا يَصُدُّونَ الفِيَلَةَ وَجَيْشَ الفُرْسِ بِأَرْوَاحِهِمْ وَأَجْسَامِهِمْ، وَفَكَّرَ المُسْلِمُوْنَ في حِيَلٍ كَثِيْرَةٍ لِلتَّخَلُّصِ مِنَ الفِيَلَةِ الّتي لاَ تُؤَثِّر فِيهَا السِّهَامُ لِسَمَاكَةِ جُلُودِهَا، كَما أَنَّ السُّيُوْفَ لاَ تَصِلُ إِلَيْهَا، فَالّذي يَقْتَرِبُ مِنْهَا وَبِيَدِهِ السَّيْفُ تَضْرِبُهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بِخُرْطُومِهَا الطَّوِيْلِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا، ثُمَّ تَدُوْسُهُ بِأَقْدَامِهَا حَتّى يَمُوْتَ، وَهَكَذَا فَقَدْ سَقَطَ عَدَدٌ كَبِيْرٌ مِنَ الشُّهَدَاءِ الَّذِيْنَ حَاوَلُوا قَتْلَ الفِيَلَةِ فَلَمْ يُفْلِحُوا، وَاحْتَالَ المُسْلِمُوْنَ في اليَوم التَّالي فَأَلْبَسُوا الجِمَالَ الأَثْوَابَ، وَوَضَعُوا عَلَى رُؤُوسِهَا البَرَاقِعَ وَالأَقْنِعَةَ، فَبَدَتْ مُخِيْفَةً بِمَظْهَرِهَا، مُرْعِبَةً بِجَرْيِهَا وَقَفْزِهَا، فَخَافَتْهَا الفِيَلَةُ وَتَوَقَّفَتْ عَنِ الهُجُوْمِ، وَهُنَا اقْتَرَبَ حَامِلُو الرِّمَاحِ الطَّوِيْلَةِ مِنْهَا وَسَدَّدُوا رِمَاحَهُمْ نَحْوَ عُيُونِهَا، فَفُقِئَتْ تِلْكَ العُيُوْنُ، وَهَاجَتْ الفِيَلَةُ وَمَاجَتْ، ثُمَّ ارْتَدَّتْ إِلى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوَرَاءِ، وَهِيَ لاَ تَدْرِي في أَيِّ اتّجَاهٍ تَسِيْرُ، فَانْطَلَقَتْ تَدُوسُ الجَيْشَ الفَارِسِيَّ الّذي كَانَ يَسِيْرُ خَلْفَهَا، فَقَتَلَتْ مِنْهُ خَلْقاً كَثِيْراً، ثُمَّ انْطَلَقَتِ الفِيَلَةُ في رَكْضِهَا حَتّى وَصَلَتْ إِلى نَهْرِ الفُرَاتِ، فَسَقَطَتْ فِيْهِ، وَغَرِقَتْ بِمَنْ كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنَ الجُنُودِ الفُرْسِ، ورَأَى المُسْلِمُوْنَ الكَارِثَةَ الّتي حَلَّتْ بِأَعْدَائِهِمْ، فَاسْتَغَلُّوا هَذَا الخَلَلَ الّذي حَصَل في صُفُوفِ أَعْدَائِهِمْ، وَأَطْبَقُوا عَلَيْهِمْ من كلِّ مَكَانٍ، وَدَارَتْ رَحَى مَعْرَكَةٍ عَنِيْفَةٍ تَوَاصَلَ فِيْهَا اللّيْلُ بِالنَّهَارِ، وَالقِتَالُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مُسْتَمِرٌّ، فَلا يُسْمَعُ إِلاّ صَهِيْلُ الخَيْلِ، وَأَصْوَاتُ السِّلاَحِ، وَتَكْبِيْرُ المُسْلِمِيْنَ لِلصُّمُودِ، ثُمَّ أَسْفَرَ النَّهَارُ، وَهَرَبَ الفُرْس في كُلِّ اتِّجَاهٍ يَطْلُبُوْنَ النَّجَاةَ بِأَرْوَاحِهِمْ، وَقَدْ قُتِلَ قَادَتُهُمْ، وَقُتِلَ الآلاَفُ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّفَ القِتَالُ، وَفَرِحَ المُسْلِمُوْنَ بِنَصْرِ اللَّهِ، ثُمَّ أَخَذُوا يُفَتِّشُونَ عَنْ قَتْلَى المُسْلِمِيْنَ لِدَفْنِهِمْ، وَعَنِ الجَرْحَى لِتَضْمِيدِ جِرَاحِهِمْ، وَلَمَّا جَمَعُوا الشُّهَدَاءَ مِنْ سَاحَةِ المَعْرَكَةِ، إِذَا بِهِمْ يَجِدُونَ أَبْنَاءَ الخَنْسَاءِ الأَرْبَعَةِ بَيْنَ الشُّهَدَاءِ، فَهَالَهُمْ أَنْ يُخْبِرُوا أُمَّهُمْ بِهَذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخَبَر المُؤْلِم. وَرَقَّ القَائِدُ لِحَالِ الخَنْسَاءِ وَخَشِيَ أَنْ يُصِيْبَهَا مِنَ الحُزْنِ وَالبُكَاءِ مَا أَصَابَهَا يَوْمَ فَقَدَتْ أَخَاهَا، لِذَلِكَ تَرَدَّدَ في إِبْلاَغِهَا هَذَا النَّبَأَ، ثُمَّ أَرْسَلَ وَفْداً إِلى الخَنْسَاءِ لِيُبَلِّغُوْهَا الخَبَرَ، وَيُعزُّوْهَا بِوَفَاةِ أَبْنَائِهَا، وَانْطَلَقَ الوَفْدُ نَحْو الخَنْسَاءِ، فَلَمَّا شَاهَدَتْهُمْ أَسْرَعَتْ نَحْوَهُم لأَنَّهَا كَانَتْ كُلَّ يَوْمٍ تَخْرُجُ لِتَسْمَعَ أَخْبَارَ جَيْشِ المُسْلِمِيْنَ، فَأَوْقَفَتْهُم، وَسَأَلَتْهُم عَنْ أَخْبَارِ المُسْلِمِيْنَ، قَالُوا: أَبْنَاؤُكِ يَا خَنْسَاءُ، فَقَاطَعَتْهُم قَبْلَ أَنْ يُكْمِلُوا حَدِيْثَهُم، قَائِلَةً لَهُمْ: لَمْ أَسْأَلْكُم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَنْ أَبْنَائِي بَعْدُ، وَإِنَّمَا أَسْأَلُكُمْ عَنْ أَخْبَارِ المَعَارِكَ.

قَالُوا لَقَدِ انْتَصَرْنَا عَلَى الأَعْدَاءِ نَصْراً مُؤَزَّراً، وَهَزَمْنَاهُمْ شَرّ هَزِيْمَةٍ، قَالَتِ: الحَمْدُ لِلّهِ، هَذَا فَضْلٌ مِنَ اللّهِ، ثُمَّ قَالَتْ: وَهَلْ قَاتَلَ أَبْنَائِي قِتَالاً مُشَرِّفاً أَمْ أَنَّهُمْ جَبُنُوا وَخَافُوا؟

قَالُوا: لاَ أَيَّتُهَا الخَنْسَاءُ، إِنَّ أَبْنَاءَكِ هُمْ مِنْ خِيْرَةِ المُقَاتِلِيْن، لَقَدْ صَمَدُوا بِقُوَّةٍ أَمَامَ الأَعْدَاءِ وَلَقَدْ كَانَ صِيَاحُهُمْ يَعْلُو بِالتَّكْبِيْرِ وَالتَّهْلِيْلِ، وَحَثِّ الجُنُودِ عَلَى الإِقْدَامِ وَعَدَمِ الفِرارِ، وَإِنَّا لَنَفْخَرُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بِهِمْ وَبِأُمِّهِمْ الّتي أَنْجَبَتْهُمْ وَرَبّتْهُمْ عَلَى حُبِّ اللَّهِ وَالتَّضْحِيَةِ في سَبِيْلِهِ، لَقَد نَالُوا جَميعاً شَرَفَ الشَّهَادَةِ في سبِيلِ اللَّهِ..

عِنْدَهَا قَالتِ الخَنْسَاءُ قَوْلَتَهَا المَشْهُورَةَ: «الحَمْدُ لِلّهِ الّذي شَرَّفَنِي بِجِهَادِهِمْ وَاسْتِشْهَادِهِم، وَأَرْجُو مِنَ اللَّهِ تَعَالى أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِمْ في فَسِيْح جَنَّاتِهِ، لِنَنْعَمَ بِرِضْوَانِهِ وَرَحَمَاتِهِ»، وَلَمْ تَبْكِ، وَلَمْ تَلْبَسِ السّوَادَ، وَلَمْ تَشُدَّ الشَّعْرَ أَوْ تَخْمِشِ الوَجْهَ، لَقَدْ قَالَتْ هَذِهِ الكَلِمَاتِ، وَهِي رَاضِيَةٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ، فَخُورَةٌ بِمَا قَدَّمَ أَوْلاَدُهَا في سَبِيْلِ اللَّهِ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هَـذِهِ هِـي الـخَـنْـسَـاءُ، مَـثَـلٌ حَـيٌّ لِـكُـلِّ أُمٍّ مُسْلِمَةٍ، وَقُدْوَةٌ صَالِحَةٌ لِنِسَاءِ أُمَّتِنَا، رَبَّتْ أَبْنَاءَهَا تَرْبِيَةً إِسْلَامِيَّةً صَادِقَةً، ثُمَّ وَهَبَتْهُمْ لِلأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ لِيُقَاتِلُوا وَيَذُوْدُوا عَنْهَا، فَاخْتَارَهُمُ اللَّهُ إِلى جِوَارِهِ شُهَدَاءَ يَنْعُمُوْنَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ، وَيَرْتَعُوْنَ هَانِئِيْنَ في جِنانِهِ، إِنَّهُ وَعْدُ اللَّهِ الحَقُّ لِلْمُجَاهِدِيْنَ في سَبِيْلِهِ، وَلَوْ لَمْ يُدَافِعْ مِثْلُ هَؤُلاءِ الشُّهَدَاءِ عَنْ دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ، لَمَا كَانَ لِلْمُسْلِمِيْنَ عَزٌّ وَمَجدٌ، وَلَضَاعَتْ دِيَارُهُمْ، وَسَيْطَرَ عَلَيْهَا أَعْدَاؤُهُمْ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رَحِمَ اللَّهُ الخَنْسَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ أَبْنَاءَهَا الشُّهَدَاءَ، لَقَدْ كَانُوا خَيْرَ مَثَلٍ لِلتَّضْحِيَةِ وَالفِدَاءِ، وَكَانَتْ أُمُّهُمْ خَيْرَ مُرَبِّيَةٍ لِهَؤُلاءِ الأَبْطَالِ، لِذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحَقَّتْ مِنَ المُسْلِمِيْنَ لَقَبَ (أُمُّ الشُّهَدَاءِ).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قصص إسلامية للأطفال

ثلاثة في الامتحان

تأليف
محمد منير الخضباء

مكتبة التوبة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ⓒ مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجنباز، محمد منير

ثلاثة في الامتحان.- الرياض

٣٦ص، ١٧×٢٤سم.- (سلسلة قصص إسلامية للأطفال)

ردمك: ٥ - ٥٠ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

١ - القصص الإسلامية ٢ - قصص الأطفال أ - العنوان

ب - السلسلة

ديوي ٨١٣،٠٨٨ ٢٠/٣٨٢١

رقم الإيداع: ٢٠/٣٨٢١

ردمك: ٥ - ٥٠ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

جميع حقوق الطبع محفوظة

طبعة جديدة منقحة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

التوبة

الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير

هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء:

اجتَمَعَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ من ذَوِي الْعَاهَاتِ تَحْتَ شَجَرَةِ تُوتٍ كَبِيْرَةٍ، الأَوَّلُ أَقْرَعُ واسْمُه أنِيْسٌ، والْثَّاني أَبْرَصُ واسْمُه بَدْرٌ، والثَّالِثَ أعْمَىٰ واسْمُه سَعِيْدٌ..

وَكَانَ وَقْتُ الاجْتِمَاعِ عَادَةً بَعْدَ الْعَصْرِ، يَجْتَمعُ فِيهِ هَؤُلاءِ الثَّلاثَةُ، وَيَتَبَاحَثُونَ في أُمُورِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدُّنْيَا، وَيَتَبَادَلُونَ الْحَدِيثَ حَوْلَ مَا يَجْرِي مِنْ أَحْدَاثٍ تَشْغَلُ بَالَ النَّاسِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُونَ إِلَى الْحَدِيثِ عَنْ مُشْكِلاَتِهِمُ الخَاصَّةِ، فَيَقُصُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى زَمِيلَيْهِ مَا حَصَلَ لَهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ أُمُورٍ وَنُكَاتٍ وَمُفَاجَآتٍ، مِنْهَا الجَادُّ وَمِنْهَا المُضْحِكُ، وَكَانُوا يُقَهْقِهُونَ مَعَ سَمَاعِ كُلِّ نُكْتَةٍ تُطْلَقُ، أَوْ مُفَاجَأَةٍ تُثَارُ، فَيَرْتَفِعُ صِيَاحُهُمْ وَتَعْلُو ضَحِكَاتُهُمْ.

هَكَذَا كَانَتْ تَمُرُّ عَلَيْهِمْ تِلْكَ السُّوَيْعَاتُ الَّتِي كَانُوا يَلْتَقُونَ فِيهَا تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، ثُمَّ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يَتَفَرَّقُونَ بَعْدَ هَذَا اللِّقَاءُ لِيُجَدِّدُوهُ في يومٍ تَالٍ.

وفي ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أوائِلِ أَيّامِ فَصْلِ الصَّيْف، وفي أَثْنَاءِ نُضْجِ التُّوتِ، الْتَقَىٰ الجَمِيعُ كَعَادَتِهِمْ وَتَبَادَلُوا الأَحَادِيثَ المُسَلِّيَةَ والضَحِكَاتِ الصَّاخِبَةَ، وَبَدَا كُلٌّ مِنَ الأَقْرَعِ وَالأَبْرَصِ فِي غَايَةِ مِنَ السُّرورِ والانْشِرَاحِ، فَقَدْ كَانَا يَأْكُلاَنِ مِنْ حَبَّاتِ التُّوتِ المُتَسَاقِطَةِ قُرْبَهُمَا بَيْنَ حِيْنٍ وَآخَرَ، وَهُمَا يَضْحَكانِ، وَالأَعْمَىٰ الْمِسْكِيْنُ يَضْحَكُ مَعَهُمَا دُوْنَ أَنْ يَدْرِيَ سَبَباً لِلْضَّحِكِ أَحْيَاناً، بَلْ كَانَ يُجَامِلُ صَدِيْقَيْهِ وَيَضْحَكُ مِثْلَهُمَا، وَصَدِيْقَاهُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يَزِيْدَانِ في الضَّحِكِ مِنْ هَذَا المَوْقِفِ، إنَّهُمَا يَأْكُلاَنِ وَالأَعْمَىٰ لاَ يَأْكُلُ، لأَنَّهُ لا يَرَىٰ ما حَوْلَهُ، وَأَرادا أَنْ يَفْتَخِرَا عَلَى الأَعْمَى، فَقَالَ الأَبْرَصُ: حَظّي الْيَوْمَ كَبِيْرٌ، وَقَالَ الأَقْرَعُ: وَأَنَا كَذَلِكَ يَا صَدِيقَيَّ، ثُمَّ تَغَامَزَا عَلَى الأَعْمَىٰ وَضَحِكَا، وَضَحِكَ الأَعْمَىٰ مَعَهُمَا وَهُوَ رَافِعُ الرَّأْسِ لِلأَعْلَىٰ دُوْنَ أَنْ يَدْرِيَ هَذِهِ المَرَّةَ سَبَبَ ضَحِكِهِمَا أيْضاً، فَسَقَطَتْ في فِيْهِ[1] حَبَّةُ تُوْتٍ كَبِيْرَةٌ، فَمَضَغَهَا وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللّهِ الرزَّاقِ،

(١) في فيه: أي في فمه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مَا أَلَذَّ طَعْمَ التُّوتِ،! فَحَسَدَهُ الأَقْرَعُ، وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ رُزِقْتَ حَبَّةَ تُوتٍ دُوْنَ أَنْ تَسْعَى لَهَا، إِنَّكَ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، لَيْتَهُ يَأْتِيْنَا مَا نَتَمَنَّاهُ دَوْماً، وَقَالَ الأَقْرَعُ: لَيْتَ مَا نَتَمَنَّاهُ يَأْتِيْنَا سَهْلاً مِثْلَ حَبَّةِ التُّوتِ الَّتِي سَقَطَتْ فِي فِيْكَ دُوْنَ أَنْ تَسْعَىٰ لَهَا.

قَالَ الأَعْمَىٰ: إِنَّكُمْ تَحْلُمُونَ، أَمِنْ أَجْلِ حَبَّةِ تُوتٍ رَزَقَنِي اللّهُ إِيّاهَا ذَهَبَتْ بِكُمْ أَحْلاَمُكُمْ وَأُمْنِيَاتُكُمْ بَعِيْداً؟! لِنَفْتَرِضَ أَنَّ لِكُلّ وَاحِدٍ مِنّا أُمْنِيَةً، فَمَاذَا سَيَتَمَنَّىٰ يَا تُرَىٰ؟

قَالَ أَنِيسٌ - بَعْدَ أَنْ صَحَّحَ جِلْسَتَهُ - أُمْنِيَتِي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَنْ يَنْبُتَ شَعْرِيْ، وَأُرْزَقَ وَلَوْ نَاقَةً واحِدَةً، أَتَغَذَّىٰ مِنْ لَبَنِهَا إِذَا جِعْتُ، وَتَحْمِلُنِي إِذَا سَافَرْتُ. ثُمَّ تَبِعَهُ بَدْرٌ، وَقَالَ: وَأَنَا أَتَمَنَّىٰ أَنْ أُشْفَىٰ مِنْ بَرَصِي، وَأُرْزَقَ وَلَو بَقَرَةً وَاحِدَةً، فَإِنِّي أُحِبُّ حَلِيْبَ البَقَرِ، ثُمَّ قَالَ سَعِيْدٌ: أَنَا قَنُوْعٌ أَتَمَنَّى أَنْ يُرَدَّ لي بَصَرِي، لأُبْصِرَ طَرِيْقي، وَأُرْزَقَ وَلَوْ شَاةً وَاحِدَةً، فَأَنَا أُحِبُّ حَلِيبَ الغَنَمِ.

وَقَالَ بَدْرٌ: مَا لِهَؤُلاَءِ الأَغْنِياءِ لاَ يُعْطُونَنَا مِنْ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ شَيْئاً؟ وَاللّهِ لَوْ كُنْتُ غَنِيّاً لَتَصَدَّقْتُ حَتّى أُغْنِيَ الفُقَرَاءَ. وَتَكَلَّمَ أَنِيْسٌ بِمِثْلِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَبْرَصُ، وَكَذَلِكَ تَكَلَّمَ الأَعْمَىٰ..

ثُمَّ غَادَرُوا مَجْلِسَهُمْ إِلى بُيُوْتِهِمْ، وَهُمْ مُنْتَشُونَ سُعَدَاءُ بِمَا تَمَنَّوا مِنْ أُمْنِيَاتٍ.

الأَمَانِي تَتَحَقَّقُ:

وفي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ التَّالِي، قُبَيْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، طَرَقَ طَارِقٌ بَابَ أَنِيْسِ الأَقْرَعِ، فَلَمَّا فَتَحَ أَنِيْسٌ البَابَ، دَفَعَ إِلَيْهِ الطَّارِقُ نَاقَةً عَشْرَاءَ[1] وَقَالَ: هَذِهِ هَدِيَّةٌ لَكَ، فَفَرِحَ بِهَا أَنِيْسٌ كَثِيراً، وَقَالَ: هَذِهِ أُمْنِيَتِي، ثُمَّ مَسَحَ الطَّارِقُ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِ أَنِيْسٍ

(١) الناقة العشراء: التي حملت وقرب وقت ولادتها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأَقْرَعِ، وَابْتَعَدَ حَتّى غَابَ عَن بَصَرِ أَنِيْسٍ، وَذَهَبَ الطَّارِقُ إلى بَيْتِ بَدْرٍ، وَقَرَعَ بَابَه فَلَمّا فَتَحَ بَدْرٌ الْبَابَ، دَفَعَ إلَيْهِ الطَّارِقُ بَقَرَةً عَشْرَاءَ وقَالَ: هَذِهِ أُمْنِيَتُكَ، فَفَرِحَ بَدْرٌ واسْتَلَمَهَا وَهي تَخُورُ بِصَوْتٍ مُتَقَطِّعٍ، وَتَهُزُّ رَأْسَهَا، وَتُدَاعِبُ بِلِسَانِهَا الطَّوِيلِ يَدَ بَدْرٍ، فَازْدَادَ بِهَا فَرَحاً، لأَنَّها حَقِيْقَةٌ لا حُلُمٌ، ثُمَّ إِنَّ الطَّارِقَ مَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى جِلْدِ بَدْرٍ وَابْتَعَدَ حَتّى غَابَ عَنِ الأَبْصَارِ. ثُمَّ ذَهَبَ الطَّارِقُ إلى سَعِيْدٍ، وَقَرَعَ بَابَهُ، فَتَلَمَّسَ سَعِيْدٌ طَرِيْقَهُ إلى البَابِ وَفَتَحَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: مَنِ الطّارِقُ؟ فَوَضَعَ الطّارِقُ بَيْنَ يَدَيْ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سَعِيدٍ شَاةً سَمِينَةً عَشْرَاءَ، لَهَا ثُغَاءٌ، وَقَالَ لَهُ: هَذِهِ الشَّاةُ هَدِيَّةٌ لَكَ، فَفَرِحَ بِهَا الأَعْمَىٰ كَثِيراً، وَشَكَرَ لِلطَّارِقِ صَنِيْعَهُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: هَذِهِ والله أُمْنِيَتِي، ثُمَّ إِنَّ الطَّارِقَ مَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى عَيْنَيّ سَعِيْدٍ، ثُمَّ ابْتَعَدَ. وَمَرَّتِ الأَيّامُ، فَإِذَا بِالأَقْرَعِ يَنْبُتُ شَعْرُهُ، وإذا بِالأَبْرَصِ يُشْفَىٰ مِنْ مَرَضِهِ، وإِذَا بِالأَعْمَىٰ يُبْصِرُ طَرِيْقَهُ على أَحْسَنِ ما يَكُونُ البَصَرُ حِدَّةً وَتَجْلِيَةً لِلأَشْيَاءِ، لَقَدْ فَرِحَ أَنِيْسٌ كَثِيراً بِشَعْرِهِ الجَمِيلِ، وَاقْتَنَى لِذَلكَ مِشْطاً حَتّى يُسَرِّحَ شَعْرَهُ.

وَكَانَ فَرَحُ بَدْرٍ لاَ يَقِلُّ عَنْ فَرَحِ أَنِيْسٍ وسَعِيْدٍ، فَقَدْ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شُفِي مِنْ مَرَضِهِ المُنفِّرِ، وأَصْبَحَ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يُخَالِطَ النَّاسَ الذينَ هَجَروهُ وابْتَعَدُوْا عَنْهُ، وَكَذَلِكَ الأَعْمَىٰ أَبْصَرَ كُلَّ شَيْءٍ، الْحَدَائِقَ الْجَمِيْلَةَ، والْطُّيُورَ المُلَوَّنَةَ المُغَرِّدَة، والنَّاسَ، لَقَدْ رَأَى النُّورَ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَعِيْشُ في الظَّلامِ.

وَمَضَتِ الأَيَّامُ، وَأَصْبَحَ لأَنِيْسٍ قَطِيعٌ مِنَ الإِبلِ يَرْعَاهُ وَيَتَفَقَّدُهُ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَأَصْبَحَ لِبَدْرٍ قَطِيعٌ مِنَ الأَبْقَارِ الحَلوْبَةِ، فَكَانَ لاَ يَطْمَئِنُّ بَالُهُ عَلَيْهَا إِلاّ حِيْنَ يَسْمَعُ أَصْوَاتَهَا مِنْ بَعِيدٍ، وَهِيَ عَائِدَةٌ إِلَيْهِ مِنَ الْمَرْعَى، وَكَذَلِكَ سَعِيْدٌ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الَّذِي كَبُرَ قَطِيْعُ أَغْنَامِهِ فَمَلأَتْ بِثُغَائِهَا السَّهْلَ وَالْوَادِي، وَأَصْبَحَ الثَّلاثَةُ عَلَى حَالٍ مِنَ الغِنَىٰ كَبِيْرَةٍ، وابْتَعَدَ كُلُّ وَاحِدٍ في جِهَةٍ مِنَ البَرَارِي، وازْدَادَتْ مَعَهُمُ الأَمْوَالُ، وَأَصْبَحَ لَهُمُ الْخَدَمُ والعُمَّالُ، وَاشْتَرَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بُسْتَاناً زَرَعَهَا بِطَيِّبِ الثِّمَارِ، وَأَصْبَحُوا مِنَ الأَثْرِيَاءِ الْمَشْهُورِينَ بِكَثْرَةِ أَمْوالِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ.

الامتحان:

وفي ذَاتِ يَوْمٍ، كَانَ أَنِيْسٌ يَجْلِسُ كَعَادَتِهِ كُلَّ صَبَاحٍ تَحْتَ مِظَلَّةٍ كبيرةٍ، نَصَبَهَا فَوْقَ رَابِيَةٍ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مُرْتَفِعَةٍ مُطِلَّةٍ عَلَى السُّهُولِ الفَسِيحَةِ، وَقَدْ لَبِسَ أَجْمَلَ الثِّيَابِ وَأَحْلاَهَا، وَفَرَشَ مَجْلِسَهُ بِأَجْمَلِ الفُرُشِ وَالْمَسَانِدِ، يُدَاعِبُ النَّسِيْمُ شَعْرَهُ الفَاحِمَ الجَمِيلَ، وَهُوَ يَزْهُو بِهِ وَيُمَرِّرُ عَلَيْهِ الْمِشْطَ الفِضِّيَّ بَيْنَ حِيْنٍ وَآخَرَ، لأَنَّهُ يَعُدُّ نَفْسَهُ صَاحِبَ أَجْمَلِ شَعْرٍ فَوْقَ الأَرْضِ، يَسْعَىٰ بَيْنَ يَدَيْهِ الخَدَمُ، يَأْتونَهُ بِأَطْيَبِ الطَّعامِ وَأَلَذِّ الشَّرابِ، يَنْظُر بِإِعْجَابٍ وَزَهْوٍ دُون كَلَلٍ إلى إِبِلِهِ السَّارِحَةِ في البَرَارِي، يُتَابِعُهَا بِنَظَرَاتِهِ وَهُوَ يَتَمَنَّى مِنْهَا المَزِيْدَ، يَتَمَنَّى لَوْ تَمْلأُ كُلَّ سُهُولِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المَعْمُورَةِ وَأَوْدِيَتِهَا، وَقَد أَضْحَتْ بِكَثْرَتِها أَكْبَرَ قَطِيعٍ في المَعْمُورَةِ، وَأَصْبَحَ أَنِيسٌ صَاحِبَ أَكْبَرِ قَطِيعٍ فِي البَادِيَةِ، وَصَاحِبَ أَجْمَلِ شَعْرٍ كَذَلِكَ.

وَبَيْنَمَا كَانَ أَنِيسٌ مُسْتَرْسِلاً في تَأَمُّلاتِهِ غَارِقاً في تَفْكِيرِهِ، مُتَصَوِّراً الْمَزِيد مِنَ الإِبِلِ التي سَيَمْتَلِكُهَا في الْمُسْتَقْبَلِ، إِذَا بِقَادِمٍ يَقْطَعُ عَلَيْهِ تَأَمُّلاتِهِ، وَهَذَا الْقَادِمُ أَقْرَعُ فَقِيرٌ، فَسَلَّمَ عَلَى أَنِيسٍ، لَكِنَّ أنيساً لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ تَكَبُّراً وَعُجْباً، وَاسْتِهْتَاراً بِهَذَا القَادِمِ الأَقْرَعِ الْفَقِيرِ، بَلْ زَجَرَهُ بِعُنْفٍ، وَقَالَ لَهُ: ابْتَعِدْ عَنِ الفِرَاشِ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَلاَ تُؤْذِنِي بِمَنْظَرِ قَرْعَتِكَ البَغِيضِ، مَاذَا تُرِيْدُ مِنّي؟ وَكَيْفَ تَجْرُؤُ عَلَى الظُّهُورِ أَمَامِيَ بِهَذَا الشّكْلِ المَهِينِ؟ لَقَدْ قَطَعْتَ عَليَّ تَأَمُّلاَتِي وَتَفْكِيرِي في شُؤُوْني.

قَالَ الْفَقِيرُ: لاَ تُؤَاخِذْني أَيُّهَا السيِّدُ، إِنَّنِي أَقْرَعُ فَقِيرٌ كَمَا تَرَىٰ، أَتَيْتُ أَطْلُبُ مِنْكَ مُسَاعَدَةً أَسْتَعِيْنُ بِهَا عَلَى مُوَاصَلَةِ الحَيَاةِ. فَقَالَ أَنِيْسٌ: تَطْلُبُ مِنّي! اذْهَبْ مِنْ أَمَامِيَ وَلاَ تُرِنِي وَجْهَكَ أَبَداً، وَإِلاّ اسْتَدْعَيْتُ الخادِمَ لِتَأْدِيْبِكَ.

قَالَ الْفَقِيْرُ: أَسْأَلُكَ بالّذِي أَغْنَاكَ وَكَسَاكَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشَّعْرَ الْجَمِيْلَ، أَنْ تُعْطِيَنِي وَلَوْ نَاقَةً واحِدَةً مِنْ مَالِ الله.

قَالَ أَنِيْسٌ: مَاذَا تَقُولُ؟! وَبِمَنْ تَسْأَلُنِي! إِنَّ هَذا القَطِيعَ الّذِي تَرَاهُ أَمَامَكَ أَتَانِي بِسَبَبِ تَعَبِي وَسَهَرِيْ عَلَيْهِ، إِنَّهُ نَتِيْجَةُ كَدِّيْ وَعَرَقِ جَبِيْنِي، وَشَعْرِي هَذَا الّذِي تَرَاهُ، إِنَّهُ جَمِيْلٌ مِنْذُ صِغَرِي فَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَقْرَعَ الرّأْسِ، أَوْ فَقِيْراً في يوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ أَبَداً.. أَبَداً، اذْهَبْ يَا طَوِيْلَ اللِّسَانِ وابْتَعِدْ عَنّي، وَاطْلُبِ الرّزْقَ مِنْ غَيْرِي، فَأَنَا مَشْغُولٌ الآنَ وَلاَ أُعْطِي المُتَسَوِّلِينَ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قالَ الفَقِيْرُ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فِيْمَا تَقُولُ، فَإِنِّي أَرْجُو مِنَ الله تَعَالَى أَنْ يُعِيْدَكَ إِلى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ، ثُمَّ تَرَكَهُ وَانْصَرَفَ.

وَبَيْنَما كَانَ بَدْرٌ (الأبْرَصُ سَابِقاً) يَجْلِسُ فِي بُسْتَانِهِ تَحْتَ شَجَرَةِ تِيْنٍ كَبِيرَةٍ، تَتَدَلَّى مِنْهَا ثِمَارُ التِّينِ الشَّهِيَّةُ الحُلْوَةُ النَّاضِجَةُ، مِثْلَ نُجُوْمِ السَّمَاءِ في لَيْلَةٍ صَافِيَةٍ لاَ قَمَرٌ فِيْهَا وَلاَ غُيُومٌ، وَأَمَامَ بَدْرٍ أَطْبَاقٌ مِنْ فِضَّةٍ، مَمْلُوءَةٌ بِأَشْهَىٰ الثِّمَارِ، وَقَدْ أَسْنَدَ ذِرَاعَهُ عَلَى أَرِيْكَةٍ حَرِيْرِيَّةٍ خَضْرَاءَ، وَهُنَاكَ عَدَدٌ مِنَ الأَرَائِكِ الأُخْرَى، تَحُفُّهُ عَنْ يَمِينٍ وشِمَالٍ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يَأْتِيهِ النَّسِيْمُ الغَضُّ لِيَمْسَحَ وَجْهَهُ وَيُدَاعِبَ لِحْيَتَهُ، فَكَانَ يَتَنَاوَلُ بَعْضَ الثِّمَارِ وَيَقْضِمُهَا بَيْنَ حِيْنٍ وَآخَرَ، وَهُوَ يَنْظُرُ بِإِعْجَابٍ إلى أَبْقَارِهِ الزَّاهِيَةِ الأَلْوَانِ، الكَبِيْرَةِ الأَثْدَاءِ الَّتِي تَخُورُ بِلا انْقِطَاعٍ، كَأَنَّهَا قَد تَنَاوَبَتْ بِهَذَا الخُوَارِ، لِيَبْقَى صَوْتُهَا دَائِماً مَصْدَرَ بَهْجَةٍ وَفَرَحٍ لِصَاحِبِهَا بَدْرٍ، وَلِيَشْعُرَ بِأَنَّهُ أَكْبَرُ مَالِكٍ لِقَطِيعِ الأَبْقَارِ في بَلَدِهِ، وَأَنَّهُ صَاحِبُ أَحْلَى جِلْدٍ أَيْضاً، لَقَدْ جَلَسَ بِكِبْرٍ وَزَهْوٍ، وَهُوَ يَرْتَدِي قَطِيْفَةً حَمْرَاءَ مِنَ الْحَرِيرِ، قَدْ فُتِحَتْ أَكْمَامُهَا مِنَ الأَعْلَى، لِيَبْدُوَ مِنْ تَحْتِهَا عَضُدَاهُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجَمِيلاَنِ، وَفَتَحَ صَدْرَهَا وَوَشَّاهُ بِالذَّهَبِ، وَهُوَ تَارَةً يَتَأَمَّلُ أَبْقَارَهُ، وَتَارَةً يَنْظُرُ بِإِعْجَابٍ إِلى جِسْمِهِ وَجِلْدِهِ، الَّذِي عَادَ لَهُ نَضَارُهُ، وَوَدَّعَ إِلى غَيْرِ رَجْعَةٍ ذَلِكَ البَرَصَ المُؤْذِيَ المُنَفِّرَ، وَبَرزَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجْأَةً رَجُلٌ أَبْرَصُ رَثُّ الثِّيابِ، مُدْقَعٌ مِنْ شِدَّةِ الفَقْرِ الَّذِي يَبْدُو فِي وَجْهِهِ الأَصْفَرِ الشَّاحِبِ، وَسَلَّمَ عَلَى بَدْرٍ بِصَوْتٍ هَادِىءٍ مُعْتَدِلٍ، وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ بَدْراً أُصِيبَ بِهِزَّةٍ وَارْتِجَافٍ مِنْ تِلْكَ المُفَاجَأَةِ الَّتِي قَطَعَتْ عَلَيْهِ تَأَمُّلَهُ وَتَفْكِيرَهُ فِي نَفْسِهِ وَبَقَرَاتِهِ، وَنَظَرَ إِلى الفَقِيرِ الأَبْرَصِ نَظْرَةَ احْتِقَارٍ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَغَضَبٍ، وَلَمْ يَرُدَّ عَليه السّلامَ، بَلْ صَرَخَ فِي وَجْهِهِ، وَنَهَرَهُ لِتَجَرُّئِهِ في الدّخُولِ عَلَيْهِ، وَمُفَاجَأَتِهِ الّتِي أَدَّتْ إِلى ارْتِجَافِهِ بَغْتَةً، وَلكِنَّ الفَقِيرَ اعْتَذَرَ، وَطَلَبَ مَنْحَهُ مُسَاعَدَةً تُعِيْنُهُ في التَّغَلُّبِ على فَقْرِهِ، فَهَبَّ في وَجْهِهِ صَائِحاً، وَقَالَ لَهُ: اُخرُجْ مِنْ هُنَا وَلاَ تَقْتَرِبْ مِنّي، أَنْتُمْ أَيُّهَا المُصَابُونَ بِالْبَرَصِ أُنَاسٌ لا تَسْتَحُونَ، تَدْخُلُونَ عَلَيْنَا بِأَشْكَالِكُم القَذِرَةِ.. اُخْرُجْ مِنْ هُنَا، وَإِلاّ أَوْسَعْتُكَ ضَرْباً بِهَذَا السَّوْطِ، وَأَرَادَ الْفَقِيْرُ الأَبْرَصُ أَنْ يُذَكِّرَهُ بِمَاضِيْهِ السَّابِقِ، وَمَرَضِهِ المُنَفِّرِ، فَقَالَ: أَنَا أَبْرَصُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَقِيْرٌ كَمَا تَرَانِي، أَسْأَلُكَ بِالّذِي عَافَاكَ مِنْ بَرَصِكَ، وَكَسَاكَ الجِلْدَ الْجَمِيْلَ، وَمَنَحَكَ المَالَ الْوَفِيْرَ، إلاّ أَعْطَيْتَنِي بَقَرَةً واحِدَةً مِنْ مَالِ الله تَعَالى، لِكَيْ أَنْتَفِعَ بِهَا.

فَقَالَ لَهُ بَدْرٌ: مَاذَا تَقُوْلُ..؟ وَبِمَنْ تَسْأَلُنِي يَا طَوِيْلَ اللّسَانِ؟. إِنّ هَذَا الْقَطِيْعَ الّذِي تَرَاهُ، نَمَا بِجُهْدِي وَعَرَقِ جَبِيْنِي، وَأَنَا لَمْ أَكُنْ في يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ كَمَا تَدَّعِي، اذْهَبْ مِنْ أَمَامِي أَيُّهَا الكَسُولُ المُتَوَاكِلُ، فَأَنا مَشْغُولٌ الآنَ.

قَالَ الْفَقِيْرُ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فِيْمَا تَدَّعِي فَإِنّي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أَرْجُو مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يُعِيْدَكَ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ. ثُمَّ غَادَرَ البُسْتَانَ وَانْصَرَفَ.

سَعِيْدٌ يَنْجَحُ فِي الاْمْتِحَانِ:

كَانَ سَعِيْدٌ (الأَعْمَى سَابِقاً) جَالِساً فِي خَيْمَتِهِ الْكَبِيرَةِ، وَأَمَامَهُ دِلاَلُ الْقَهْوَةِ الفَاخِرَةِ المُعَدَّةِ لِكُلِّ قَادِمٍ، وَنِيْرَانُهُ المُؤَجَّجَةُ الجَاهِزَةُ لاِسْتِقْبَالِ الضُّيوفِ وإِكْرَامِهِمْ بِأَشْهَى الطَّعَامِ تَظْهَرُ مِنْ بَعِيدٍ، وَكَانَ لِسَانُهُ رَطْباً بِذِكْرِ اللهِ وَشُكْرِهِ عَلَى مَا أَفَاءَ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ الّتِي لاَ تُحْصَى، وَبَيْنَمَا هُوَ مُسْتَغْرِقٌ فِي تَدَبُّرِهِ وَتَفَكُّرِهِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بِمَلَكُوتِ السَّمٰواتِ والأَرْضِ، إِذَا بِهِ يَسْمَعُ صَوْتَ عُكَّازٍ قُرْبَ خَيمَتِهِ، وَدَبِيْبَ أَقْدَام تَتَّجِهُ نَحْوَهُ، فَنَظَرَ إِلى جِهَةِ الصَّوْتِ، فَإِذَا أَعْمَى فَقِيرٌ قَادِمٌ نَحْوَهُ يَتَعَثَّرُ في مِشْيَتِهِ، فَنَهَضَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَأَمْسَكَهُ بِيَدِهِ وَقَادَهُ إِلى خَيْمَتِهِ، وَأَجْلَسَهُ في صَدْرِ الْمَجْلِسِ عَلَى فِرَاشِهِ، وَرَحَّبَ بِهِ أَجْمَلَ تَرْحِيْبٍ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ وَسَبَبِ قُدُومِهِ، فَقَالَ الأَعْمَىٰ: أَنَا فَقِيرٌ وَأَعْمَىٰ كَمَا تَرَى، دَفَعَتْنِي إِلَيْكَ الْحَاجَةُ.

قَالَ سَعِيدٌ: وَمَا حَاجَتُكَ؟.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قَالَ الأَعْمَىٰ: أَسْأَلُكَ بِالّذِي أَعْطَاكَ الْمَالَ الْكَثِيرَ، وَرَدَّ عَلَيْكَ الْبَصَرَ بَعْدَ أَنْ كُنْتَ أَعْمَىٰ مِثْلِي، وَفَقِيراً لاَ تَمْلِكُ شَيْئاً مِنَ الْمَالِ، إلاّ أَعْطَيْتَنِي شَاةً واحِدَةً مِنْ أَغْنَامِكَ، لِكَي أَنْتَفِعَ بِهَا في مَعَاشِي.

قَالَ سَعِيدٌ: صَدَقْتَ فِيمَا نَطَقْتَ، لَقَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ الله عَلَيَّ بَصَرِي، وَكُنْتُ فَقِيراً فَأَغْنَانِي اللّهُ، وَأَعْطَانِي المَالَ الْوَفِيْرَ. ثُمَّ نَادَى سَعِيدٌ الرّاعِيَ، وَقَالَ لَهُ: أَعْطِ أَخَانَا مَا شَاءَ مِنَ الأَغْنَامِ، فَإِنَّ المَالَ مَالُ اللّهِ، وَقَادَ الرّاعي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأَعْمَىٰ إلى الأَغْنَامِ وَأَعْطَاهُ شَاةً بِنَاءً عَلَى طَلَبِهِ لأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَأْخُذَ أَكْثَرَ مِنْ شَاةٍ، ثُمَّ دَعَا لِسَعِيدٍ بِكُلِّ خَيْرٍ وَانْصَرَفَ.

النَّدَمُ:

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ سَرِيعاً، فَإِذَا صَاحِبُ الإِبِلِ يَعُودُ أَقْرَعَ فَقِيْراً كَمَا كَانَ، لَقَدْ جَاءَتْ عَلَى إِبِلِهِ رِيْحٌ سَمُوْمٌ، فَقَضَتْ عَلَيْهَا جَمِيْعاً، وفي طَرْفَةِ عَيْنٍ أَصْبَحَ فَقِيراً مُعْدَماً، فَبَكَىٰ بُكَاءً شَدِيْداً وَاغْتَمَّ وَحَزِنَ، وَنَدَبَ حَظَّهُ العَاثِرَ التَّعِسَ، وَمِنْ كَثْرَةِ هَمِّهِ وَحُزْنِهِ مَرِضَ، وَارْتَفَعَتْ حَرَارَةُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جِسْمِهِ، فَأَضْحَى طَرِيْحَ الفِرَاشِ، وَرَاحَ فِي غَيْبُوبَةٍ طَوِيْلَةٍ، ثُمّ صَحَا مِنْ رُقَادِهِ لِيَجِدَ شَعْرَهُ قَدْ تَنَاثَرَ كَالْعِهْنِ المَنْفُوشِ، فَتَحَسَّسَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَلَمْ يَجِدْ إِلاَّ جِلْداً ناعِماً مُنْتِنَ الرّائِحَةِ، فَازْدَادَ هَمُّهُ وَبَكَى أَسَفاً عَلَى مَا فَاتَ.

وَدَارَتِ الأَيَّامُ دَورَتَهَا عَلَى صَاحِبِ الأَبْقَارِ، فَاعْتَرَاهَا مَرَضٌ في حُلُوقِهَا، فَهَوَتْ صَرْعَى هَذَا المَرَضِ، وَأَصْبَحَتْ جُثَثاً مُنْتِنَةً، وَانْقَلَبَ البُسْتَانُ إلى مُسْتَنْقَعٍ لِلأَمْرَاضِ، فَهَجَرهَا الزُّرَّاعُ، وَبَدْرٌ يُشَاهِدُ المَصَائِبَ ولاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لإِنْقَاذِ أَبْقَارِهِ، لَقَدْ فَاجَأَتْهُ بِتَلاَحُقِ مَوْتِهَا السَّرِيْع، ثُمَّ هَرَبَ مِنْ رَدَاءَةِ المِنْطَقَةِ وَانْتِشَارِ المَرَضِ فِيْهَا، وَآوَى إِلى بَيْتٍ خَرِبٍ بَعِيْدٍ، وَأَضْحَىٰ فَقِيراً لاَ يَلْوِي عَلَى شَيءٍ، وَاهْتَمَّ وَأَصَابَهُ الحُزْنُ، وَمَكَثَ أَيَّاماً لاَ يَأْكُلُ وَلاَ يَشْرَبُ مِنْ هَوْلِ الكَارِثَةِ، فَتَشَقَّقَ جِلْدُهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَخَرَجَتْ مِنْهُ القُرُوْحُ، وَعَادَ إِلَيهِ البَرَصُ المُنَفِّرُ.

وَتَمْضِي الأَيَّامُ فَيُرَاجِعُ فِيْهَا كُلٌّ مِنَ الأَبْرَصِ وَالأَقْرَعِ مَا كَانَ مِنْ عَهْدِهِمَا أَيَّامَ الخَيْرِ وَالْعِزّ، ثُمَّ يَتَذَكَّرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَيَّامَ الفَقْرِ وَالمَرَضِ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَيَحِنُّ كُلٌّ مِنْهُمَا إِلى الْجَلْسَةِ تَحْتَ شَجَرَةِ التُّوتِ فَلَعَلَّهُمَا يَنْسَيَانِ هُنَالِكَ الهُمُومَ، وَيَمْشِي كُلٌّ مِنْهُمَا إلى تِلْكَ الشَّجَرَةِ عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ سَابِقٍ، يَصِلُ الأَقْرَعُ إلى الشَّجَرَةِ وَيَجْلِسُ في ظِلِّهَا، وَبَعْدَ بِضْعِ دَقَائِقَ يَصِلُ إِلَيْهَا الأَبْرَصُ، يَا لَلْمُفَاجَأَةِ! صَدِيْقِي أَنِيْسٌ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ وَيَقُومُ أَنِيْسٌ لِيُسَلِّمَ عَلى بَدْرٍ ثُمَّ يَجْلِسَانِ، وَيَنْظُرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إلى الآخَرِ نَظْرَةَ إِشْفَاقٍ وَحُزْنٍ، لَقَدْ رَأىٰ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صُوْرَتَهُ في شَكْلِ صَدِيْقِهِ، وَأَدْرَكَا خَطَأَهُمَا، ثُمَّ نَظَرا نَحْوَ الأَعْلَى إلى شَجَرَةِ التُّوتِ، والْتَفَتَ بَدْرٌ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَقَالَ لأَنِيسٍ: تُرَى هَلْ يُدْرِكُنَا سَعِيدٌ؟ قَالَ أَنِيسٌ: لاَ أَدْرِي لَقَدْ تَأَخَّرَ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّ قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّهُ سَيَأْتِي، وَعُذْرُهُ أَنَّهُ أَعْمَى كَمَا تَعْلَمُ، لِذلِكَ يَحْتَاجُ إِلى وَقْتٍ أَطْوَلَ لِقَطْعِ الطَّرِيقِ، وَبَيْنَمَا كَانَ أَنِيسٌ وَبَدْرٌ مُنْهَمِكَيْنِ فِي الحَدِيثِ، دَنَا مِنْهُمَا رَجُلٌ وَسِيمٌ بَهِيُّ الطَّلْعَةِ سَلِيمُ العَيْنَيْنِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا، وَقَالَ مُدَاعِباً: أَرَاكُمَا هُنَا يَا صَدِيقَيَّ، لَقَدْ عُدْتُمَا إِلى هَذَا المَكَانِ بَعْدَ انْقِطَاعٍ طَوِيلٍ، فِيمَ غِيَابُكُمَا؟ فَالْتَفَتَا إِلَيه مُتَعَجِّبَيْنِ، وَقَالاَ بِتَرَدُّدٍ: أَأَنْتَ صَدِيقُنَا الأَعْمَى؟!.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قالَ: نَعَمْ لَقَدْ كُنْتُ أَتَرَدَّدُ إِلى هُنَا دَائِماً مِنْ قَبْلُ، عَلّي أَرَاكُمَا لِنَجْلِسَ مَعَاً، وَنُعِيْدَ ذِكْرَيَاتِ أَيّامِنَا، وَنَحْنُ في حَالَةٍ مِنَ الغِنَى وَالصِّحَّةِ، لَكِنْ كُنْتُ آتِي فَأَجْلِسُ وَحْدِي ثُمَّ أَعُوْدُ إلى عَمَلِي.

قَالَ بَدْرٌ: أَنْتَ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ وَقَدْ كُنَّا مِثْلَكَ نَرْفُلُ في النِّعَمِ، وَلكِنْ..

وَقَالَ أَنيس: كُنَّا نَتَوَقَّعُ أَنْ نَراكَ عَلَى حَالِكَ السّابِقِ، فَقِيراً أَعْمَى، إِنّمَا عَجِيْبٌ أَمْرُكَ يا سَعِيدُ.! قَالَ سَعِيدٌ: لاَ تَعْجَبَا يَا صَدِيْقَيَّ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لَقَدْ حَبَانِي اللهُ بالنّعَمِ فَشَكَرْتُ، وَزَادَني فَزِدْتُ حَمْداً وشُكراً، وَتَصدَّقْتُ عَلَى الفُقَراءِ والمُحْتَاجِينَ، لأَنَّ المَالَ مَالُ اللهِ، اسْتَخْلَفَنِي عَلَيْهِ فَحَفِظْتُهُ، وأَدَّيْتُ حَقَّهُ، وَلَمْ أَبْخَلْ في الإِنْفَاقِ عَلَى مَشْرُوعَاتِ الخَيْرِ، وَيَبْدُو لِي أَنَّكُمَا بَخِلْتُمَا وَلَمْ تَتَصَدَّقَا، بَلْ أَنْكَرْتُمَا فَضْلَ اللّهِ عَلَيْكُمَا وَرِزْقَهُ لَكُمَا، عِنْدَمَا كُنَّا فُقَرَاءَ، لُمْنَا الأَغْنِيَاءَ لِتَقْصِيرِهِمْ، أَفَنَبْخَلُ عَلَى الفُقَرَاءِ عِنْدَمَا أَصْبَحْنَا أَغْنِيَاءَ وَنَحْنُ الّذِينَ عَرَفْنَا مَرَارَةَ الفَقْرِ؟ لَقَدْ امْتَحَنَّا اللّهُ أَيُّهَا الأَصْدِقَاءُ، سَقَطْتُمَا،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَنَجَحْتُ وَالْحَمْدُ للّهِ الذي ثَبّتَنِي عَلَى شُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ.

وَهُنَا دَمَعَتْ عَيْنَا كُلٍّ مِنْ بَدْرٍ وَأَنِيْسٍ، وَهزَّا بِرَأْسَيْهِمَا تَأَسُّفاً وَحَسْرَةً وَنَدَامَةً، وَفِي هَذِهِ الأَثْنَاءِ سَقَطَتْ بالقُرْبِ مِنْ سَعِيدٍ بِضْعُ حَبّاتٍ مِنَ التُّوتِ، فَالْتَقَطَهَا وَوَضَعَهَا في فَمِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: شُكْراً للّهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَانْصَرَفَ إِلى عَمَلِهِ تُلاحِقُهُ عُيُونُ رَفِيْقَيْهِ المُفْلِسَيْنِ..

❁ ❁ ❁

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قصص إسلامية للأطفال

مؤمن في عمورية

تأليف
محمد منير الجنباز

مكتبة
التوبة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ⓒ مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجنباز، محمد منير

مؤمن في صمورية.- الرياض

٤٢ص، ١٧×٢٤سم.- (سلسلة قصص إسلامية للأطفال)

ردمك: ٧ - ٤٦ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

١ - القصص الإسلامية ٢ - قصص الأطفال أ - العنوان

ب - السلسلة

ديوي ٨١٣،٠٨٨ ٢٠/٣٨١٧

رقم الإيداع: ٢٠/٣٨١٧

ردمك: ٧ - ٤٦ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

جميع حقوق الطبع محفوظة

طبعة جديدة منقحة

١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير

ماتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

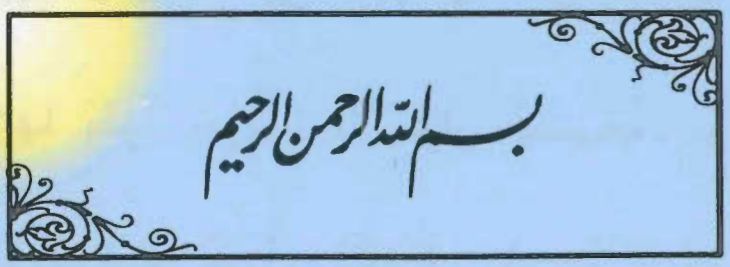

عَمُّورِيَّةُ الحَصِيْنَةُ:

عمّورِيّةُ مدينةٌ تَقَعُ في وسط تركِيّا حَالِيّاً، وهي قريبةٌ من العَاصِمَةِ «أَنْقَرَة»، مِنْطَقَتُها جَبَليّةٌ، تَحُفُّ بها الجِبَالُ والهِضَابُ، وقد جَعَلَها نَصَارى الرُّومِ مَركَزاً دِينِيّاً لهم، فَبَنَوْا فيها الكَنَائِسَ الكَبِيْرَةَ، وَجَعَلُوا أُسْقُفَهُم الكَبِيْرَ مُقِيْماً فيها، لِذَلك عَظَّمها النَّصارى. وَقَصَدُوها مِنْ كُلِّ مَكَان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لِزِيَارَتِها والإِقَامَةِ فِي كَنَائِسِها، وَلِحِرصِهِمْ عَلَى مَكَانَتِها بَنَوا حَوْلَهَا الأَسْوَارَ المَنِيْعَةَ، وَسَلَّحُوا جَيْشَها تَسْليحاً قَوِياً، فَكَانَتْ حَصِيْنَةً مَرْهُوْبَةً، لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى فَتْحِهَا.

الدولة الإسلامية:

وَصَلَتْ حُدُوْدُ الدَّوْلَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ زَمَنَ العَبَّاسِيِّينَ قَرِيْباً مِنْ عَمُّورِيَّةَ مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّمالِيَّةِ، وَكَانَتْ حَالَةُ الحَرْبِ قَائِمَةً بَيْنَ الرُّومِ والمسلمينَ، وكانَتْ مُدُنُ الثُّغُوْرِ الوَاقِعَةُ على حُدُوْدِ الدَّوْلَتَيْنِ في حَالَةِ حَرْبٍ فِعْلِيَّةٍ، فَتَارَةً يَغِيْرُ المُسْلِمونَ على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مُدُنِ الرّوم فَيَفْتَحُوْنَ بَعْضَها، وَيَنْشُرُوْنَ الإِسْلامَ فيها، وَتَارَةً يَغِيْرُ الرُّومُ على المُسْلمينَ، فَيَقْتُلُوْنَ وَيُدَمِّرونَ المُدُنَ فَوْقَ أَهْلِها، وَتُعَدُّ أَمَاكِنَ الثُّغُوْرِ[1] بالنِّسْبَةِ للمُسْلمينَ أَمَاكِنَ جِهَادٍ وَمُرَابَطَةٍ، فَمَنْ أَرَادَ الجِهَادَ وَالمُرَابَطَةَ في سَبِيْلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُقِيْمُ في إِحْدَى مُدُنِ الثُّغُوْرِ لِيَكْسِبَ ثوابَ الجِهَادِ وَالرِّبَاطِ، فَقَدْ قَالَ نبينا مُحَمّدٌ ﷺ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ في سَبِيْلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنيا وَمَا فِيها**» وقال أيضاً: «عينانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ

(١) الثغور: حدود الدولة الإسلامية مع الأعداء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تحرسُ في سبيل اللَّهِ».

وفي زَمَنِ الخَلِيْفَةِ المَأْمُون، سَابِعِ خُلَفَاءِ الدَّوْلَةِ العَبّاسِيّةِ، اهْتَزَّتِ الدّولةُ الإِسلامِيَّةُ مِنَ الدّاخِلِ، وَشُغِلَتْ عَنِ الجِهادِ بِسببِ بِدْعَةِ خَلْق القُرآنِ التي فَرَضَها المَأْمُوْنُ عَلَى النّاسِ. وَاسْتَعْمَلَ القُوّةَ والقَتْلَ ضِدَّ مَنْ لا يَقُوْلُ بِخَلْقِ القُرآنِ، وَهِي عَقِيْدَةٌ خَاطِئَةٌ، فَالْقُرآنُ كَلامُ اللَّهِ قَدِيْمٌ غَيْرُ مَخْلُوْقٍ أَوْ حَادِثٍ، فاللَّهُ هو الّذي خَلَقَ الكَوْنَ وَمَا فِيْهِ بِكَلِمَةِ «كُنْ»، فَكَانَ مَا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَرَادَ اللَّهُ، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾، وَحَصَل في الدّولةِ الإسلامِيّةِ اضطِرَابٌ وَفِتَنٌ، وَثَبَّتَ اللَّهُ العُلَمَاءَ العَامِلِيْنَ أَمْثَالَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَمُحَمّدِ بنِ نُوْحٍ، فَلَمْ يُجِيْبَا المَأْمُوْنَ إِلى القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآن، فَسَجَنَهُمْ وَعَذَّبَهُمْ، وَإِذَا حَصَل في الدَّوْلَةِ قَهْرٌ وَظُلْمٌ لِعُلَمَائِهَا العامِلِيْنَ المُخْلِصِيْنَ، فَإِنَّ أُمُوْرَ الدَّوْلَةِ تَضْطَرِبُ، وَيُسَلِّطُ اللَّهُ على الظَّالمينَ بَلاَءً عَظيماً حَتّى يَتُوْبُوا وَيَعُوْدُوا إِلى رُشْدِهِمْ، وَيَرْفَعُوا الظُّلْمَ عَنِ الأُمَّةِ، لِذَلِكَ كَثُرَتِ الفِتَنُ في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البِلاَدِ، وَكَثُرَ الخَارِجُوْنَ عَلَى الخَلِيْفَةِ، وَكَثُرَ قُطَّاعُ الطُّرُقِ، وَسَبْيُ[1] النِّسَاءِ والأَوْلاَدْ، وَشُغِلَ المَأْمُوْنُ بِهَذِهِ الفِتَنِ الدَّاخِلِيَّةِ، فَوَزَّعَ جُنُوْدَهُ في أَطرَافِ الدَّوْلَةِ الإِسلامِيّةِ لِقَمْعِ الفِتَنِ وَالثَّوْرَاتِ، وَكَانَتْ أَعْظَمُ ثَوْرةٍ وَاجَهَا المَأْمُوْنُ، هي ثورةُ المَجُوْسِيّ «بَابَك الخُرَّمِي» الّذي اسْتَبَاحَ الدِّمَاءَ وَالحُرُمَاتِ، وَقَتَلَ مِنَ النَّاسِ مَا يَزِيْدُ على رُبْعِ مِلْيُوْنِ شَخْصٍ، وَارْتَكَبَ القَبَائِحَ في حَقِّ المُسْلمينَ، لِذَلك ضَعُفَتِ الدَّوْلَةُ وَعَجَزَتْ في

---

(١) السبي: الاختطاف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زَمَنِ المَأْمُوْنِ عَنِ القَضَاءِ عَلَى هَذَا الخَصْمِ اللَّدُوْدِ، وَطَمِعَ الأَعْدَاءُ في الخَارِجِ بِالْمُسْلِمِينَ وَرَأَوْا أَنَّ هَذَا الوَقْتَ هُوَ فُرْصَتُهُمْ لِلْهُجُوْمِ عَلَى مُدُنِ الثُّغُوْرِ، وَحَدَثَ أَن تُوُفِّيَ المَأْمُوْنُ، وَخَلَفَهُ أَخُوْهُ المُعْتَصِمُ باللَّهِ، فَكَانَتْ فَتْرَةَ انْتِقَالِ المُلْكِ مِنْ خَلِيْفَةٍ إِلى آخَرَ، وَفِيْها أَيْضاً انْشِغَالٌ عَنِ العَدُوِّ الخَارِجِيِّ بِسَبَبِ تَثْبِيْتِ دَعَائِمِ المُلْكِ، وَهُنَا انْتَهَزَ مَلِكُ الرُّوْمِ هَذِهِ الفُرْصَة أيضاً، فَجَهّزَ جَيْشاً كبيراً وَهَاجَمَ بِهِ مُدُنَ الثُّغُوْرِ، وَاسْتَوْلَى عَلَى كَثِيْرٍ مِنْها، فَقَتَلَ الآلافَ، وَأَسَرَ الآلافَ، وَأَحْرَقَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المُدُنَ وَعَاثَ فَساداً في مُدُنِ الحُدُوْدِ الإِسْلاَمِيّةِ، وَحَدَثَ أَنْ كَانَ بَيْنَ الأَسْرَى امْرَأَةٌ هَاشِمِيّةٌ، تَرْبِطُها بِالمُعْتَصِمِ صِلَةُ القَرَابَةِ، فَصَاحَتْ مُسْتَغِيْثَةً «وَامُعْتَصِماهُ» فَنُقِلَ إلى المُعْتَصِمِ اسْتِغَاثَتُهَا، فقالَ: لَبَّيْكِ يَا أُخْتَاهُ، وَشَرَعَ في تَجْهِيْزِ الجُيوشِ، وَالدَّعْوَةِ إِلى الجِهادِ لِيُؤَدِّبَ مَلِكَ الرُّومِ.

مَلِكُ الرّوم والأَسْرى المُسلمون:

عادَ مَلِكُ الرّوم إِلى بلادِهِ آمِناً مُطْمئِنّاً بَعدَ جَرائِمِهِ المُنْكَرَةِ، يَجُرُّ خَلْفَهُ أَسْرَى المُسْلمينَ مِنَ الرِّجَالِ والنِّساءِ والأَطْفَالِ، وَهُوَ رَاكِبٌ حِصَانَهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المُطَهَّمَ في زُهُوٍّ وَكِبْرِياءٍ، وَقَدْ حَفَّ بِهِ أَعْوَانُهُ وَأَتْبَاعُهُ يُظَلِّلُوْنَهُ بِالرَّايَاتِ، وَأَمَامَهُ صَلِيْبٌ كَبِيْرٌ مُذَهَّبٌ قَدْ حَمَلَهُ القَسَاوِسَةُ والرُّهْبَانُ تَقْدِيْساً وَتَعْظِيماً لَهُ، وَكَانَ المَلِكُ يَنْظُرُ بَيْنَ حِيْنٍ وَآخر إلى المُسلِمين الأسرى باحتقارٍ، رَافِعاً رَأْسَهُ مُقَطِّباً حَاجِبَيْهِ، لِيُشْعِرَهُمْ أَنَّهُ أَقْوَى رَجُلٍ في العالم، يَقْتُلُ وَيَأْسِرُ وَيَتَصَرَّفُ بِأَمْرِ النَّاسِ، وَإِمْعَاناً مِنْهُ فِي إِذْلالِ الأَسْرَى، كَانَ يَقِفُ في الطَّرِيْقِ بَعْدَ كُلِّ مَرْحَلَةٍ لِيَسْتَرِيْحَ، فَيَأْمُرُ أَتْبَاعَهُ أَنْ يُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ عَدَداً مِنَ الأَسْرَى، فَيُعَذِّبُهُمْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يُقَبِّلُوا قَدَمَيْهِ، وَأَنْ يَكْفُرُوا بِالإِسْلاَمِ كَيْ يَنَالُوا عَفْوَهُ ورِضاهُ، أَوْ فَالْجَلاَّدُ بِانْتِظَارِهِم لِيَقْطَعَ رُؤُوسَهُمْ، وَكَانَتْ تَظْهَرُ قُوَّةُ الإِيمان على كثيرٍ مِنَ المُسْلمين، فَلا يُجِيْبُونَ المَلِكَ الظَّالِمَ إِلى ما يُريدُ، بَلْ يَسْتَسْلِمونَ لأَمْرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ، وَيَصْبِرون عَلَى القَتْلِ وَيَمْضُوْنَ إِلى اللَّهِ شُهَدَاءَ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَضْعُفُ وَيَخَافُ مِنْ بَرِيْقِ السَّيْفِ وَمَنْظَرِ الدِّمَاءِ، فَيُجيبُ المَلِكَ إِلى طَلَبِهِ، وَيَكْفُرُ بِاللّسانِ فقط، فَيَرْفَعُ عَنْهُ القَتْلَ وَيُبقِيهُ فِي الأَسْرِ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَجَاءَ دَوْرُ الفَتَى «رَعْدٍ» الّذي خَافَ مِنْ مَنْظَرِ التَّعْذِيْبِ وَالقَتْلِ، لِصِغَرِ سِنِّهِ وَأَمَلِهِ في حَيَاةٍ أَطْوَلَ، فَقَرَّرَ أَنْ يَكْفُرَ بِاللِّسَانِ، وَيَبْقَى مُحَافِظاً عَلَى إِيْمَانِهِ في القَلْبِ وَالجَنَانِ، فَمَثُلَ أَمَامَ المَلِكِ وَفَعَلَ مَا طَلَبَهُ المَلِكُ مِنْهُ، فَلَمْ يَقْتُلْهُ، بَلْ أَرْسَلَهُ إِلى مَدِيْنَةِ عَمُّوْرِيّةَ مَعَ عَدَدٍ مِنَ الأَسْرَى الآخَرِيْنَ، وَطَلَبَ مِنْ حَاكِمِ عَمُّورِيَّةَ أَنْ يَجْعَلَهُم خَدَماً في كَنَائِسِ المَدِيْنَةِ.

قِصَّةُ السُّورِ المُتَهَدِّم:

كَانَتْ عَمُّورِيَّةُ كَما ذَكَرْتُ سَابِقاً مَدِيْنَةً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مُقَدَّسَةً عِنْدَ النَّصَارَى، حَصِيْنَةً بِمَوْقِعِهَا، قَوِيَّةً بِأَسْوَارِهَا، فَاطْمَأَنَّ فِيْها أَهْلُهَا وَأَمِنُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ خَطَرِ الأَعْدَاءِ، وَحَدَثَ فِيْهَا قَبْلَ سَنَوَاتٍ مِنْ وُصُوْلِ «رَعْدٍ» إِلَيْهَا، أَنْ دَهَمَهَا سَيْلٌ قَوِيٌّ انْحَدَرَ إِليها مِنَ الجِبَالِ الشَّاهِقَةِ في فَصْلِ الشِّتَاءِ، فَدَمَّرَ جُزْءاً مِنَ السُّوْرِ، وَأَحْدَثَ فِيْهِ فَجْوَةً كَبيرةً، فَأَهْمَلَهَا حَاكِمُ المَدِيْنَةِ، وَلَمْ يَقُمْ بِإِصْلاَحِهَا وَإِعَادَةِ بِنَائِها، لِظَنِّهِ أَنَّ أَحَداً لَنْ يُهَاجِمَهَا، حَيْث لَمْ يَسْبِقْ أَنْ هَاجَمَهَا المُسْلِمُوْنَ مِنْ قَبْلُ، فَقَدْ فَتَحُوا كَثِيْراً مِنْ بِلاَدِ الرُّوْمِ، وَزَحَفُوْا نَحْوَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القُسْطَنْطِينِيَّةِ عَاصِمَتَهُمْ، وَهِيَ أَبْعَدُ بِكَثِيْرٍ مِنْ عَمُّوريّةَ، فَحَاصَرُوْهَا مَرَّاتٍ عَدِيْدَةٍ بَرّاً وَبَحْراً، ثُمَّ تَراجَعُوا عَنْها، أَمَّا عَمُّورِيّةُ فَلَمْ يَقْصِدْهَا المُسْلِمُوْنَ مِنْ قَبْلُ، وَلِهَذا لَمْ يَهْتَمَّ حَاكِمُ عَمُّورِيَّةَ بِإِصْلاحِ السُّوْرِ، لَكِنَّ مَلِكَ الرُّوْمِ الّذي اعْتَدى عَلَى المُسْلِمِيْنَ وَدَمَّرَ لَهُمْ مُدُنَ الثُّغُوْرِ، خَافَ مِنْ هُجُوْمٍ إِسْلاَمِيٍّ مُضَادٍ عَلَى عَمُّورِيَّة، فَأَرْسَلَ إِلى حَاكِمِهَا أَمْوالاً كثيرةً، وَطَلَبَ مِنْهُ إِصْلاَحَ السُّوْرِ المُتَهَدِّمِ وَتَقْوِيَتَهُ، وحذّرَهُ مِنْ خَطَرِ هُجُوْمٍ إِسْلاَمِيٍّ مُحْتَمَلٍ، لَكِنَّ الحَاكِمَ الجَشِعَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطَّامِعَ بالأَمْوَالِ وكَثْرَتِها، حَازَ الأَمْوَالَ إِليه، وَبَنَى بِهَا قَصْراً فخماً لِنَفْسِهِ، وَلَم يَقُمْ بِبِناءِ السُّوْرِ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَلِكُنَا الآنَ مَشْغُوْلٌ، وَلَنْ يَعْلَمَ بِمَا فَعَلْتُ، وَمَضَتِ الأَيَّامُ وَالمَلِكُ يُسَاوِرُهُ هَاجِسُ السُّوْرِ، فَقَرَّرَ أَنْ يَزُوْرَ عَمُّورِيَّةَ، وَيَتَبَرَّكَ بِكَنَائِسِهَا بَعْدَ انْتِصَارِهِ المَزْعُوْمِ عَلَى المُسْلمين، فَأَرْسَلَ وَفداً مِنْ كِبَارِ رِجَالِ الدَّولَةِ، لِيُخْبِرُوا حَاكِمَ عَمُّوْرِيَّةَ بِعَزْمِ المَلِكِ عَلَى زِيَارَةِ المَدِيْنَةِ، وَلِيُعِدُّوا لَهُ اسْتِقبالاً حَافِلاً يَلِيْقُ بِمَقَامِهِ، وَلَمَّا عَلِمَ حَاكِمُ عَمُّوْرِيَّةَ بِنَبأ الزِّيَارَةِ، خَافَ أَنْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يَنْكَشِفَ أَمْرُ السُّوْرِ، فَسَارَعَ إِلى بِنَائِهِ على عَجَلٍ، وأَحْضَرَ عُمَّالَ البناءِ، فَحَمَلُوا إِلى السُّورِ أَحْجَارَهُ السّابِقَةَ المُتَهَدِّمَةَ وأَعَادوا بِنَاءَهَا، وَلِسُرْعَةِ إِنْجَازِ السُّوْرِ، أَمَرَ أَنْ تُحْمَلَ فَتَحَاتُ الرُّمَّاةِ وَمَشْرَبِيَّاتُ السُّوْرِ عَلَى عَوَارِضَ خَشَبِيَّةٍ، لأَنَّ بِنَاءَهَا مِنَ الحِجَارَةِ يَسْتَغْرِقُ وَقْتاً طَوِيْلاً، لَكِنَّهُ لَجَأَ إِلى حِيْلَةٍ لِإِخْفَاءِ الأَخْشَابِ، فَصَبَغَهَا وقَطَّعَهَا بالرسم كَالْحِجَارَةِ، وَبدتْ لِلنَّاظِرِ كَأَنَّها حِجَارَةٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَقَدْ أَتْقَنَ الْصَبَّاغُونَ تَلوِينَهَا، وَبَرَعُوا في ذلك تَمَاماً، وَوَصَلَ وَفْدُ المَلِكِ وَزَارُوا عَمُّورِيَّة،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَانْتَقَلُوا إِلى أَسْوَارِهَا وَرَأَوْا تَجْدِيْدَ السُّوْرِ، فَشَكَرُوا حَاكِمِ المَدِيْنَةِ عَلَى إِتْقَانِ صُنْعِهِ، لأَنَّهُم لَمْ يُلاَحِظُوا مَكَانَ الخَشَبِ، وَحَسِبُوا أَنَّ السُّوْرَ مَبْنِيٌّ كُلَّهُ مِنَ الحِجَارَةِ، وَمَكَثُوا أَيَّاماً لِتَرْتِيْبِ أُمُوْرِ الزِّيَارَةِ، ثم غَادَرُوا عَمُّورِيَّةَ وَهُمْ فِي غايةِ الاطْمِئْنَانِ على حَصَانَتِهَا وَمَنَاعَتِها، وَعَادُوا إِلى المَلِكِ لِيَزِفُّوا لَهُ نَبَأَ اسْتِعْداد عَمُورِيَّة لاسْتِقبَالِهِ.

التَّوَجُّهُ إلى عَمُّورِيَّةَ:

بَعْدَ أَنِ اسْتَعَدَّ المُعْتَصِمُ بِاللَّهِ خَلِيْفَةُ المُسْلِمينَ لِمُلاَقَاةِ الرُّوْمِ، وَأَصْبَحَ عِنْدَهُ جَيْشٌ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جَرَّارٌ، سَأَلَ عَنْ أَمْنَعِ بِلادِ الرُّوم وَأَكْثَرِهَا مَحَبَّةً عِنْدَهُمْ، فَأَجَابَهُ النَّاصِحُونَ: عَمُّورِيَّةَ، فَهِيَ مَعْقِلُ النَّصَارَى، وَهِيَ أَكْثَرُ قُدْسِيَّةً عِنْدَهُمْ مِنَ القُسْطَنْطِينِيَّةِ، فَقَصَدَهَا الْمُعْتَصِم بِاللَّهِ، وَوَزَّعَ جَيْشَهُ الكَبِيْرَ إِلى ثَلاثِ فِرَقٍ، كُلُّ فِرْقَةٍ أَخَذَتْ لَهَا اتّجَاهاً، وَحَدَثَتْ في الطريقِ صِدَامَاتٌ مَعَ جَيْشِ الرُّوْمِ، فَكَانَتِ الهَزِيْمَةُ عَلَى مَلِك الرّوْمِ، وشَتَّتَ الْمُعْتَصِمُ جَيْشَهُ فَلاَذَ المَلِكُ بِالفِرَارِ، وَتَابَعَ المُعْتَصِم سَيْرَهُ حَتَّى بَلَغَ عَمُّوْرِيَّةَ، وَضَرَبَ حَوْلَها الحِصَارَ، فَنَاجَزَهُ أَهْلُهَا، وَحَصَلَ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تَرَاشُقٌ بِالنِّبالِ، وَرَمْيٌ بِالمَنْجَنِيْقِ، وَلَكِنْ دُوْنَ أَنْ يُؤَثِّرَ أَحَدُهُمَا بِالآخَرِ، وَقَارَبَ الحِصَارُ شَهْراً وَأَسْوَارُ عَمُّورِيَّةَ صَامِدَةٌ أَمَامَ هَجَمَاتِ جَيْشِ المُسْلِمِيْنَ، وَدَبَّ اليَأْسُ في صُفُوْفِ الجَيْشِ المُسْلِمِ، إِنَّهُمْ لَمْ يُحرِزُوا خِلالَ هَذِهِ المُدَّةِ أَيَّ نَجاحٍ، وَاسْتَغَلَّ المُنَجِّمُونَ هَذَا الظَّرْفَ، وَأَظْهَرُوا عُلُوْمَهُمُ الكَاذِبَةَ، وَزَعَمُوْا أَنَّ فَتْحَ عَمُّوْرِيَّةَ سَيَطُوْلُ، وَبَدَأَ المُثَبِّطُوْنَ يَصِفُوْنَ لِلْمُعْتَصِمِ مَنَاعَةَ عَمُّورِيَّةَ وَقُوَّتَها لِكَي يَرْحَلَ عَنْها، وَيَكْتَفِيَ بِمَا حَقَّقَهُ مِنْ نَصْرٍ عَلَى مَلِكِ الرُّوْمِ، لَكِنَّ الْمُعْتَصِمَ صَمَّمَ عَلَى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

افْتِتَاحِ المَدِيْنَةِ مَهْمَا طَالَ الحِصَارُ، وَوَزَّعَ قُوّاتِهِ فَأَحَاطَتْ بِالْمَدِيْنَةِ إِحَاطَةِ السِّوَارِ بِالْمِعْصَمِ، وَبَاشَرَ ضَرْبَهُمْ بِالْمَنْجَنِيْقِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، عَلَّهُ يَهْدِمُ السُّور أَوْ تَسْتَسْلِمَ المَدِيْنَةُ، وَمَعَ ذَلِكَ صَمَدَتِ المَدِيْنَةُ وَتَحَمَّلَتْ هَذَا القَصْفَ العَنِيْفَ.

مُؤْمِن عَمُّورِيَّةَ:

عاشَ «رَغْدٌ» عِدَّةَ أَشْهُرٍ فِي عَمُّوْرِيَّةَ يَخْدُمُ فِي كَنِيْسَتِهَا، فَكَانَ يَبْدُو لِلنَّاسِ أَنَّهُ نَصْرَانِيٌّ مُلْتَزِمٌ بِعَقِيْدَةِ النَّصَارَى، وَهَذَا مَا ظَنَّهُ قِسِّيْسُ الكَنِيْسَةِ أيضاً، فَكَانَ يَقُوْلُ لِرَغْدٍ: لَقَدْ نَجَوْتَ بِتَرْكِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإِسْلاَمِ وَانْتَقَلْتَ إِلى النُّورِ الأَبَدِي، فَهَذِهِ مِنْحَةٌ عَظِيْمَةٌ، عَلَيْكَ أَنْ تَشْكُرَ المَلِكَ عَلَيْها، وَأَنْ تَكُوْنَ خَادِمِي المُطِيْعَ، وَكَانَ يُجِيْبُهُ «رَغْدٌ»: نَعَمْ إِنَّنِي في نُوْرٍ، وَقَلْبِي في هِدَايَةٍ، وَهُوَ يَرْفُضُ العَمَى والضَّلاَلْ، وَكَان «رَغْدٌ» يَقْصِدُ بِذَلِكَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ مَا زَالَ يَدِيْنُ بِالإِسْلاَمِ، لَكِنَّهُ يُخْفِي إِيْمَانَهُ عَنْ هَؤُلاَءِ الأَعْدَاءِ خَشْيَةَ أَنْ يَقْتُلُوْهُ، وَكَانَ إِذَا خَلاَ لَهُ المَكَانُ، تَوَضَّأَ وَصَلَّى دُوْنَ أَنْ يَرَاْهُ أَحَدٌ، وَكَانَ لِسَانُهُ دَائِماً رَطْباً بِذِكْرِ اللَّهِ، يُحِبُّ الخَلْوَةَ وَعَدَمَ مُخالطةِ النَّصَارَى إِلاّ إِذَا اضْطُرَّ إِلى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذَلِكَ، وَكَانَ مَكَانُهُ المُفَضَّلُ بَعْدَ العَمَلِ، أَنْ يَرْقَى بُرْجَ الكَنِيْسَةِ وَيَنْظُرَ إِلى عَمُّورِيَّةَ وَأَسْوَارِها، وَيَتَطَلَّعَ إِلى الجِبَالِ وَالتِّلالِ المُحِيْطَةِ بِهَا، وَكَانَ دائِماً يُوَجِّه نَظَرَهُ إِلى الشَّرْقِ أَوِ الجَنُوْبِ، المَكَانِ الّذي يَتَوَقَّعُ أَنْ يَأْتِيَ مِنْهُ المُسْلِمُوْنَ، إِنَّ قَلْبَهُ يُحَدِّثُهُ بِأَنَّ حَدَثاً عَظِيْماً سَيَقَعُ لِهَذِهِ المَدِيْنَةِ، فَالمُسْلِمُوْنَ لَنْ يَغْفِرُوا لِمَلِكِ الرُّوْمِ عُدْوَانَهُ عَلَى الثُّغُوْرِ الإِسْلاَمِيّةِ، وَهَدْمِ المُدُنِ وَإِحْرَاقِهَا وَقَتْلِ الأَبْرِياءِ، لِذَلِكَ تَوَقَّعَ هُجُوْماً إِسْلاَمِيّاً على عَمُّورِيَّةَ في أَيَّةِ لحظةٍ، بَلْ لَقَدْ كانَ يَدْعُو اللَّهَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَنْ يُحَقِّقَ لَهُ هَذَا الهَاجِسَ القَلْبِيَّ، حَتَّى يُفَكَّ أَسْرُهُ، وَيَنْطَلِقَ حُرّاً يَعْبُدُ اللَّهَ دُوْنَ خَوْفٍ، إِنَّهُ يُصَلِّي لَيلاً بِلاَ فُتُور، وَيَدْعُو اللَّهَ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ أَنْ يَرْتَفِعَ الأَذَانُ عَلَى هَذَا البُرْجِ بَدَلَ النَّاقُوْسِ، وَأَنْ تَرْتَفِعَ رَايَةُ التَّوْحِيد فِي هَذِهِ الأَرْجَاءِ المُظْلِمَةِ، فَيَسْطَعُ عَلَيْها نُوْرُ التَّوْحِيدِ.

وفِي ذَاتِ يَوْمٍ كَانَ سَارِحاً فِي تَأَمُّلاَتِهِ، فَإِذَا بِرَايَاتِ المُسْلِمِيْنَ تَظْهَرُ فِي الأُفُقِ البَعِيْدِ، وَإِذَا بِالجُيُوْشِ الإِسْلاَمِيَّةِ تَأْتِي مِنَ الشَّرْقِ وَالجَنُوْبِ، فَامْتَلأَ قَلْبُهُ بِشْراً، وَفَاضَ دَمْعُهُ فَرَحاً

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَسُرُوْراً، وَصَاحَ اللَّهُ أَكْبَر جَاءَ المُسْلِمُوْنَ، سَيَرْتَفِعُ الأَذَانُ فَوْقَ هَذَا البُرْجِ، وَسَتُرَدِّدُ مَعِ المُؤَذِّنِ الجِبالُ والهِضَابُ، ثُمَّ وَقَفَ فَتْرَةً يُمَتِّعُ نَظَرَهُ بِرُؤيَةِ جَيْشِ المُسْلِمِينَ القَادِمِ. وَنَزَلَ مِنَ البُرْجِ، وَاتَّجَهَ إِلى حُجْرَتِهِ كَأَنَّهُ لاَ يَدْرِي شَيْئاً عَنْ قُدُوْمِ المُسلِمين، ثُمَّ بَدَأ يُفَكِّرُ فِي مُسَاعَدَةِ المُسْلِمينَ وَتَقْدِيم العَوْن لَهُمْ، إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَدِّمَ لَهُمْ أَكْبَرَ مُسَاعَدَةٍ فِي فَتْحِ عَمُّوْرِيَّةَ، لَقَدْ رَأَى «رَعْدٌ» السُّوْرَ المُتَهَدِّمَ عِنْدَمَا كَانَ يَصْعَدُ إِلَى بُرْجِ الكَنِيْسَةِ، وَرَأَى العُمَّالَ وَهُمْ يَبْنُوْنَ السُّوْرَ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لَقَدْ رَصَفُوا وَاْجِهَتَهُ بِالْحِجَارَةِ، وَحَمَلُوا فَتَحَاتِ الرُّمَاةِ وَالمَشْرَبِيَّاتِ عَلَى عَوَارِضَ مِنَ الخَشَبِ، كَمَا رَاْقَبَهُمْ جَيِّداً وَهُمْ يَصْبُغُوْنَ الخَشَبَ بِلَوْنِ الحِجَارَةِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يُخْفُوا حَقِيقَةَ الخَشَبِ كي لاَ يَكْتَشِفَ المُهَاجِمُوْنَ مَكَانَ الخَشب، لَكِنَّ «رَعْداً» يَسْتَطِيْعُ أَنْ يُمَيِّزَ مَكانَ الخَشَبِ، وَهَذَا المَكَانُ يُعَدُّ نُقْطَةَ ضَعْفٍ فِي السُّوْرِ، وَأَخَذَ «رَعْدٌ» يَتَرَقَّبُ الفُرْصَةَ لِإِخْبَارِ المُسْلِمِيْنَ بِهِ، وَانْتَظَرَ «رَعْدٌ» الفُرْصَةَ المُنَاسِبَةَ، فَخَرَجَ يَتَرَقَّبُ الأَخْبَارَ، فَرَأَى المُسْلِمِيْنَ يُحِيْطُوْنَ بِالمَدِيْنَةِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَيَبْدَؤُوْنَ قَصْفَهَا بِالمَنْجَنِيْقِ، وَرَأَى أَيْضاً طُوْلَ مُدَّةِ الحِصَارِ، وَأَنَّ المُسْلِمِيْنَ لَمْ يُحَقِّقُوْا خِلاَلَ شَهْرٍ أَيَّ نَصْرٍ ضِدَّ عَمُّوْرِيَّةَ، وَأَخَذَ التَّفْكِيْرُ عَلَيْهِ يَوْمَهُ وَنَهَارَهُ، وَهُوَ لاَ يَصِلُ إلى حلٍّ، لَقَدْ حَاوَلَ كَثِيراً أَنْ يَخْرُجَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَكُلُّ الأَبْوَابِ مُقْفَلَةٌ، وَعَلَيْهَا حِرَاسَةٌ مُشَدَّدَةٌ، والمُسْلِمُوْنَ يَقْصِفُوْنَ المَدِينَةَ بِشَكْلٍ عَشْوَائِي، فَلَوْ رَكَّزُوا عَلَى السُّوْرِ الخَشَبِيِّ لاَسْتَطَاعُوا هَدْمَهُ، يَا إِلَهِي مَاذَا أَفْعَلُ؟، إِنَّنِي أَخْشَى أَنْ يَيْأَسَ المُسْلِمُوْنَ مِنْ فَتْحِ المَدِيْنَةِ، فَيَفُكُّوا عَنْهَا الحِصَارَ، ثُمَّ يَعُوْدُ فَيَقُوْلُ:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لاَ، لاَ، لَيْسَ مِنْ عَادَةِ المُسْلِمِينَ اليَأْسُ وَالقُنُوْطُ، يَا إِلهِيْ امْنَحْنِي فُرْصَةَ الوُصُوْل إِليهم، وَهَيِّىءْ لِيَ الأَسْبَابَ فِي الخُرُوْجِ حَتى أُخْبِرَهُمْ بِأَمْرِ السُّوْرِ.

رَعْدٌ يَتَطَوَّعُ في صُفُوْفِ الرّوم:

وَسَمِعَ «رَعْد» عَنْ تَشْكِيلِ فِرْقَةٍ هُجُوْمِيَّةٍ لِشَنِّ غَارَةٍ في اللّيل عَلَى المُسْلِمينَ، فَسَارَعَ إِلى حَاكِمِ عَمُّوْرِيَّةَ وَاكْتَتَبَ فِيها، وَأُعْطِيَ مَكَاناً عَلَى السُّوْرِ للدِّفَاعِ عَنْهُ، وَكَانَ بَيْنَ فَتْرَةٍ وَأُخْرَى يَرْمِي المُسْلِمينَ بِالسِّهَامِ، وَلَكِنْ دُوْنَ تَصْوِيْبٍ مُحْكَمٍ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثُمَّ رَمَى سَهْماً رَبَطَ فيه رِسَالَةً صَغِيْرَةً كَتَب لِلمُسْلِمينَ فِيها: إِنَّهُ قَادِمٌ إِلَيْهم في أَوَّلِ غَارَةٍ لَيْلِيَّةٍ، لَكِنَّهُ لَمْ يُحَدِّدْ لَهُمْ وَقْتَهَا بَعْد، فَالْتَقَطَهُ أَحَدُ الجُنُوْدِ مِنَ المُسْلِمين، وَقَرَأَ الرِّسَالَةَ وَأَعْطَاهَا لِقَائِدِه، سُرَّ القَائِدُ بِالرِّسَالَةِ، وَبَدَأَ يَتَرَقَّبُ الهُجُوْمَ الرُّوْمِيَّ، وَيَتَرَقَّبُ وُصُوْلَ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ أَيْضاً.

وَاشْتَدَّ الحِصَارُ عَلَى عَمُّوْرِيَّة، وَتَعِبَ الرُّوْمُ مِنْهُ، فَأَرَادَ حَاكِمُ المَدِيْنَةِ أَنْ يُخَفِّفَ مِنْ شِدَّةِ الحِصَارِ، فَقَرَّرَ مُهَاجَمَةَ المُسْلِمِينَ في هَذِهِ اللَّيْلَةِ، فَجَمَعَ المُتَطَوِّعِيْنَ في الفِرْقَةِ الهُجُومِيَّةِ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَأَبْلَغَهُمْ عن سَاعَةِ الهُجُوْمِ لَيْلاً، وَقَالَ لَهمْ:

عَلَيْكُم أَنْ تَبْذُلُوا جُهُوْدكُمْ فِي قِتَالِ المُسْلِمِيْن

وَدَفْعِهِمْ عَنِ الأَسْوَارِ كي نُخَفِّفَ العِبْءَ عَنِ

المَدِيْنَةِ، وَنُزِيْلَ عَنْهَا خَطَرَ المُسْلِمِيْنَ، وَنَغْنَمَ

شيئاً مِن الأقوات، وَفِي اللَّيْلِ فَتَحَ الرُّوْم بَاب

أَحَدِ الأَسْوَارِ بِحَذَرٍ، ثُمَّ انْطَلَقُوا فِي هُجُوْمٍ

مُبَاغِتٍ ضِدَّ المُسْلِمِينَ، فَكَانَ المُسْلِمُونَ لَهُمْ

بِالمِرْصَادِ، حَيْثُ طَلَعُوا عَلَيْهِمْ مِن كَمين

مُبَاغِتْ وَتَنَاوَشُوْهُمْ بِالسُّيُوْفِ وَالرِّمَاحِ، أَمَّا

«رَعْد» فَقَدِ انْطَلَقَ بِأَقْصى سُرعَةٍ تَحْتَ جُنْحِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الظَّلامِ، وَفارَقَ جَيْشَ الأَعْداءِ، وَابْتَعَدَ عَنْهُمْ، وَلَمَّا وَقَفَ لِيَسْتَرِيحَ وَيَلْتَقِطَ أَنْفاسَهُ، إِذَا بِهِ يَقَعُ فِي أَسْرِ المُسْلِمِينَ، فَقالَ لَهُمْ: أَنَا صَاحِبُ الرِّسَالَةِ إِلَيْكُم، فَأَخَذُوهُ إِلى قَائِدِهِم الَّذي سَلَّمَهُ بِدَوْرِهِ إِلى الخَلِيفَةِ المُعْتَصِم بِاللَّهِ، فَسَأَلَهُ المُعْتَصِمُ عَنْ شَأْنِهِ وقِصَّتِهِ، فَذَكَرَ لَهُ «رَعْد» قِصَّتَهُ يَوْمَ أُسِرَ، كما ذكر له أيضاً قِصَّةَ المَرْأَةِ الهَاشِمِيَّةِ التِي صَاحَتْ واإسلاماه، وأخبرهُ عن طُغْيَانِ مَلِكِ الرُّوْمِ، وَقَتْلِهِ لِلأَسْرَى الَّذينَ يَثْبُتُوْنَ عَلَى الإِسْلامِ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِقِصَّةِ السُّوْرِ وَأَطْلَعَهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَلَيْهِ فِي الصَّبَاحِ، فَفَرِحَ المُعْتَصِمُ وَقَالَ: جَاءَ الفَتْحُ إِنْ شَاءَ اللَّه.

فَتْحُ عَمُّورِيَّةَ:

حَشَدَ المُعْتَصِم بِاللَّهِ قِسْماً كَبِيْراً مِنَ الجَيْشِ أَمَامَ السُّوْرِ الّذي بُنِيَتْ عَوَارِضُهُ مِنَ الخَشَبِ، ثُمَّ اسْتَدْعَى أَمْهَرَ الرُّمَاةِ في جَيْشِهِ، وَأَمَرَ الحَدَّادِيْنَ أَنْ يُشْعِلُوا أَفْرَانَهُمْ، وَأَنْ يَصْنَعُوا سِهَاماً حَدِيْدِيَّةً مِنْ نَوْعٍ خَاصّ، وَأَنْ يَضَعُوْهَا فِي النَّارِ حَتى تَحْمرَّ رُؤُوْسُهَا، وَأَنْ يُنَاوِلُوْهَا إِلى الرُّمَاةِ، كَمَا طَلَبَ مِنَ الرُّمَاةِ أَنْ يُسَدِّدُوا سِهَامَهُمْ عَلَى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عَوَارِضِ الفَتَحَاتِ وَعَلَى جِهَةِ المَشْرَبِيَّاتِ، فَفَعَلُوا ذَلِك، وَبَدَأَتِ الرُّؤُوْسُ النَّارِيَّةُ تَنْطَلِقُ كَالشُّهُبِ، وَتَغرُزُ فِي الخَشَبِ المَصْبُوْغ، فَأَحْدَثَتْ مَعَ كَثْرَتِهَا نَاراً في الخَشَبِ، وَمَا هِيَ إلاّ فَتْرَةٌ وَجِيْزَةٌ حَتّى شَبَّتِ النَّارُ فِي السُّوْرِ، فَتَهَدَّمَ وَتَدَاعَى مُحْدِثاً دَوِيّاً هَائِلاً، وَعَادَتِ الفَتْحَةُ كَمَا كَانَتْ قَبْلَ بِنَائِها، فَتْحَةً كَبِيْرَةً تَسْمَحُ لِلْجَيْشِ بِالْعُبُوْرِ، وَأَسْرَعَ حَمَلَةُ الجُلُوْدِ التُّرَابِيَّةِ، فَأَلْقَوْهَا في الخَنْدَقِ - وكانَتْ مِنْ قَبْلُ تُحْشَى جُلُوْدُ الغَنَم وَالبَقَرِ بِالتُّرَابِ، لأَن أَكْيَاسَ الخَيْشِ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوْفَةً فِي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذَلِكَ الوَقْتِ - فَرَدَمُوْهُ، ثُمَّ أُعْطِيَت الأَوَامِرُ لِفرْقَةِ الفُرْسَانِ فَاقْتَحَمَتِ المَدِيْنَةَ بِخُيُوْلِها العَرَبِيَّةِ الأَصِيْلَةِ، وَحَاوَلَ حاكِمُ عَمُّورِيَّةَ الصُّمُوْدَ أَمَامَ الجَيْشِ الزَّاحِفِ، فَأَخَذَتْهُ الخُيُوْلُ وَدَاسَتْهُ سَنَابِكُهَا[1] وَاسْتَسْلَمَت المَدِيْنَةُ بَعْدَ حِصَارٍ دَامَ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِيْنَ يَوْماً، وَفَرِحَ المُسْلِمُوْنَ بِنَصْرِ اللَّهِ، ثُمَّ انْتَقَمَ المُعْتَصِمُ بِاللَّهِ مِنَ المَدِينَةِ، فَخَرَّبَهَا وَأَحْرَقَهَا حَتَّى لاَ تَعُوْدَ لِلوُقُوْفِ فِي وَجْهِ الفَتْحِ الإِسْلاَمِيّ، وَسَاقَ أَهْلَهَا أَسَارَى، فَمَنْ

(١) سنابك الخيل: مقدمة حوافرها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَسْلَمَ عَفَا عَنْهُ، وَمَنْ أَصَرَّ عَلَى كُفْرِهِ جَعَلَهُ رَقِيقاً مَمْلُوْكاً، لَقَدْ رَدَّ المُعْتَصِمُ للمُسْلِمينَ مَهَابَتَهُمْ وَكَرَامَتَهُمْ، كَمَا اسْتَنْقَذَ الأَسْرَى المُسْلمينَ الّذين بَقَوْا عَلَى قَيْدِ الحَيَاة، وَمِنْهُمُ المَرْأَةُ الهَاشِمِيَّةُ.

مُكَافَأَةُ رَعْد:

عَلِمَ مَلِكُ الرُّوْمِ المَهْزُوْمِ بِسُقُوْطِ عَمُّورِيَّة وَمَا حَلَّ بِها، فَقَدْ كَانَتْ مِنْ قَبْلُ آمِنَةً، وَكَانَ هُوَ سَبَباً فِي تَدْمِيْرِهَا، فَلَوْلاَ اعْتِدَاؤُهُ عَلَى ثُغُوْرِ المُسْلِمينَ لَمَا غَزَا المُسْلِمُوْنَ عَمُّورِيَّةَ، لَقَدْ كَانَ المَلِكُ سَبَباً مُبَاشِراً فِي نَكْبَتِهَا، وَكَانَتْ وَحْشِيَّتُهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مَعَ المُسْلِمِيْنَ دَافِعاً قَوِيّاً لِخَرَابِها، لِذَلِكَ وَجَّهَ سُكَّانُ الرُّوْمِ اللَّوْمَ وَالتَّقْرِيْعِ لِلْمَلِكِ، وَظَهَرَ فِي بِلادِ الرُّوْمِ تَيَّارٌ قَوِيٌ ضِدَّهُ، يُطَالِبُه بِالتَّنَحّي عَنِ المُلْكِ، وأصبحَ مَكْرُوهاً من قَوْمِهِ فَمَاتَ حَزِيْناً مَهْمُوْماً. لَقَدْ عَلِمَ الرُّوْمُ أَنَّ شَوْكَةَ المُسْلِمِيْنَ مَا تَزَالُ قَوِيَّةً، وَأَنَّ المَصَائِبَ وَالخُطُوْبَ تَجْمَعُهُمْ، وَتُوَحِّدَ بَأْسَهُمْ، مَهْمَا بَدَوْا فِي الدَّاخِلِ مُتَفَرِّقِيْنَ، فَأَخَذُوا مِنْ فَتْحِ عَمُّورِيَّةَ دَرْساً لَنْ يَنْسَوْهُ.

وَعَادَ المُعتَصِمُ بِاللَّهِ ظَافِراً إِلى عَاصِمَتِهِ بَغْدَادَ بَعْدَ أَنْ أَدَّبَ الرُّوْم، وَجَعَلَهُمْ يُفَكِّرُوْنَ أَلْفَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مَرَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَعْتَدُوا عَلَى المُسْلِمِيْنَ، فَأَمِنَتِ الثُّغُوْرُ وَالمُدنُ في عَهْدِهِ مِنْ هَجَمَاتِ الرُّوْمِ، ثُمَّ اسْتَدْعى المُعْتَصِمُ مُؤْمِنَ عَمُّوْرِيَّةَ، وَذَكَرَهُ بِالخَيْرِ والشَّجَاعَةِ أَمَامَ الجُنُوْدِ، وَبَيَّنَ مَا قَامَ بِهِ مِنْ وَاجِبٍ عَظِيْمٍ، فَشَكَرَهُ عَلَى بُطُوْلَتِهِ وَفِطْنَتِهِ وَذَكَائِهِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: هَكَذَا فَلْيَكُنِ المُسْلِمُوْنَ، عُيُوْناً سَاهِرَةً يُرَاقِبُوْنَ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَمَا يَفْعَلُوْنَ، لِيُقَدِّمُوا العَوْنَ لأُمَّتِهِم، وَلِيَكْشِفُوا مَكَانَ ضَعْفِ الأَعْدَاءِ، فَلَوْلاَ اللَّه ثُمَّ وُجُوْد هَذا المُؤمِنِ فِي عَمُّورِيَّةَ الّذي أَرْشدنا إِلى مَكَانِ السُّورِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخَشَبِيّ، لَمَا تَمَكَّنَّا مِنْ فَتْحِها بِهَذِهِ السُّرْعَةِ، فَأَكْرَمَهُ وَعَيَّنَهُ قَائِداً فِي جَيْشِ المُسْلِمين، مُشْرِفاً عَلَى الثُّغُوْرِ الإِسْلاَمِيَّةِ، يَحْمِيها مِنْ خَطَر العُدْوان الرُّومي...

وَقَفَ «رَغْدٌ» بَاسِماً مُشْرِقَ الوَجْهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمّ قَال: إِنَّني فَخُوْرٌ لاِنْتِمَائِي إِلى أُمَّةِ الإِسْلاَمِ، وَأَحْمَدُ اللَّهُ أَنْ خَلَّصَنِي مِنَ الأَسْرِ وَذُلِّهِ، وَرَدَّني إِلى قَوْمِي وَإِخْوَانِي، لَقَدْ كُنْتُ أَقْضِي اللَّيَالِيَ فِي هَمٍّ وَبُكَاءٍ، لَكِنَّني لَمْ أَنْسَ أَبَداً الصَّلاَةَ وَالدُّعَاءَ، فَقَدْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كُنْتُ أَقُوْمُ اللَّيْلَ، وَأَدْعُو اللَّهَ فِي السَّحَرِ أَنْ يَفُكَّ أَسْرِي، وَيُعِيْدَنِي إِلَى أَهْلِي وَقَوْمِي، وَقَدِ اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَائِي، وَإِنِّي أُعَاهِدُ اللَّهَ أَمَامَكُمْ أَنْ أَكُوْنَ سَيْفاً مَسْلُوْلاً عَلَى الأَعْدَاءِ، أُجَاهِدُ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَأَحْمِي الثُّغُوْرَ مِنْ كُلِّ طَامِعٍ لَئِيم.

فَعَانَقَهُ المُعْتَصِم بِحَرَارَةٍ، وَدَعَا لَهُ بِالخَيْرِ، ثُمَّ أَهْدَاهُ سَيْفَهُ وَفَرَسَهُ وَانْصَرَفَ عائِداً إِلَى بَغْدَاد.

وهكذا عَادَ المُعْتَصِمُ بِاللَّهِ ظَافِراً إِلَى عَاصِمَتِهِ بَغْداد بَعْدَ أَنْ أَدَّبَ الرُّوْم، وَعَاقَبَهُمْ أَقْسَى عِقَاب، فَأَمِنَتِ الثُّغُوْرُ وَالمُدُنُ فِي عَهْدِهِ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مِنْ هَجَمَاْتِ الرُّوْم، وعَادَتْ للمسلمينَ رَهْبَتَهُمْ

في قُلوبِ الأعْداء.